عنوان الأطروحة

الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادى

اسم الطالب

أنور عوده عواد الخالدي

اسم المشرف

أ.د. محمد ضيف الله بطاينة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه فلسفة في تخصص التاريخ في جامعة اليرموك

تاريخ المناقشة ٢٠/٨/٢٠٠٦م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أعضاء لجنة المناقشة

١. الاستاذ الدكتور محمد ضيف الله بطاينة..... مشرفا ورئيساً

٢. الاستاذ الدكتور صالح موسى درادكة..... عضواً

٣. الاستاذ الدكتور سليمان خرابشة..... عضواً

٤. الدكتور نعمان محمود جبران ..... عضواً

٥. الدكتور عبدالله منسي العمري..... عضواً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهـــرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
فهرس المحتويات	أ ــ ج
الإهداء	د
الشكر والتقدير	هـ
المقدمة	و ــ س
الفصل الأول: الأوضاع العامة في بلاد الشـــام فـــي القـــرن الســـابع الهجري/الثالث عشر الميلادي	١
أولاً : الأوضاع السياسية	
النزاع في البيت الأيوبي	٢
الحروب الفرنجية	٧
العدوان المغولي	١٠
ثانياً: الأوضاع الاجتماعية	١٣
ثالثا: الأوضاع الاقتصادية	٢١
رابعا: الأوضاع الثقافية	٢٥
الفصل الثاني: المؤرخـــون فـــي بـــلاد الشـــام فـــي القـــرن الســـابع الهجري/الثالث عشر الميلادي	٣٠
ياقوت الحموي(٥٧٤هـ /١١٧٨م- ٦٢٦هـ/١١٢٩م)	
سيرته	٣١
شيوخ ياقوت الحموي	٣٤
منزلته العلمية ووفاته	٣٥
التعريف بأشهر مؤلفات ياقوت الحموي ومحتواها ومصادرها وأهميتها ومنهج الكتابه فيها	٣٦
بهاء الدين بن شداد (٥٣٩هـ/١١٤٥م-٦٣٢هـ/١٢٣٥م)	
سيرة بهاء الدين بن شداد	٥٥
شيوخ بهاء الدين بن شداد وتلاميذه	٥٩
منزلته العلمية ووفاته	٦٢
التعريف بأشهر مؤلفات بهاء الدين بن شداد ومحتواها ومصادرها وأهميتها ومنهج	٦٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكتابه فيها.
ابن العديم (٥٨٨هـ/١١٩٢م-٦٦٠هـ/١٢٦٢م)
سيرة ابن العديم ٨٠
شيوخ ابن العديم وتلاميذه ٨٣
منزلته العلمية ووفاته ٨٥
التعريف بأشهر مؤلفات بهاء الدين بن شداد ومحتواها ومصادرها وأهميتها ومنهج الكتابه فيها ٨٦
الفصل الثالث: المؤرخون في بلاد الشام في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي ١٠٢
أبو شامه (٥٩٩هـ/١٢٠٣م-٦٦٥هـ/١٢٦٧م)
سيرة أبي شامة ١٠٣
شيوخ أبي شامة وتلاميذه ١٠٨
منزلته العلمية ووفاته ١١٣
التعريف بأشهر مؤلفات أبو شامة ومحتواها ومصادرها وأهميتها ومنهج الكتابه فيها ١١٥
عز الدين بن شداد (٦١٣هـ/١٢١٦م-٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
سيرة عز الدين بن شداد ١٣٨
شيوخ ابن شداد وتلاميذه ١٤٢
التعريف بأشهر مؤلفات عز الدين بن شداد ومحتواها ومصادرها وأهميتها ومنهج الكتابه فيها. ١٤٢
ابن خلكان (٦٠٨هـ/١٢١١م ـ٦٨٩هـ/١١٩٣م)
سيرة ابن خلكان ١٦٧
شيوخ ابن خلكان ه وتلاميذه ١٦٨
منزلته العلمية وآراء العلماء فيه ١٨٥
التعريف بأشهر مؤلفات ابن خلكان ومحتواها ومصادرها وأهميتها ومنهج الكتابه فيها ١٨٨
الفصل الرابع: الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ١٩٨
أنواع الكتابة التاريخية ١٩٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- التاريخ العالمي ١٩٨
- التاريخ الإقليمي ٢٠٣
- التاريخ للدول ٢٠٦
- السير والمذكرات ٢٠٨
- التراجم ٢١١
مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية ٢١٤
أولاً: منهج الحوليات (حسب السنين) ٢١٤
ثانياً: التاريخ حسب الموضوعات ٢٢٢
أساليب الكتابة التاريخية ٢٢٦
الفصل الخامس: نظرة تقييميه للكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ٢٣٤
تقييم أنواع الكتابة التاريخية ٢٣٥
تقييم مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية ٢٤٥
تقييم أساليب الكتابة التاريخية ٢٤٨
الخاتمة ٢٥١
الملخص باللغتين العربية والإنجليزية ٢٥٧-٢٥٩
قائمة المصادر والمراجع ٢٦١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي العزيز أدامه الله، مثلك فلتكن الرجال، لأنك نعم المربي، فقد كنت لي على الدوام الأخ والصديق، وإلى والدتي ربيع قلبي، وسر سعادتي، والى أخي الحبيب مفلح وجميع إخوتي ، و إلى زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الكبير وكل مشاعر الاحترام والتقدير إلى أستاذي الأستاذ الدكتور الفاضل (محمد ضيف الله البطاينة) الذي منحني الكثير من جهده ووقته وأحاطني بمشاعر الأبوة الصادقة، والذي كان لمتابعته وتوجيهاته الفضل في إخراج هذه الرسالة بهذا الشكل العلمي المتواضع.

وأزجي كل مشاعر التقدير والاحترام والعرفان إلى الأخ الدكتور موسى بني خالد، والصديق العزيز فلاح الخالدي، والعزيزة سمية والأخت سمر صبح الذين ساعدوني أثناء إعداد هذه الرسالة.

والله ولي التوفيق

الباحث أنور الخالدي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله خالق السموات والأرض والناس أجمعين القائل سبحانه: "ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" وأصلي وأسلم على رسول الله محمد بن عبد الله الذي بعثه الله جلّ وعلا رحمة بالعالمين وعلى آله الغر الميامين وصحبه المكرمين وعلى من سار على هديه إلى يوم الدين وبعد ،،،

فهذه دراسةٌ في موضوع الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد مرت الكتابة التاريخية في ثلاث مراحل توازي إلى حد كبير ما مر به علم الحديث أو غيره من علوم العرب، ولكنها في الواقع ليست مراحل منفصلة بقدر ما هي مترابطة.

فالمرحلة الأولى: نستطيع أن نسميها مرحلة التدوين الأول، وقد اتسم التدوين في هذه المرحلة بالطابع الشخصي وبطابع العفوية والمنفعة الدينية أو الاجتماعية، وقد بدأت العملية نقلاً عن الشفاه وعن غيرها من السجلات (كالوثائق والكتب) مبكرة جداً، وبعضها يرقى إلى العهد النبوي، وقد أخذت فيه عدداً من الاتجاهات فبعضها للسيرة النبوية وبعضها لتاريخ اليمن وبعضها للأنساب وبعضها لأخبار الفتوح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد رافق هذه المرحلة الأولى كما سوف يرافق التاريخ الإسلامي في جميع مراحله وتطوراته المقبلة وجود جمهور واسع من رواة التاريخ والأخبار والأنساب يحدثون بما يعرفون، ومن هؤلاء مثلاً أبو يزيد عقيل بن أبي طالب الذي كان يروي في مسجد المدينة أيام العرب ومعاركها، ومثالب قريش، ومنهم أيضاً جبير بن مطعم وعبّاد بن كسيب والنحار ابن أوس العذري أبرز علماء العرب في الأنساب في نظر ابن الكلبي.

ثم انتقل التاريخ عن طريق هؤلاء من حالة الشفهية إلى المعرفة الكتابية، ومن التاريخ المروي إلى التاريخ المكتوب، وقد امتدت هذه المرحلة الأولى حتى مطلع القرن الثاني الهجري وقد ظهر في هذه الفترة عبد اله بن عباس، وأبان بن عثمان، وعروة بن الزبير.

أما المرحلة الثانية: فقد امتدت خلال القرن الثاني الهجري كله تقريباً، واهتم الاخباريون بجمع الأخبار المختلفة والموضوعات المتنوعة، ولم ينقطع الاهتمام بالسيرة النبوية، ولكن الاهتمام بالأخبار التاريخية صار أكثر وضوحاً، ومن أهم مؤرخي هذه المرحلة أبو مخنف لوط بن يحيى وهو اخباري كتب (٢٢) كتاباً وعوانه بن الحكم، والهيثم بن عدي والمدائني وغيرهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما المرحلة الثالثة من الكتابة التاريخية فهي مرحلة تدوين وجمع المواضيع المتعاقبة في كتاب واحد، وهي تستند في فلسفتها العميقة على فكرتين أساسيتين هما:

١-وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمم الإسلامية .

٢-وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري حين استقرت وتوطدت، فتوطد بها علم التاريخ الإسلامي ومناهجه في التدوين، وإنا لنجد بواكير ذلك لدى ابن إسحاق صاحب السيرة في أواسط القرن الثاني الهجري ثم لدى عوانه بن الحكم الذي كتب مع كتبه الأخرى مؤلفاً في التاريخ جمع فيه الحديث عن الردة والفتوح وعهد الراشدين.

ثم جاء أبو اسحاق ابراهيم بن محمد، فكتب كتاب "السيرة في الأخبار والحوادث" وهو خطوة أخرى، ثم جاء الهيثم بن عدي فوضع أول كتاب في التاريخ على أساس السنين محققاً بذلك ثورة في منهج الكتابة التاريخية على مطلع المائة الثالثة للهجرة، كما وضع أول كتاب في التاريخ على أساس الطبقات لتراجم الرجال وهاتان الخطوتان هما اللتان قدر لهما أن تكونا على أساس مناهج الكتابة التاريخية في الإسلام فيما بعد.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك فالكتابة التاريخية بدأت جمعاً لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تسجيل غزواته ومن ثم أصبح شاملاً لكل التاريخ الإسلامي.

وانطلاقاً من هذا جاءت فكرة هذه الأطروحة لتبحث وتُبرز مناهج الكتابة التاريخية وأساليبها وأنواعها في القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلادي، بالإضافة إلى التعريف بأشهر مؤرخي ذلك القرن ومؤلفاتهم ومحتواها.

وقد تم اختيار القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلادي نظراً لجسامة الأحداث التي عصفت ببلاد الشام في ذلك القرن، فعلى المستوى الداخلي اتسم الوضع السياسي بظواهر سلبية متعددة، منها الخلاف على السلطة والنفوذ بين أبناء البيت الأيوبي إثر وفاة صلاح الدين الأيوبي، ومن ثم بين المماليك من أتراك وجراكسة، فضلاً عن ظهور محاولات انفصال عن السلطة المركزية في مصر وبلاد الشام طيلة ذلك القرن، كما خلفت حركات الأعراب وضعاً أمنياً مضطرباً بسبب تناقض ولائها للسلطة وزاد الأمر سوءاً تدخل الحاشية وتعاظم نفوذهم.

أما على المستوى الخارجي فهناك الاحتلال الإفرنجي والغزو المغولي اللذان شكلا منعطفاً تاريخياً كبيراً في مجمل الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في بلاد الشام التي أصبحت مركزاً للصراع بين المغول والإفرنج من جهة وبين المماليك من جهة أخرى، لذلك اتسم القرن السابع الهجري بحدة الصراع السياسي والفكري نتيجة تظافر قوى داخلية وخارجية، ونتيجة لهذا شهدت بلاد الشام نشاطاً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثقافياً متميزاً رغم مواجهتها للتحديات الأجنبية (الإفرنجيـــة والمغوليـــة) وتبنـــي علمائها لفكرة الجهاد ضد أعداء الأمة من مغول وإفرنج في الخارج وأنصـــارهم من الغلاة والباطنية في الداخل.

وجاءت هذه الأطروحة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وقـــد اشـــتمل الفصل الأول على بيان الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فـــي فترة الدراسة لتكون بمنزلة الأرضية لدراسة المؤرخين ومؤلفـــاتهم، فكمـــا نعلـــم جميعاً أن هذه الأوضاع تعكس نفسها على أذهان المؤرخين وأفكارهم وكتاباتهم.

أما الفصلان الثاني والثالث فقد خصصتهما لدراســـة بعضـــاً مـــن أشـــهر مؤرخي القرن السابع الهجري من أمثال بهاء الدين بن شداد وابن العـــديم وأبـــو شامة وابن خلكان وعز الدين بن شداد وياقوت الحموي، وتجدر الإشارة هنا إلـــى أنّ ياقوت الحموي كان معروفاً عند علماء الشرق في القرون الوسطى على أنـــه من أعلام المؤرخين، وقد لقّبه الذهبي ت(٨٤٨هـ/١٣٤٧م) بلقب مميـــز وهـــو الإخباري، كما أن عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعي ت(٧٦٨هـ/١٣٦٦م) قـــد ذكر ياقوت في كتابه" مرآة الجنان" وأطلق عليه ألفاظـــاً مشـــابهة، ويقـــول ابـــن المستوفي في كتابـــه " تـــاريخ إربـــل" بأنـــه قـــد التقـــى بيـــاقوت فـــي عـــام (٦١٧هـ/١٢٢٠م) وأنه (أي ياقوت) قد استمر خلال رحلاته إلى مختلف البلدان على دراسة المؤلفات التاريخية في مختلف المكتبات، ويشير ابن المســـتوفي إلـــى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كتاب "إرشاد الالباء إلى معرفة الأدباء" الشهير ويقول بأنه قد تضمن بحث سير العلماء وفق منهج تاريخي[1] ومن هذا المنطلق قام الباحث بإدراج ياقوت الحموي ضمن مؤرخي فترة الدراسة.

فهؤلاء المؤرخين كان لهم إنتاج علمي انعكس أثره على الباحثين والدارسين حتى يومنا هذا، وقد شملت دراستهم التعريف بهم من حيث ولادتهم ونسبهم وأسرهم ونشأتهم وعلومهم الأولى ووظائفهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم وعلاقاتهم بشخصيات عصرهم ومكانتهم العلمية وأقوال العلماء فيهم ووفاتهم والتعريف بأشهر مؤلفاتهم ومحتواها.

وجاء الفصل الرابع بعنوان "الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن السابع الهجري" عرض فيه الباحث لأنواع الكتابة التاريخية ومناهج تصنيف المؤلفات التاريخية وأساليب الكتابة التاريخية.

واحتوى الفصل الخامس على تقييم للكتابة التاريخية من حيث المنهج والأنواع والأساليب وتوصلت الرسالة إلى جملة من النتائج من أهمها:

أولاً : إبراز أهم اتجاهات الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري والتي شكلت سمته العامة، فهناك كتب التاريخ العام والتي كتبت وفق رؤية إسلامية صرفة، فدراسة التواريخ القديمة وأيام بني إسرائيل والجاهلية تمت وفق

---

(١) ر.م.ش.الهي، ياقوت الحموي البغدادي، ترجمة يوسف داود، مجلة عالم الفكر، ع٢٠، ١٩٨٤، الكويت، ص١٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه الرؤية، يؤكد ذلك ما يذكره ابن الأثير بقوله: "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن لنا الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله... مما فيه بسط لمختصر عندنا أو تسمية منهم."

فالفترات السابقة للإسلام كانت نوعا من استكمال المعرفة وسد الفراغ بين مبدأ الخلق وظهور البعثة النبوية واتخذ بعض المؤرخين تاريخ الإسلام منطلقا لدراسة التاريخ العام، وقد نمّى هذا الاتجاه في الكتابة سببان رئيسيان:

- التوجه الديني لغالبية المؤرخين وجلّهم من المحدثين والفقهاء، فأصبح تاريخ ما قبل الإسلام كله تقريبا مجموعة من الأخبار الإسلامية عن خلق العالم وتاريخ بني إسرائيل.
- جسامة حجم التحديات الخارجية والداخلية التي شهدتها بلاد الشام في ذلك القرن.

وهناك أيضا كتب التراجم التي نالت اهتمام المؤرخين وقلد المؤرخون في تنظيمها الأساليب التي ابتكرها المحدثون في تنظيم كتب لرجال وهي التنظيم على الطبقات والتنظيم على الأنساب، والتنظيم على البلدان والتنظيم على الوفيات، والتنظيم على حروف المعجم كما فعل ابن خلكان في وفيات الأعيان، واحتوت كل ترجمة على اسم المترجم له ونسبه ولقبه وكتبه ومولده ونشأته وثقافته ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وحالته الاجتماعية (المناصب التي تقلدها) وتحديد سنة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفاته وان توفر الشهر واليوم. إضافة لذلك قد نجد أثناء الترجمة حضوراً للمؤرخ في مناقشة مسألة عقائدية أو نقدية تستوقف المؤرخ، وتباينت مادة الترجمة بين السعة والإيجاز تبعاً لأمرين الأول توفر المادة التاريخية والثاني: المؤرخ. وتعتبر التراجم من اثبت صور التعبير التاريخي لأنها استوعبت كافة أنواع التاريخ وهناك أيضاً التأليف حسب المدن، فقد ألف ابن العديم بغية الطلب في تاريخ حلب والكتاب وإن حمل اسم حلب، فإنه في الواقع كتاب تراجم لرجال حلب ومن اتصلوا بها أكثر مما هو تاريخ للمدينة نفسها.

ثانيا : أما من حيث الأساليب التي اتبعها مؤرخو القرن السابع الهجري في تنظيم مادتهم فظلت محافظة على إطارها الحولي (الترتيب على السنين) مجزئة الحدث الواحد حسب توالية الزمني على حساب وحدة الموضوع وتكامله فإذا استوفى بعض المؤرخين السنة ينتقل إلى التي بعدها، كما حافظت هذه المؤلفات على المزاوجة بين ذكر الحوادث والتراجم في كل سنة وفي بعض التواريخ تطغى أخبار الوفيات على الحوادث ولكن بشكل عام تتفق معظم هذه التواريخ في تقديمها الحوادث على التراجم في بداية كل سنة.

وقد انتقد ابن الأثير الطريقة الحولية في كتابة التاريخ لتجزئتها الموضوع إلى أجزاء بحسب توالية الزمني مما يضيع ترابط الفكرة وتواصلها ولاعتمادها على النقل الحرفي عن المصادر دون تحليل أو إبداء وجهة نظر خاصة للفترات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السابقة لعصر المؤلف وأدت كثرة التراجم قياسا للحوادث إلى أن يفقد التاريخ العام قوته في إعطاء صورة شاملة للكون.

ثالثا: اتبع مؤرخو القرن السابع الهجري أشكالا تنظيمية في كتابتهم التاريخية وهي:

١- التنظيم على الطبقات : والطبقة هي تعبير عن زمن إلا أنه تم الاختلاف في تحديد زمن الطبقة منهم من يراه عشرين سنة أو خمسة وعشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة.

٢- التنظيم على حروف المعجم: فقد حقق تنظيم التراجم على حروف المعجم تطورا نوعياً في مجال الكتابة التاريخية فهو أسهل في الترتيب وأشمل في المادة لاحتوائه على قدر كبير من التراجم لمختلف الفئات الاجتماعية والثقافية.

٣- التنظيم على الوفيات: فقد اعتمد بعض كتب التراجم على وفيات المترجم لهم متخذة من الوفاة أساسا لتنظيمها.

رابعا: التزم مؤرخو القرن السابع الهجري بتوثيق معلوماتهم بذكر مصادرهم واتبعوا في ذلك طريقتين:

الأولى: ذكر مصادرهم في مقدمات مؤلفاتهم التاريخية.

الثانية: ذكر مصادرهم في ثنايا تواريخهم وذلك نسبة كل نص إلى مصدره.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الأوضاع العامة في بلاد الشام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

- أولاً: الأوضاع السياسية
- ثانياً: الأوضاع الاجتماعية
- ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية
- رابعاً: الأوضاع الثقافية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا:الأوضاع السياسية:

النزاع في البيت الأيوبي:

لقد عمل السلطان صلاح الدين الأيوبي[1] على تأسيس الدولة الأيوبية في مصر والشام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي، وقد امتدت الفترة التي حكم فيها إلى خمس وعشرين سنة، قام أثناءها بالحروب والفتوحات مما ساعد على اتساع الدولة الأيوبية لتشمل بالإضافة إلى بلاد الشام ومصر اليمن وشمال الجزيرة العربية، وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي ت (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) انقسمت الدولة الأيوبية على نفسها، فقد قام السلطان صلاح الدين بتقسيم دولته بين أبنائه وأخيه العادل قبيل وفاته،مما أدى إلى وقوع مشاكل وحروب بين خلفائه، فصارت مصر ودمشق وحلب والكرك وبصرى وبعلبك وحمص وحماة مراكز الإمارات يحكمها بعض أبناء البيت الأيوبي الذين تلقبوا بالملوك[2]، وفي ذلك يقول القاضي الفاضل:" أما هذا البيت فإن الآباء فيه اتفقوا

---

(١) هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، اقبل على دمشق سنة (٥٧٠هـ/١١٧٥م) ومات سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣)م. أنظر ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج ٧،ص١٣٩، وسيشار إليه لاحقاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٢) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط٣،ج٢،ص٨٥٧، ١٩٧٦. وسيشار إليه لاحقاً: سعيد عاشور، الحركة الصليبية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فملكوا، والأبناء اختلفوا فهلكوا، وإذا غرب نجم فما في الحيلة تشريقة، وإذا بدا خرْق ثوبٍ فما يليه إلا تمزيقه"(١).

وقد استمر النزاع بين أبناء صلاح الدين وأقربائه مدة طويلة من الزمن إلى أن استطاع الملك العادل توحيد الدولة الأيوبية من جديد سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م)(٢)، وفي سنة (٥٩٨هـ/١٢٠٢م) قسم الملك العادل البلاد في حياته بين ابنائه، فجعل بمصر الكامل محمدا، وبدمشق والقدس وطبرية والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة ابنه المعظم عيسى، وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لأبنه الأشرف موسى، وأعطى "الرها" لشهاب الدين غازي، وقلعة "جعبر" لولده الحافظ أرسلان شاه، أما الملك العادل فكان له الأشراف التام على جميع تلك المناطق(٣).

وكانت الفترة التي حكم فيها العادل بلاد الشام فترة حافلة بالأحداث والوقائع الحربية، ولما توفي العادل سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، ثبت كل واحد من أبنائه في

---

(١) أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣،ص٤٢٠، جبران، نعمان محمود، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، اربد، مؤسسة حمادة، ٢٠٠٠م، ص١٣٦-١٥٤، وسيشار إليه لاحقا: نعمان جبران، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية،ج٢، ص٨٩٣.

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت(٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ، ج١٢، بيروت، طبعة بولاق، ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ص٣٥٢، وسيشار إليه لاحقا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ . ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت(٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٨-١٣٧٥/١٢٢٩-١٩٥٦م، ص٢٢٧، وسيشار إليه لاحقا: ابن تغرى بردي، النجوم الزاهره .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المملكة التي كانت معه قبل وفاة أبيهم، وساد بينهم الاتفاق فترة قصيرة، ثم قام الخلاف بين الأخوة والأقارب من جديد، فانقسم أبناء العادل على أنفسهم(١).

وفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) تقدمت جيوش الملك الكامل مع أخوته الأشرف والمظفر والعزيز والصالح نحو مدينة دمشق لمحاصرة الملك الناصر داود فيها، فقطعوا عن دمشق أنهارها وقنواتها، وكانت نتيجة ذلك الحصار تخريب قرى غوطة دمشق وتشريد أهلها، وإحراق الطواحين، والمدارس، والخانقاوات، والحانات، والدور والحمامات، بدمشق(٢).

ومن الطبيعي أن يطمع الفرنجة بالمسلمين بعدما رأوا ما بينهم من التقاتل والتناحر، واستطاع الإمبراطور فريدريك الثاني سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) أن يعقد معاهدةً مع الملك الكامل مدتها عشرة سنوات تسلّم على أساسها مدينة بيت المقدس، وقد نصّت هذه الاتفاقية على أن يأخذ الفرنجيون بالإضافة إلى بيت المقدس مدينة بيت لحم والناصرة، وتبنين، وصيدا، كما نصت على أن تبقى مدينة بيت المقدس على ما كانت عليه من الخراب وأن لا يجدد سورها وأن تكون سائر قرى القدس

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣١٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ج٧،ص٣٧٨، أبو شامة، شهاب الدين ت(٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الذيل على الروضتين تراجم القرنين السادس والسابع، عني بنشره عزت العطار الحسيني، ط١، القاهرة،(د.م)، ١٩٤٧،ص١٥٤. وسيشار إليه لاحقاً: أبو شامة،الذيل على الروضتين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للمسلمين، وأن لا يدخلها الفرنج الا للزيارة[1]، وكانت هذه المعاهدة مقابل تحالف الفرنجة معه ومناصرتهم له.

وقد وصف المقريزي مدى الأسى والحرقة التي لحقت بالمسلمين من هذه المعاهدة آنذاك بقوله: "فاشتد البكاء، وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذّنوا على بابه في غير وقت الآذان، وعظم على أهل الإسلام هذا البلاء، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشائعات عليه في سائر الأقطار"[2] أما في دمشق فقد أقيمت مجالس وعظ رثيت فيهن بيت المقدس بأشعار كثيرة وأقيمت المآتم[3].

وبعد وفاة الملك الكامل سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م)، تفككت الدولة الأيوبية في بلاد الشام، فدب النزاع بين الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل، وعمه الصالح إسماعيل ملك دمشق، واستعان الصالح أيوب بالخوارزمية للتقوى بهم ضد أفراد

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢،ج٥،بيروت ،دار المسيرة،١٩٧٥،ص١١٨، وسيشار إليه لاحقاً: ابن العماد، شذرات الذهب.

(٢) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي ت(٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط١، ج١،ق١،القاهرة، لجنة التأليف والنشر،١٩٥٦،ص ٢٣١، وسيشار إليه لاحقاً: المقريزي،السلوك.

(٣) ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ت(٧٣٢هـ/١٣٣٢م) المختصر في أخبار البشر، ط١،ج٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ص٢٤٠، وسيشار إليه لاحقا": ابو الفداء، المختصر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اسرته(١)، فأغاروا على حلب ونهبوها سنة(٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، وقتلوا الأطفال، وارتكبوا الفواحش في الجوامع علانية(٢) وفي سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) أغاروا على غوطة دمشق، ثم هجموا على القدس واعملوا السيف في سكانها، وسبوا النساء والأطفال وهدموا المباني، ثم ساروا إلى غزة(٣) ،وقد أدت استعانت الصالح نجم الدين أيوب بالخوارزمية إلى تحالف الصالح اسماعيل مع الفرنج(٤)، مما دفع الملك الصالح نجم الدين ايوب أيضا"إلى الاتصال بالمماليك لمساعدته بنزع الملك من أخيه العادل، ثم تطورت الأمور بين الأيوبيين والمماليك وبذلك حدث انقسام كبير بين المسلمين في مصر وبلاد الشام، فقد أقام المماليك دولة لهم في مصر، ورفض الأيوبيون الاعتراف بهذا الحكم(٥)، وأصبح في المشرق الإسلامي قونان متنازعتان، ولايات الشام ويحكمها الأيوبيون، ومصر يحكمها المماليك، وقامت الحروب بينهما، فاستغل الفرنجة ذلك لتحقيق أهدافهم وأطماعهم(٦).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) نصر، سوسن محمد، بنو أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك في شمال الشام والجزيرة، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مج ٣٠، ١٩٨٣، ص ٦٢-٧٣،وسيشار إليه لاحقاً: سوسن نصر،بنو أيوب مع الخوارزمية.

(٢) المقريزي، السلوك،ج١،ق١،ص٣٠٣.

(٣) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص،١٦٩.

(٤) ابو شامة، المصدر نفسه، ص١٦٥، المقريزي، المصدر نفسه، ج١،ق٢،ص٣٠٢.

(٥) يوسف، جوزيف نسيم، العدوان الفرنجي على بلاد الشام، ط٤،بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م،ص١٤٤، وسيشار إليه لاحقا":جوزيف نسيم، العدوان الفرنجي.

(٦) كردعلي، محمد ، خطط الشام، ط١،ج٢، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٦٩، ص١٠٦، وسيشار إليه لاحقا": كردعلي، خطط الشام.

الحروب الفرنجية:

لقد كان للأوضاع السياسية والانقسامات الداخلية في القرن السابع الهجري والمتمثلة بالخلاف على السلطة والنفوذ بين أبناء البيت الأيوبي إثر وفاة صلاح الدين ومن ثم بين المماليك من أتراك وجراكسه ،فضلاً عن ظهور محاولات إنفصال عن السلطة المركزية في مصر وبلاد الشام طيلة هذا القرن كما خلّفت حركات الأعراب وضعاً أمنياً مضطرباً بسبب تناقض ولائها للسلطة وزاد الأمر سوءاً تدخل الحاشية وتعاظم نفوذها أثرّ في تسهيل احتلال الفرنجة للمزيد من المدن والقلاع على الساحل الشامي في هذا القرن، فبعد وفاة الملك العادل قام الملك الكامل سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) بمهاجمة معسكر الفرنجة في موقع (بورة) المواجهه لدمياط، فعبر النيل على رأس أربعة آلاف من رجاله، ولكن الفرنجه تغلبوا على جيشه فتراجع الكامل ورجاله[١].

وفي سنة (٦١٦ هـ/١٢١٩م) حاصر الفرنجة مدينة دمياط تسعة أشهر، واقتحموها بعد ذلك، ووضعوا بأهلها السيف قتلا وأسرا، وباتوا تلك الليلة يفجرون بالنساء..[٢]، ثم أن الملك الكامل استجمع قوة جيوشه واستطاع تحرير دمياط سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م)[٣].

---

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٩،ص٣١٦.

(٣) ابن الأثير، المصدر نفسه،ج٩،ص٣١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) استرد الملك الناصر داود "صاحب الكرك" القدس عنوة" بعد أن حاصرها واحداً وعشرين يوماً[١] ،ثم وفي سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) عقد الملك الصالح إسماعيل والملك الناصر داود حلفا مع الفرنجة ، وكان سبب هذا التحالف النزاع الذي كان بينهما وبين الملك الصالح أيوب، وتنازلا للفرنجة بموجب هذا التحالف عن أجزاء كبيرة من فلسطين والأراضي المقدسة في بيت المقدس[٢]، واستمر نضال المسلمين بعد ذلك لاسترجاع بيت المقدس إلى أن تمكن الصالح أيوب بعد أن استعان بالخوارزمية من استرجاعها نهائياً سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)[٣].

وفي سنة(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) قام المماليك بقتل توران شاه ابن الصالح أيوب، فقضوا بذلك على الحكم الأيوبي في مصر[٤]، ثم قاموا بالقضاء على الحكم الأيوبي في الشام أثر موقعة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، فأصبحت الشام

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٨٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦ج،ص٣٢١.

(٣) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر ج٢،ص٢٧٦.

(٤) أبو الفداء، المصدر نفسه، ج٢،ص،٢٨٨.

- Setton: AHistory of the crusades, Pensylvania ١٩٨٥, Vol.٢, pp. ٧٣٨- ٧٣٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومصر تحت حكمهم[1]، وتسنى لهم بعد ذلك القضاء النهائي على الوجود الفرنجي في بلاد الشام.

وقد كانت فترة حكم السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/١٢٦٠م ـــ ٦٧٦ هـ/١٢٧٧م) فترة مليئة بالمعارك والأحداث السياسية، فقد قام بتحرير حصون عديدة من الحصون التي استولى عليها الفرنجة في بلاد الشام سنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م)[2]، كما حرر قيسارية ويافا سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٥م)، وحرر صفد وتبنين والرملة سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) ،وحرر أنطاكية سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)[3].

واستمرت مسيرة المماليك في تحرير بلاد الشام وما حولها، ففي سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) هاجم قلاوون الاسبتارية في حصن المرقب، وهو من أخطر الحصون الفرنجية في بلاد الشام واستولى عليه مما سبب خسارة كبيرة للفرنجة[4]، وفي سنة (٦٨٦هـ/١٢٨٧م) تم للسلطان قلاوون الاستيلاء على اللاذقية، وسنة

---

(١) - Wiet G: L.Egypte Arabe. Paris, ١٩٣٧.p.٣٨٢.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٤،ص١٥٤.

(٣) سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك،(د.م)،(د.ن)،١٩٨٨م،ص٢٣٣، وسيشار إليه لاحقا": سعيد عاشور، مصر والشام.

(٤) ابو الفداء، المختصر، ج٢،ص٣٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(٦٨٨هـ/١٢٨٩م) استسلمت له طرابلس، ولم تلبث الحصون المحيطة بطرابلس أن تتابعت في السقوط واحدا تلو الآخر[١].

ثم تتابعت عمليات تحرير المسلمين للحصون والمدن التي استولى عليها الفرنجة، فكان فتح مدينة عكا سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) على يد الملك الأشرف خليل بعدما حاصرها ورماها بالمجانيق رمياً متواصلاً، وقد كانت هذه الضربة الكبرى والختامية التي نزلت بالفرنجة في بلاد الشام، ولم يبق لهم بعد ذلك مقام في بلاد الشام، فقد تمكن المسلمون من الاستيلاء بسهولة على باقي المراكز الفرنجية المتبقية مثل صيدا وصور[٢].

العدوان المغولي:

بدأ المغول بالزحف إلى بلاد الشام مجتاحين في طريقهم جميع الممالك الإسلامية، بدءاً بالدولة الخوارزمية وانتهاءً بالدولة العباسية في بغداد التي تم اسقاطها سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ولقد شكل سقوط بغداد منعطفا" تاريخيا" اثر في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لبلاد الشام ، وقد كانت بلاد الشام في تلك الفترة مثخنة بالجراح بسبب الوجود الفرنجي من جهة، وخلافات السلاطين الأيوبيين وصراعاتهم من جهة أخرى، وقد استطاعت جيوش المغول الاستيلاء على مدينة

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٧،ص٣٢٠.

(٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢،ص٣٥٩، المقريزي، السلوك، ج١،ق٣،ص٧٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حلب بعد حصار استمر سبعة أيام سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[١]، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، وساقوا الأسرى والغنائم إلى دمشق[٢]، ثم قاموا بالاستيلاء على دمشق بعد أن رموها بالمنجنيق ودمروا بعض مبانيها وسورها، وأثاروا الرعب في قلوب سكانها من خلال بعض الأعمال التي قاموا فيها كالتطواف برأس مقطوع مرفوع على رمح قيل إنه رأس الملك الأيوبي "الكامل بن شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميافارقين"، ثم قاموا بتعليق ذلك الرأس على باب الفراديس وكان هذا الملك قد كان من الملوك الأيوبيين القلائل الذين قاوموا الزحف المغولي مما أدى إلى تخاذل ملوك بني أيوب في الشام وتسارعهم إلى تقديم الولاء والطاعة للمغول[٣]، وبعد ذلك هدموا الجوامع، وقتلوا كثيرا من فقهاء المسلمين، وقيل إنهم سبوا الكثير من النساء والأطفال من حلب وحدها[٤].

وبعد أن تم للمغول الاستيلاء على حلب ودمشق قصدوا بعلبك، واتجه بعضهم إلى غزة وملئوا البلاد قتلاً ونهباً[٥]، ثم بعث هولاكو رسالة شديدة اللهجة إلى السلطان قطز في مصر هدده من خلالها ودعاه إلى تسليم بلاده للجيوش المغولية، إلا أن السلطان قطز استجمع قواه واتجه بجيوشه إلى فلسطين وقاتل

---

(١) - Mustafa M.ziada, The Mamluk Sultan. Vol. ii. Pp.٧٤٤-٧٤٥

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٠٣، نعمان جبران، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٦٦-٢٧٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٤٢٢.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣١٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المغول وهزمهم هزيمة شنعاء في عين جالوت، فانسحبوا من بلاد الشام، ثم أصبح المغول بعد ذلك يقومون بغارات على بلاد الشام، وقد قام السلطان بيبرس بمقاومة هذه الغارات(١)، وفي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) جاء الخبر إلى دمشق بأن المغول ينوون التوجه إلى بلاد الشام،" فاجتمع الناس في جامع دمشق وتضرعوا إلى الله، وضجوا وبكوا، وحملوا المصحف العثماني على الرؤوس"(٢)، فانبرى الملك المنصور قلاوون لهم وتغلب عليهم بعد قتال مرير(٣).

وبقيت بلاد الشام مهددة بغزوات المغول بين الحين والآخر حتى نهاية القرن السابع الهجري، ففي عام (٦٩٩هـ/١٣٠٠م) توغلت جيوش غازان ملك المغول في بلاد الشام وقتلوا ونهبوا، فخرج جيش كبير من المماليك يرأسه السلطان الناصر محمد بن قلاوون متوجها إلى الشام، واستطاع دخول دمشق، واحتفل به أهل دمشق، الأمر الذي استثار غازان فخرج من بلاده سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٣م) قاصداً غزو الشام من جديد، فتقابل الجيشان في موقعة مرج الصفر التي دارت أحداثها قرب دمشق، وحلت الهزيمة القاسية بالمغول(٤).

---

(١)محمد بن شاكر الكتبي ت(٧٦٤هـ/١٣٧٢م) فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، بيروت،دار الثقافة، ١٩٧٣م،ج١،ص٢٣٨، وسيشار إليه لاحقا : ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات.

(٢) محمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ج١، ٢٠٠٥، ص١١٨.

(٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٠٥.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١،ق٢،ص٤٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً : الأوضاع الاجتماعية

عند الحديث عن الأوضاع الاجتماعية في بلاد الشام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي تبرز سلسلة من العوامل التي أدت إلى التأثير على الأوضاع الاجتماعية، ومن أهم هذه العوامل الوجود الفرنجي الذي فرض على بلاد الشام في تلك الفترة وتنوع العناصر البشرية التي اختلطت بالمجتمع الشامي، كالأكراد والترك والروم والفرس، مما أبرز الاختلاف في العادات والتقاليد والأخلاق، أضف إلى ذلك ما شهدته المنطقة من تغييرات متتالية للطبقات الحاكمة والتنازع فيما بينها.

وتألف المجتمع الشامي من حضر وبدو، فالحضر هم أهل المدن والقرى الشامية الذين عملوا في النشاط الاقتصادي من صناعة وتجارة وزراعة، والبدو هم العشائر التي كانت منتشرة في بادية الشام[1]،وبالنسبة لطبقات المجتمع في بلاد الشام فقد قسمها المقريزي إلى سبع طبقات تقسيما تنازلياً، فذكر طبقة أهل الدولة، وهم الملوك والسلاطين، ثم طبقة أهل اليسار من التجار، فطبقة الباعة متوسطي الحال من أصحاب المعايش والسوقة، فطبقة أهل القلة، وهم أهل الزراعات والحرث سكان القرى والريف، ثم طبقة الفقراء: وهم جلُّ الفقهاء وطلاب العلم فأرباب الصنائع

(١) سعيد عاشور، مصر الشام في عصر الأيوبيين والمماليك،ص٣١٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والأجراء وأصحاب المهن، وأخيراً ذوو الحاجة والمسكنة أهل السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم(١).

والذي يظهر من خلال هذا العرض لطبقات المجتمع في بلاد الشام في فترة الدراسة أن المجتمع بشكل عام كان منقسماً إلى طبقتين رئيسيتين: أحداهما طبقة الأمراء وأصحاب الإقطاع من كبار التجار والأثرياء، والثانية طبقة فئات المجتمع الفقيرة التي تساوت في الفقر والبعد عن السلطة.

أما موضوع التفاوت الشديد بين طبقات المجتمع الشامي، فقد زاد من حدته الإسراف الذي عرف عن بعض ملوك بني أيوب وظلمهم للرعية دون وجه حق، فالملك الناصر داود الذي ملك الكرك، على سبيل المثال، روي عنه أنه كان إذا دخل مجلس شرابه وأخذ منه السكر، كان يقول: "اشتهي أن أرى فلاناً طائراً في الهواء، فيرمي ذلك المسكين بالمنجنيق، ويراه وهو طائر في الهواء، فيضحك ملء شدقيه، ثم يقول : أشتهي أن أشم رائحة فلان وهو يشوى،فيحضر من يطلبه، ويقطع لحمه، ويشوى وهو يضحك من فعلهم بذلك المسكين"(٢)، وقد شهدت تلك الفترة أنواعا من التعذيب التي كانت تقع على الضعفاء من قبل الأقوياء، وقد ذكر أبو شامة المقدسي شيئا من ذلك عندما رأى مملوكا تركيا كان لبعض الأمراء الصالحية

(١) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، (د.م)، مؤسسة ناصر للثقافة، (د. ت)، ص١١١، وسيشار إليه لاحقا : المقريزي، إغاثة الأمة .

(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٤٢٨،٤٢٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

النجمية اتّهم بقتل سيده، لأن هذا السيد راوده عن نفسه فأبى، حيث قال:"لقد جاء بنفسه للصلب غير ممتنع ولا جازع، بل مد يداه، ثم سمّرت رجلاه وهو ينظر لم يتأوه ولم يتغير وجهه ولا خرب شيءٌ من أعضائه.. وبقي إلى أن مات صابرا ساكناً لم يئن.."[1]

أما على صعيد العلاقات الإسلامية الفرنجية فإنها كانت تتسم في أغلب الأحيان بالتعامل الودي على الرغم من الحروب التي كانت سجالا بين الطرفين، فمن أمثلة ذلك أن الملك الصالح قد سمح للفرنج سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) بشراء الأسلحة والذخائر من دمشق، فدخلوا إلى دمشق وحصل بينهم وبين تجارها معاملات[2]، وهكذا اختلط الفرنج بالمسلمين، وأخذت مجالات التأثر والتأثير مجراها الطبيعي في ظروف كهذه، فتعلم بعض الفرنج اللغة العربية، وصاروا يكتبون بها، ويتقنون الكلام بها، ومن الأمثلة على ذلك الملك الفرنجي (فريدرك الثاني) الذي كان يتكلم اللغة العربية ويتقن كتابتها، وكان أغلب الحوار الذي يتم بين العربي والفرنجي باللغة العربية، فلم يحاول أغلب العرب تعلم اللغة الفرنجية، وكذلك كانوا يتفاهمون مع بعضهم بواسطة التراجمة من الفرنج الذين تعلموا اللغة العربية[3].

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٨٠.

(٢) المقريزي السلوك، ج١، ق١،ص٣٠٣،ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥،ص٧٤.

(٣) ابن شداد، بهاء الدين ت (٥٨٩ هـ/١١٩٣م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط١، القاهرة ،الدار المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٦٤،ص٣٢، ٣٣.وسيشار إليه لاحقا: ابن شداد، النوادر السلطانية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد أدى وجود الفرنجة في الشام إلى زيادة انتشار الخمور واتخاذ أسواق خاصة لها، مما حذا بالملك العادل إلى إصدار مرسوم سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) يمنع فيه شربها، إضافة إلى ما أصدره سلاطين المماليك من منعها، ولكن الناس لم يستجيبوا لذلك في كثير من الأحيان، بل كانوا يجعلون زقاق الخمر في الطبول ويدخلون بها إلى المدن[١].

وكثر الرقيق من سبي الحروب في بلاد الشام في نهاية القرن السادس الهجري، وانتشرت أسواق الرقيق في المدن، كسوق الرقيق في دمشق[٢] وفي منتصف القرن السابع الهجري كان المغول يسبون النساء والأطفال من المدينة التي يستولون عليها، ويحملونهم معهم ليبيعوهم في أسواق رقيق مدن أخرى يصلون إليها ويحتلونها[٣]، ففي سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) بيع كل من النساء والأطفال الذين سبوا من مدينة حلب في دمشق بأبخس الأثمان، وبالمقابل غنم المسلمون أثر احتلال حصون الفرنجيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري أعداداً كبيرة من النساء والأطفال الفرنج، وباعوهم في المدن الشامية، فقد حرر المسلمون مدينة أنطاكية سنة (٦٦٧هـ/١٢٦٩م) وغنموا منها كثيراً، ومن كثرة ما غنموا لم يبق

(١) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١١١.

(٢) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٨٢.

(٣) أبو شامة المصدر نفسه، ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غلام في دمشق إلا وله غلام، وبيع الغلام الصغير باثني عشر درهماً، وبيعت الجارية بخمسة دراهم(١).

وشهد القرن السابع الهجري تزايداً في مظاهر التصوف، فاتخذ التصوف صورة اجتماعية تتمثل في الانصراف عن الحياة الدنيا والابتعاد عن الترف والرضا بالفقر، ويبدو أن ذلك كان كرد فعل للإرهاق النفسي والمادي والاجتماعي الذي لحق فئات الشعب الفقيرة في بلاد الشام آنذاك، واحتضن ملوك بني أيوب وسلاطين المماليك المتصوفة، ودفعوا لهم أجراً يكفيهم السؤال، وبنوا لهم الخانقاوات، وجعلوا لكل خانقاه شيخاً يسمى "شيخ الشيوخ"، وكان الشيخ يقوم على تربية المريدين، وهكذا أصبحت الخانقاه مكاناً منقطعاً للرياضة الصوفية يجتمع فيها الفقراء والمعدمون حول الشيخ، فيأخذ بهم في طريق صارم من العبادة والذكر، ويعلمهم على استعمال رموز معينة لا يعلم مدلولاتها سواهم(٢).

وفي هذا القرن جرت محاولات للقضاء على المذهب الشيعي، وتقوية دعائم المذهب السني في بلاد الشام ومصر، وأنشأت المدارس في سبيل ذلك لنشر المذهب السني(٣)، وقد سار المماليك على نفس النهج الذي سار عليه الأيوبيون(٤). ولكن رغم كل ما بذل في سبيل اقتلاع جذور التشيع في هذه الفترة إلا أن الشيعة

(١) المقريزي، السلوك، ج١،ق١،ص٥٦٨.

(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١٨٤.

(٣) سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٢٧٢.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين،ص٢٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لعبت دورا كبيرا في الأحداث التي شهدتها بلاد الشام، فقد اختصت فرقة الإسماعيلية بعمليات الاغتيال، وكانوا لا يتورعون عن اغتيال كثير من الشخصيات الإسلامية أو الفرنجية على حد سواء، وهذا ما دعا السلطان الظاهر بيبرس للقضاء عليهم والاستيلاء على الأماكن التي كانوا يتحصنون فيها(١) وهناك فرقة "المتاولة" الشيعية التي كانت تسكن شمال لبنان، وقد تعرضوا لأنواع متعددة من الاضطهاد نظرا لتطرفهم في مذهبهم(٢)، ومنهم كذلك الكسروانيون الذين كانوا من النصيرية والعلويين والمتاولة (٣).

وقد وجد في بلاد الشام اتجاهات مذهبية أخرى كالتنوخيين الذين اعتنقوا الدرزية، وكانوا يسكنون في جبل لبنان، وكانوا مذبذبين بين ولائهم للصليبيين حينا، وللأيوبيين حينا، والمماليك حينا آخر(٤).

وكان للعلماء في مجتمع بلاد الشام مكانةٌ مرموقة، حتى إن بعضهم كان يتصدى للملوك والسلاطين في حال وقوع مظلمة على الناس، ومثال ذلك شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، فقد تجنب الثناء على الملوك في خطبة، ويروي ابن العماد أن العز بن عبد السلام قد امتنع عن مبايعة الظاهر بيبرس في أول

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٥٧.

- R.A.Nicholson:ALiterary History of TheArabs.p.٤٤٥.London:Cambridge University Press.١٩٧٦.

(٢) سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين، ص٣١٤.

(٣) سعيد،عاشور، المصدر نفسه، ص٣١٥.

(٤) سعيد عاشور، المصدر السابق، ص٣١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأمر،حتى أنه كان ذا مهابة وجرأة في الحق، فلما بلغ السلطان بيبرس خبر وفاة العز بن عبد السلام قال: "لم يستقر ملكي إلا الساعة، لأنه لو أمر الناس بما أراد لبادروا بامتثال أمره"(١).

واهتم ملوك بني أيوب بالعمارة، فأنشأوا المدارس والفنادق والمساجد،ففي سنة (٦١١هـ/١٢١٤م) أنشأ الملك المعظم عيسى الفندق الكبير المنسوب إليه بأرض عاتكة قرب دمشق، كما شرع في تبليط رواقات الجامع الداخلية بالرخام، وهدم الدور المجاورة للقلعة ووسع الخندق، وبنى المدرسة العادلية، وشارك هو والملك الصالح اسماعيل في إنشاء الكثير من المشاريع العمرانية (٢).

وكذلك فعل سلاطين المماليك، فقد اهتموا بالمشروعات العمرانية الواسعة فقاموا ببناء المدارس، والمساجد والخانات، والخانقاوات والربط، فعلى سبيل المثال أنشأ السلطان الظاهر بيبرس خانا في مدينة القدس، وأوقف عليه بعض القرى القريبة من المدينة، وصرف ريعها في الخبز والنقود وإصلاح نعال من يرد إلى الخان من المسافرين المشاة، وبنى له طاحوناً وفرناً(٣)، وكان الملك الأشرف صلاح الدين بن السلطان المنصور قلاوون الذي تسلم الحكم في ديار الشام ومصر

(١) ابن العماد، شذرات الذهب ،ج٥،ص٣٠٧

(٢) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٨٧.

(٣) أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٧،ص١٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(٦٨٩هـ/١٢٩٠م- ٦٩٣هـ١٢٩٤م) مغرماً بهدم الأماكن وعمارتها، فقد أمر بهدم الأماكن المجاورة للميدان بدمشق وإعادة بنائها(١).

والتزم ملوك بني أيوب بالحفاظ على أحياء المناسبات الدينية الاجتماعية وكل ذلك داخل الاطار السني (٢).

أما تقاليد المجتمع الشامي وأخلاقه، فقد لعبت بعض المؤثرات دوراً هاماً في تشكيلها جاءت من جراء اختلاط العناصر غير العربية مع أفراد المجتمع الشامي منذ القرن السادس الهجري، فملوك بني أيوب حرصوا على الإكثار من شراء المماليك والرقيق الأبيض، فامتلأت قصورهم بالكثير منهم، واعتنوا بتدبيرهم ونشأتهم ليكونوا لهم سندا، ومع مرور الأيام أصبح لهؤلاء المماليك نفوذ في مختلف الإمارات في بلاد الشام، وسرعان ما غدا لهم كلمة مسموعة في الأحداث والخلافات، وازدادت سطوتهم وسيطرتهم، فهم الذين دبروا مؤامرة لعزل الملك العادل الثاني وإحلال الصالح نجم الدين أيوب مكانه في السلطة سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)(٣).

---

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،ج١،ص٤٨٠.

(٢) المقريزي،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، (د.م)، دار التحرير للطبع والنشر، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ،ج٢،ص٢١٠، وسيشار إليه لاحقا : المقريزي، الخطط .

(٣) سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١٥٢،١٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية

لقد كانت المدن الشامية التي تعرضت للهجمات الفرنجية مراكز للتجارة بين أوروبا والشرق العربي، فكانت مدينة صور في عهد الفرنجيين تنتج المصنوعات الزجاجية والفخارية والقماش بالغ الرقة والنعومة[١] كما أنها كانت تعدُّ من أهم الثغور في بلاد الشام آنذاك باعتبارها مدينة ساحلية[٢].

أما مدينة صفد فكانت من المناطق التي ابتنى فيها الفرنجيون القلاع والحصون للدفاع عن الساحل من مدينة يافا إلى مدينة صور، فظلت المدينة في عهد المماليك مركزاً تجارياً ذا شأن عظيم[٣].

وقد نشأت علاقات تجارية بين الفرنج والمسلمين، فتاجروا بالقمح والكتان والبهارات إضافة إلى الفضة [٤]، ولوقوع مدن الشام على طرق التجارة بين الشرق والغرب زادت أعمالها التجارية، وكانت الطرق المؤدية إلى المدن التجارية عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج إليه المسافر من زاد وعلف، وكان الأمن مستتباً

---

(١) - Hilmer G.Gruger: The Waues of Exchang in the Genoese African Traffic of the Twelvth century.p.٦٤،٧١.Speculum vol x ii, ١٩٧٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها الى العربية أحمد الشنتاوي وآخرون، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، ج١٤،ص٣٦٨. وسيشار إليها لاحقاً: دائرة المعارف الإسلامية.

(٣) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين ،ج٢،ص٩٥.

(٤) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين ج٢٠،ص١٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على هذه الطرق، كما أن المسافر من الشام إلى مصر كان يمر بعدة مراكز، وكانت هذه المراكز مزودة بمسجد وخان حصين يأوي إليه من ألجأه المساء[١].

وازداد النشاط التجاري في بلاد الشام بعد الغزو المغولي لبغداد، فلم يبق طريق أمام الغرب للحصول على منتجات الشرق الأقصى إلا عن طريق دولة المماليك مما جعل تلك الدولة تحصّل الأرباح الطائلة[٢]، وكان المماليك يستمدون الأخشاب والحديد اللازم لصنع السفن من تجار البندقية[٣]، وبعد سقوط عكا سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) عقد السلطان قلاوون معاهدة صداقة بينه وبين الملك هنري الثاني، وأخذت العلاقات التجارية تعود إلى وضعها السابق بين عكا وصور وبيروت من جهة، وبين البلاد الإسلامية داخل بلاد الشام من جهة أخرى[٤]، وأعطي المزارعون الفرنج الحرية الكاملة في التنقل من أجل تسويق منتجاتهم[٥].

وكنتيجة حتمية لزيادة النشاط التجاري برزت الحاجة لمزيد من النقد، فأدى ذلك إلى إنشاء إدارة مالية، وبالتالي زيادة كمية النقود المتداولة، ومن أنواع النقود التي كثر التداول بها الدينار الصوري، وهو أربعة وعشرون قيراطاً، وقال

---

(١) المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٤٠٠.

(٢) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج٢،ص١٢٠٠.

(٣) Runciman: AHistory of the crusades , Cambridge, ١٩٥٧. Vol. ٢, p.١٠٢-١٠٣

(٤) الزركاني، خليل، العلاقات الاقتصادية في الحروب الفرنجية، مؤتمر بلاد الشام في فترة النزاع الاسلامي الفرنجي ٤٩١-٦٩٠هـ ،المنعقد في جامعة اليرموك،تحرير سليمان الخرابشة وآخرون، مطبعة جامعة اليرموك، ٢٠٠٠، ص٨٢٣-٨٣٠، وسيشار إليه لاحقا : الزركاني ، العلاقات الاقتصادية .

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨،ص٢٩٩.

القلقشندي في وصف هذا الدينار:"دنانير يؤتى بها من البلاد الفرنجية والروم، وهي معلومة الوزن، على أحد وجهيها صورة الملك التي تضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس "(١).

ومن آثار النمو الاقتصادي في تلك الفترة الغنى الذي حصلته طبقة من الناس مثل الأمير "سلار الصالحي المنصوري" الذي جمع من الذهب قناطير مقنطرة حتى اشتهر على ألسنة الناس أنه كان يدخله في اليوم مائة ألف درهم(٢)، وكذلك التاجر نجم الدين أبي العباس أحمد بن المظفر الحلي الذي أصاب غنى فاحشاً من تجاراته، وأصبح ذا منزلة مرموقة وثروة باهظة (٣).

وظهر في هذه الفترة النظام الإقطاعي متخذاً طابعاً حربياً اقتصادياً (٤)ذلك أن حكام وملوك الدولة الأيوبية كانوا يجدون أنفسهم بحاجة إلى المحاربين المزودين بالخيل والسلاح، مما كان يتطلب إنفاق الأموال التي لا تتحملها خزينة الدولة، لذلك قاموا بتوزيع الأراضي في صورة اقطاعات على الأمراء والأجناد مقابل تأديتهم

(١) القلقشندي، المصدر السابق، ج٣،ص٤٣٧.

(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٢،ص٨٦-٨٨.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨،ص٣٤٨.

(٤) الزركاني، خليل، تطور الإقطاع العسكري وانتقاله وأثره في بلاد الشام حتى نهاية الدولة الأيوبية (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، المؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام، تشرين ثاني، ٢٠٠١،ص ٤٨٤، وسيشار إليه لاحقا: الزركاني، تطور الإقطاع.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للخدمة العسكرية، ولم يكن هذا الاقطاع متوارثاً، بل كان للمقطع الحق في التمتع بالأرض المقطعة له طالما كان يؤدي الخدمة العسكرية[١].

وتنوعت الضرائب في القرن السابع الهجري في بلاد الشام، فكان الفرنجيون يأخذون من المسلمين المتواجدين في الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها ضرائب عينية، وضرائب مالية، وفرض الأيوبيون والمماليك ضرائب مختلفة، كضرائب الدور والطواحين والأراضي الموقوفة[٢]، واشتط بعض سلاطين المماليك في فرض الضرائب، فقد فرض السلطان الظاهر بيبرس ضريبة على البساتين في دمشق، وحاول احتكار الإنتاج الزراعي للقرى المحيطة بها، مما اضطر أهل دمشق لدفع ضريبة سنوية مقدارها ألف ألف درهم[٣].

وبما أن الزراعة كانت تعتمد على الأمطار فقد كانت تمر حالات من انحباس المطر مما يؤدي إلى حصول الغلاء والمجاعات، كالغلاء الذي حصل في سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وسنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)[٤]، وقد كانت تؤدي حالات الغلاء إلى ثورات متتالية، وكان الغلاء يشتد أثناء حصار المدن نتيجة لخلافات بني أيوب، حتى أن بعض الناس كانوا يموتون جوعاً، فعندما قام الخوارزمية سنة

(١) سعيد عاشور، مصر الشام في عصر الأيوبيين والمماليك،ص١٢٦.

(٢) ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة ت (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨،ص٧١،وسيشار إليه لاحقا: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق.

(٣) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٤) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(٦٤٣هـ/١٢٤٧م) لمهاجمة دمشق فقتلوا ونهبوا، واشتد الأمر على أهل دمشق واشتد الغلاء إذ بلغ ثمن غزارة القمح ألفا وثمانمائة درهم من الفضة، ومات الكثير من الناس جوعا، وكثر الموتى في الطرق لعجز الناس عن مواراة موتاهم(١).

وأثّر العدوان المغولي بصورة سلبية على الحالة الاقتصادية في بلاد الشام، إذ أن أعدادا كبيرة من الناس قد تركوا منازلهم ومشاغلهم عندما وصلهم نبأ العدوان، وهاموا في البراري، وتحصنوا بالجبال والقلاع، ومات منهم خلق كثير نظرا إلى الأحوال الجوية التي كانت وقتها، حيث صادف ذلك أيام الشتاء(٢)

رابعاً: الأوضاع الثقافية

لقد شهد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي نشاطا ثقافياً ملموساً في بلاد الشام، تجلى بكثرة إنشاء المدارس والمكتبات، فقد ذكر ابن خلكان عندما زار حلب سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) أنها كانت أم البلاد لكثرة العلماء فيها(٣)، وذكر النعيمي(٤) عند حديثه عن المدارس في بلاد الشام ستاً وستين مدرسة أنشئت في القرن السابع الهجري للمذاهب الأربعة منها مدرستان للمالكية، وثمان مدارس

(١) أبو شامة، المصدر نفسه، ص١٧٥، المقريزي، السلوك، ١ج،ق٢، ص٣٢٢، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ج٦،ص٣٢٥.

(٢) أبو شامة، المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٤٨.

(٤) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٨، أنظر ج١،ج٢،وسيشار إليه لاحقا: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للحنابلة، وخمس وعشرون مدرسة للحنفية، وواحد وثلاثون مدرسة للشافعية، كما أورد ذكر ثلاث مدارس أنشئت لدراسة الطب، ولا شك بأن هذا العدد الكبير من المدارس يدل على وجود نهضة ثقافية واضحة في ذلك العصر، حيث إن هذه المدارس قد اشتملت على دور القرآن الكريم، ودور الحديث الشريف، وكانت تعلم الحديث النبوي،وعلوم القرآن، واللغة والنحو والصرف، والبلاغة، والعروض والعلوم التاريخية، وغير ذلك.

وكان لملوك بني أيوب الأثر الواضح في المساهمة ببناء دور العلم وكان على رأسهم في ذلك صلاح الدين الأيوبي الذي أسس مدارس متعددة في المدن الشامية الهامة كالمدرسة الصلاحية بالقدس، والمدرسة التقوية في دمشق وكانت من أجلّ مدارس دمشق داخل باب الفراديس وسميت نظامية الشام"[1]، وكذلك اهتمت الأميرات الأيوبيات ببناء المدارس منهن "ست الشام" أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي التي أنشئت مدرستين للشافعية هما: الشامية البرانية، والشامية الجوانية[2] أضف لذلك أن كثيرا من التجار والعلماء قد ساهم في إنشاء المدارس منهم على سبيل المثال: أبو بكر بن عياش التميمي الجوهري الذي وقف المدرسة الجوهرية في دمشق على مذهب الحنابلة سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)[3].

(١) النعيمي، المصدر نفسه، ج١،ص٢١٦

(٢) النعيمي، المصدر نفسه،ج١،ص٢٧٧

(٣) النعيمي، المصدر السابق، ج١،ص٤٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعمل سلاطين المماليك كذلك على إنشاء أعداد كبيرة من المدارس في كافة أنحاء البلاد[١]، ومن ذلك دار الحديث الدوادارية التي وقفها الأمير علم السدين سنجر الدوادار سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) [٢]، والمدرسة الظاهرية "الجوانية" التي أنشأها الظاهر بيبرس في دمشق[٣].

وقصد كثير من العلماء بلاد الشام للتدريس في مدارسها[٤]، فقدم سيف الدين بن أبي علي بن محمد الآمدي ت(٦٣١هـ/ ١٢٣٤م) إلى دمشق من مصر وولي التدريس في المدرسة "العزيزية" وهي من مدارس الشافعية وقدم سبط ابن الجوزي ت(٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) إلى دمشق من بغداد حوالي سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م) ودرس في عدة مدارس منها المدرسة "البدرية" والمدرسة "العزية" والمدرسة الشبلية"[٥]، وقدم تقي الدين بن الصلاح البصيري ت(٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) إلى القدس من خراسان وتولى التدريس بالمدرسة الناصرية ثم تولى بعد ذلك التدريس في دار الحديث بدمشق ثم درس في المدرسة التي بنتها "ست الشام"[٦].

---

(١) صادق آنينه وند، الحياة الفكرية في العصر المملوكي، دمشق، مجلة التراث العربي، عدد٣٠، ١٩٨٨،ص٩١، وسيشار إليه لاحقا : آنينة وند ، الحياة الفكرية.

(٢) النعيمي، المصدر السابق، ج١،ص٤٠٠

(٣) النعيمي، المصدر السابق، ج١،ص٣٩٣.

(٤) نقولا زيادة، الحياة العلمية في بلاد الشام أيام المماليك، دمشق، مجلة التراث العربي، عدد ٥٥، ١٩٩٤، ص٥٣-٥٦، وسيشار إليه لاحقا : نقولا زيادة، الحياة العلمية.

(٥) النعيمي، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٨.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٤٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أضف لما تقدم أن القرن السابع الهجري شهد نشاطاً ملحوظاً في التأليف من ناحية وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات من ناحية أخرى، وشملت العناية بالكتب كل المشتغلين بالعلم والأدب من العلماء والأدباء والمفكرين، فقد كان يوجد في كل مدرسة من مدارس الشام خزانة للكتب، كالمدرسة الأشرفية بدمشق والمدرسة العادلية، والمدرسة العمرية، والمدرسة الناصرية[١]، كما ضمت أغلبية المساجد مكتبات احتوت على مختلف أنواع العلوم كالمكتبة التي بالجامع الأيوبي بدمشق، كما ضمت الربط والخوانق مكتبات أحتوت على أصناف متعددة من العلوم[٢].

وعمل ملوك بني أيوب وسلاطين المماليك من بعدهم على إنشاء مكتبات خاصة بهم، وتبعهم في ذلك الوزراء، والعلماء، والأدباء، والقضاة[٣].

ويمكن عزو سبب ازدهار المكتبات في ذلك العصر إلى:

١. حركة الترجمة والتأليف التي كانت منتشرة، مما أدى إلى كثرة النساخ الذين ساعدوا على انتشار الكتب، فامتلأت أسواق دمشق بالكتب التي ألفت في مختلف العلوم، وقد ذكر ابن تغري بردي حريقا وقع في سوق دمشق في إحدى المكتبات سنة (٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، فأتى على خمسة آلاف مجلد لشمس الدين بن ابراهيم الجزري صاحب تلك المكتبة[٤]

(١) كرد علي، خطط الشام، ج٦،ص١٩٥.

(٢) ابو شامة، الذيل على الروضتين،ص ١٥٩.

(٣) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،ج٢،ص٩٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج٨،ص٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. ردة الفعل التي أعقبت الغزو المغولي وقيامهم بإتلاف كثير من دور الكتب، فقام العلماء بنوع من رد الاعتبار فراحوا يؤلفون الكتب المختلفة، كما أن سلاطين المماليك عدّوا أنه من واجبهم إعادة تشييد الصرح الثقافي، فقاموا برعاية العلماء، وطلبوا تأليف كتب في موضوعات أختاروها، وكانوا يحسنون الجزاء على ذلك[١].

وقد تنوعت مجالات تأليف الكتب في تلك الفترة، فألف في علوم الدين، واللغة العربية، وعلوم التاريخ، والجغرافيا، فعلى سبيل المثال من الكتب التاريخية التي كتبت في تلك الفترة[٢] كتاب " الكامل في التاريخ" لابن الأثير الجزري ت(٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، وكتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزي ت(٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، وكتابة " بغية الطلب في تاريخ حلب " لكمال الدين بن العديم ت(٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، وكتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين بن شداد (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل الحموي (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وكتابي "معجم الأدباء" و "معجم البلدان" لياقوت الحموي، وغير ذلك من الكتب التاريخية الأخرى.

---

(١) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دمشق، دار الهلال، د. ت، ص٢٦٣، وسيشار إليه لاحقا: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية.

(٢) انظر الفصل الثاني والثالث من هذه الدراسة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الثاني

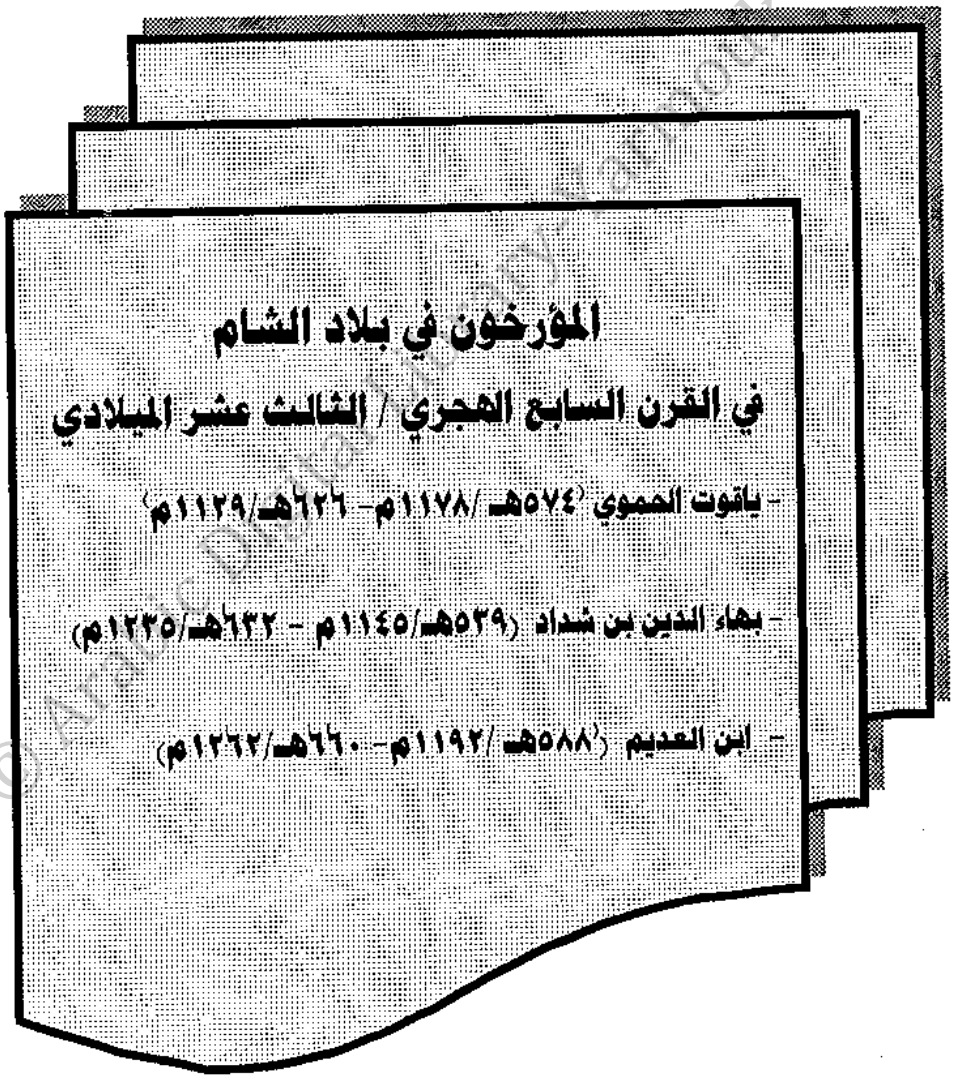

© Arabic Digital Books - Yarmouk University

ياقوت الحموي

سيرته (٥٧٤هـ /١١٧٨م- ٦٢٦هـ/١١٢٩م)

ولد أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي، سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم، ولقبه شهاب الدين، وقد اكتسب ياقوت نسبه(الحموي) عن سيده عسكر بن إبراهيم الذي كان من مواطني (حماة) ثم أقام ببغداد حيث كان يدير أعماله التجارية، وانتسب إلى تلك المدينة عن طريق إقامته هناك، وقد بيع وهو طفل في سوق النخاسة ببغداد، حيث اشتراه تاجر مغمور يدعى عسكر بن إبراهيم سالف الذكر، وجعله في الكُتّاب لينتفع به في ضبط تجائره، وكان مولاه عسكر لا يُحسن الخط ولا يعلم شيئاً سوى التجارة، ولما كبُر ياقوت، قرأ شيئاً من النحو ومن اللغة[1]، وقد نال قسطاً في تعلم صناعة الكتابة أوفر من نصيبه في تعلم الأرقام،

(١) القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ت(٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ، دار الكتب المصرية،ج١،١٩٥٠م، ص٧٤-٩٢، وسيشار إليه لاحقاً: القفطي، إنباه الرواة، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٦،،ص١٢٧-١٣٩، الذهبي، أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٢، الذهبي، العبر في خبر من غبر،تحقيق محمد سعيد أبو هاجر، بيروت، دار الكتب العلمية،ج٥،١٩٨٥ ،ص١٠٦ ، وسيشار إليه لاحقا: الذهبي ، العبر، الأربلي، أبو البركات بن أحمد المستوفي، تاريخ إربل، ترجمة رقم ٢٢٣، تحقيق سامي الصقار، بغداد،(د.ن)،١٩٨٠، ص٣١٩-ص٣٢٤، وسيشار إليه لاحقاً: الإربلي، تاريخ إربل، ابن الشعار الموصلي، المبارك بن أحمد، قلائد الجمان،فرانكفورت، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ج٩،١٩٩٠، ص٣٣٩-١٤٩، وسيشار إليه لاحقا : ابن الشعار، قلائد الجمان، اليافعي، عبد الله بن أسعد اليمني المكي ت(٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج٤،١٩٧٠م،ص٥٩، وسيشار إليه لاحقا: اليافعي، مرآة الجنان،ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعله كان يميل إلى الأدب بسبب ميلٍ "متأصل" في طبيعته الأساسية[١]، رغم أنه كان يقوم بالأعمال التجارية نيابةً عن سيده، واستمر ياقوت يتجر لعسكر مولاه، حتى حدثت بينهما جفوةٌ سنة ستٍ وتسعين وخمسمائة، فاستغنى مولاه عسكر عن خدمته واعتقه وأبعده عنه[٢]، فصار ينسخ الكتب بالأجرة ليعتاش منها، ومن ذلك أن أبا سعد، استنسخه بالأجرة كتاباً في اللغة يسمى "المحيط"، من تأليف الصاحب بن عباد كان في وقف بغداد، فجاء في سبعة مجلدات[٣].

ومع مرور الزمن زال الذي بين ياقوت وسيده من جفاء، فاستعاده سيده إلى خدمته، ولكنه عاد حُراً وليس مولى، وعاد ياقوت يتاجر لمولاه السابق متنقلاً بين كيش[٤]، والشام، ومصر، ورغم انتقال ياقوت من مدينة إلى أخرى طبقاً لمقتضيات واجبات عمله، إلا أنه لم تفتر همته في الحفاظ على هواياته الأدبية، وكان ذلك عن طريق التقائه برجال الأدب حيثما حل[٥]، وفي سنة ستٍ وستمائة رجع ياقوت من سفرةٍ كان سافرها إلى (كيش) فوجد مولاه السابق قد توفي، وكان معه أموال التجارة، فأخذ نصيباً من المال ليتجر به وأعطى ما تبقى لزوجة عسكر وأبنائه[٦].

---

(١) القفطي، إنباه الرواة، ج٤،ص٧٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٢٧، ابن الشعار، قلائد الجمان،ج٩،ص٣٤٠.

(٣) القفطي، إنباه الرواة، ج١،ص٢٠١.

(٤) كيش: جزيرة في وسط البحر تعد من أعمال فارس، وهي تعجيم قيس، تقع في بحر عمان، الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ت(٦٢٦هـ/١٢٢٥م) معجم البلدان، بيروت، دار صادر،ج٤، ١٩٨٦م، ص٤٩٧،٤٢٢، وسيشار إليه لاحقاً: الحموي ، معجم البلدان.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٤،ص٢١٦.

(٦) القفطي، إنباه الرواة،ج٤،ص٧٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واستمر ياقوت بعد ذلك يعمل في التجارة، بما فيها تجارة الكتب فكان خلال سفراته يتردد على الوراقين وأماكن بيع الكتب، ويلتقي بالعلماء الذين يشترون منه هذه الكتب،(١)، وعندما كان في مدن خراسان، وصلت جيوش التتار إلى مرو، فغادرها إلى إربل، ومن إربل إلى الموصل حيث استمر يعمل في نسخ الكتب(٢).

وفي سنة سبعٍ وستمائة دخل ياقوت إلى حلب، وتعرف إلى القاضي الأكرم علي بن يوسف القفطي، وزير صاحب حلب(٣)، كما التقى بعدد من الأدباء الذين يترددون إلى مجلس القاضي الأكرم(٤)، ثم ينتقل في سنة اثنتي عشرة وستمائة إلى مصر ويلتقي صديقه أسامة بن منقذ(٥)، وفي نفس العام يغادر ياقوت مصر عائداً إلى دمشق، ومن الشام توجه إلى بغداد في العام نفسه، ومن بغداد عاد إلى دمشق، ومكث في بعض أسواقها، فتكلم عن علي رضي الله عنه بكلام، فثار الناس عليه وأرادوا قتله، فوصل خبره إلى والي دمشق فطلبه إلا أنه هرب إلى حلب، ثم غادر حلب قاصداً فلسطين ومصر، ولكنه في نهاية المطاف عاد أخيراً إلى حلب، وبدأ

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٦،ص١٢٨.

(٣) القفطي، انباه الرواة، ج٤،ص٧٥.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء،القاهرة، مطبعة دار المأمون،١٩٣٦م، ص١٣٨٦،وسيشار إليه لاحقا: الحموي، معجم الأدباء.

(٥) الحموي، المصدر نفسه،ج٢،ص٥٩٣، ترجمة رقم(٢١٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيها منذ سنة خمس وعشرين وستمائة، يعمل على تهذيب معجم البلدان، وبقي فيها حتى توفي(١).

أساتذة ياقوت وشيوخه

لقد كان لأسفار ياقوت وتنقلاته اثناء عمله في التجارة اثرٌ واضحٌ في تتلمذه على أيدي شيوخ كثيرين، ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم، سالم بن أحمد بن سالم أبو المرجَّى الأديب النحوي العروضي(٢)، والوجيه الكبير المبارك بن المبارك الضرير(٣)، وأبو البقاء العكبري عبد الله بن الحسين(٤).

---

(١) الحموي، المصدر نفسه، ج٤،ص٣٤٠، ترجمة رقم (٦٣٣)، القفطي، إنباه الرواة، ج٤،ص٧١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٢٨.

(٢) سالم بن أحمد بن سالم ابو المرجي بن ابي الصقر التميمي الحاجب المعروف بالمنجب، الأديب النحوي العروضي البغدادي، كان تاجرا ذا ثروة حسنة، وكان قد قرأ النحو على أبي البقاء العكبري وغيره، وكان أديبا فاضلا نحوياً متفرداً بالعروض، سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي، وكان محبوبا حسن الخلق، له تصانيف، أرجوزة في النحو" وكتاب في صناعة الشعر، وكتاب في القوافي، وكتاب في العروض، توفي ببغداد خامس ذي القعدة سنة إحدى عشر وستمائة، الحموي، معجم الأدباء، ج٣،ص١٣٣٩، القفطي، انباه الرواة، ج٢،ص٦٧، السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت(٩١١هـ/١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ط١ ، تحقيق محمد أبو الفضل،بيروت، مطبعة عيسى البابي، ج١،ص٥٧٤، وسيشار إليه لاحقاً: السيوطي، بغية الوعاة .

(٣) العلامة وجيه الدين ابو بكر المبارك بن المبارك بن أبي الأزهر سعيد بن ابي السعادات الواسطي النحوي الضرير، حفظ القرآن وتلا بالروايات على جماعة، وسمع من أبي زرعة، ويحيى بن ثابت، قرأ الأدب على ابن الخشاب، كان شديد الذكاء، ثاقب الفهم، كثير المحفوظ، تولى تدريس النحو في المدرسة النظامية وكانت ولادته سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وتوفي سنة اثنتي عشرة وست مائة في نيسابور، الذهبي،أعلام النبلاء، ج٢٢،ص٨٨.

(٤) الشيخ الإمام العلامة النحوي البارع محب الدين أبو البقاء عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ثم البغدادي الأزجي الضرير النحوي، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة قرأ بالروايات على علي بن عساكر البطائحي، والعربية على ابن الخشاب، وتفقه على القاضي ابي يعلي الصغير، وبرع في الفقه والأصول، وسمع من أبي الفتح ابن البطي، صنف كتب كثيرة منها، تفسير القرآن" وكتاب" إعراب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأخذ ياقوت كذلك عن تاج الدين ابو اليمن الكندي[1]، وأبو المظفر عبد الرحيم السمعاني[2]، وعبد العزيز بن مبارك الجنابذي، والشيخ الحسن بن أحمد الأوقي، ومحمد بن الخضر الحراني، فهؤلاء هم أشهر الشيوخ الذين أخذ عنهم ياقوت.

منزلته العلمية ووفاته:

لقد طوّف ياقوت في مصر والشام والعراق ونواحي خراسان، ولقي مشايخها وعلماءها، وشاهد أدباءها وفضلاءها، وجالس صدورها وكبراءها، وأخذ عنهم الأدب الكثير، واستفاد منهم الفوائد الغزيرة[3]، ولقد حاز على ثقافة واسعة جعلت له وجوداً متميزاً بين المؤلفين، وقد أثنى عليه العلماء خيراً لأنه أهلٌ للثناء، فقال ابن

القرآن" وكتاب" إعراب الشواذ" وكتاب" متشابه القرآن" وكتاب" إعراب الحديث" إلى غير ذلك من الكتب، توفي العلامة أبو البقاء في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وست مائة، الذهبي، أعلام النبلاء،ج٢٢،ص٩٢.

(١) تاج الدين أبو اليمن الكندي، زيد بن الحسن بن الحارث الأصغر، النحوي اللغوي المقرئ الحافظ المحدث، ولد سنة عشرين وخمسمائة، حفظ القرآن وهو صغير، وقرأه بالروايات العشر، وانتهى إليه علوم الاسناد في القراءات والحديث، قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري، سافر عن بغداد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فأقام بهمذان سنين يتفقه على مذهب أبي حنيفة، كان أبوه من كبار التجار، وتوفي بدمشق سنة سبع وتسعين وخمسمائة، الحموي ياقوت، معجم الأدباء، ج٣،ص١٣٣٠، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٩٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣،ص٧١.

(٢) أبو المظفر عبد الرحيم بن ابي سعد عبد الكريم بن منصور بن السمعاني المروزي الشافعي، ولد سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، اعتنى به ابوه اعتناء كليا، واشغله بالفقه والحديث والأدب وحصّل من كل فن، حج سنة ست وسبعين وخمسمائة، فحدّث ببغداد ورجع، توفي سنة سبع عشرة وستمائة في الاجتياح التتري، الذهبي، أعلام النبلاء،ج٢٢،ص١٠٧.

(٣) ابن الشعار، قلائد الجمان، ج٩،ص٣٤٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

خلكان: "كان عقيب موته الناس يثنون عليه، ويـذكرون فضـله وأدبـه"[١]، وقـال الذهبي: "كان ذكياً، توالفه حاكمة له بالبلاغة، والتبحر بالعلم، وكان شاعراً متفننـاً، جيد الإنشاء"[٢]، وكانت وفاته رحمه الله يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سـنة ست وعشرين وستمائة، في الخان بظاهر مدينة حلب[٣].

التعريف بأشهر مؤلفات ياقوت ومحتواها:

لقد ألف ياقوت في التاريخ والمعاجم والنحو، ولعلّ أشهر مؤلفاته هي:

١- معجم البلدان

٢- معجم الأدباء

٣- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً

٤- أخبار الشعراء

٥- المبدأ والمآل في التاريخ.

٦- كتاب الدول

٧- مجموع كلام أبي علي الفارسي.

٨- المقتضب من كتاب جمهرة النسب

٩- مختصر تاريخ بغداد للخطيب.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٣٩.

(٢) الذهبي، أعلام النبلاء، ج٢٢،ص٣٠٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠- كتاب الأبنية

١١- أوزان الأسماء والأفعال الحاصرة لكلام العرب

١٢- الرد على ابن جني عند كلامه في الهمزة والألف من سر الصناعة.

١٣- عنوان كتاب الأغاني.

١٤- أخبار المتنبي

١٥- ضرورات الشعر(١).

وأشهر مؤلفات ياقوت هي:

أولا: معجم البلدان

يعدُّ معجم البلدان أهم مصنف في التراث الجغرافي العربي، وقد حقق هذا الكتاب لياقوت شهرةً واسعة، ويذكر ياقوت سبب تأليفه لمعجم البلدان بقوله:" أنني سُئلت بمرور الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمائة في مجلس الشيخ الإمام السعيد فخر الدين ابي المظفر عبد الرحيم السمعاني عن حباشة، وهو اسم موضع جاء في الحديث النبوي وكذلك هو سوق من أسواق العرب في الجاهلية، فقلت: أرى أنه حباشة – بضم الحاء – قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأنه الحباشة:

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص١٢٨، ومسا بعدها، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله ت(١٠٦٧هـ/١٦٥٠م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،اعتناء محمد شرف الدين بالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، استنبول، وكالة المعارف التركية،١٩٤١م، ج١،ص٢٤٧،وسيشار إليه لاحقا: حاجي خليفة، كشف الظنون، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١،ص٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجماعة من الناس من قبائل شتى... فانبرى لي رجل من المحدثين وقال، إنما هو حباشة – بفتح الحاء – وصمم على ذلك وكابر وجاهر بالعناد من غير حجة، وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل، إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الحديث ودووين اللغات مع سعة الكتب التي كانت يومئذ: فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراد، ويأس من وجوده ببحث وافتراء فكان موافقا والحمد لما قلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوط ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً، وإلى ضوء الصواب داعياً..[1] إلا أن ياقوتاً قد بدأ بجمع مادته منذ شبابه واستمر في ذلك حتى قبيل وفاته، حيث شرع في تبيضه ليلة إحدى وعشرين من محرم سنة إحدى وعشرين وستمائة[2]، ولما اكتمل تبييضه النسخة أهداها إلى خزانة الصاحب الأكرم جمال الدين القفطي[3].

وقد بدأ ياقوت كتابه (معجم البلدان) بمقدمة طويلة، جرى فيها على مذهب السلف الصالح، وقد أورد فيها سبب وضع الكتاب، ومنهجه في الكتاب، ثم حدد موضوع كتابه حيث قال:" أما بعد فهذا كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام،

(١) الحموي، معجم البلدان، المقدمة، ص١٠.

(٢) المصدر نفسه، المقدمة، ص ١٥

(٣) المصدر نفسه، المقدمة، ص٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأبداد، والأوثان"[1]، وقبل أن يبدأ ياقوت في ذكر الأماكن مرتبة على حروف المعجم ذكر خمسة أبواب ذات أهمية في جغرافية البلدان وهي:

الباب الأول: في ذكر صورة الأرض وما فيها من الجبار والبحار وحكاية ما قاله المتقدمون في هيئتها.

الباب الثاني: في ذكر الأقاليم السبعة وما يتعلق بها إلى ذلك ذكر البروج الاثني عشر وما يتبع كل برج من البلدان.

الباب الثالث: في المصطلحات التي يتكرر ذكرها في الكتاب كالبريد والفرسخ والأقاليم والكورة ومصطلحات الأرض المفتوحة وأنواع الضرائب.

الباب الرابع: في أحكام أراضي الفيء والغنيمة حسب أقوال الفقهاء.

الباب الخامس: في جمل من أخبار البلدان[2].

مصادر ياقوت في كتابه معجم البلدان:

لقد اعتمد ياقوت على عشرات المصادر في كتابه وهي، مصادر القدماء، من الحكماء والفلاسفة مثل بطليموس، ومن جرى على منوالهم من الإسلاميين، ممن عنوا بالمسالك والممالك مثل ابن خرداذبه واليعقوبي والجيهاني وابن الفقيه والبلخي

(١) الحموي، معجم البلدان، المقدمة، ص٧

(٢) المصدر نفسه، المقدمة، ص ١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والاصطخري وابن حوقل وابن البناء البشاري ومن جرى مجراهم[1]، واعتمد كذلك على مصادر أهل الأدب واللغة الذين اهتموا بالأماكن العربية كالأصمعي وابن الحائك الهمذاني والسيرافي والغندجاني وابن الكلبي، ودواوين العرب و أمهات كتب اللغة وكتب المحدثين وكتب التاريخ، واعتمد على الفوائد الشفوية والمشاهدة[2].

أهمية كتاب معجم البلدان:

كما هو واضح من اسم الكتاب فهو معجم جغرافي يشتمل على ذكر أسماء البلدان والجبال المياه والقرى والمدن وغيرها، ولا يقف هنا وحسب بل هو مرجع مهم في التاريخ والرجال والأدب واللغة والنثر والشعر واشتقاق الأسماء ومعاني الكلمات، أضف إلى ذلك أنه أعطى صورة صادقة إلى حدٍ كبير عن حضارة عالم الإسلام في عصره.

وبعد أن انتهى ياقوت من ذكر الأبواب الأربعة التي في كتابه بدأ بذكر البلدان، فقد ذكر البلدان مرتبة على حروف المعجم، مُقسماً المعجم إلى ثمان وعشرين كتاباً بعدد حروف المعجم، ومقسماً كل كتاب ثمانية وعشرين باباً ملتزماً ترتيب كل كلمة فيها على أول حرف وثانيه وثالثه ورابعه، وإلى أي غايةٍ بلغ، دون

(١) الحموي، معجم البلدان، المقدمة،ص١١.

(٢) المصدر نفسه، المقدمة، ص ١١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

النظر إلى أصول الكلمة وزوائدها، وغرضه من ذلك تسهيل طريق الإفادة في غير مشقه[١].

وقد ابتدأ بباب الهمزة والألف وما يليهما، وأول ما يطالع القارئ هو آبار الأعراب، حيث قال:" آبار الأعراب: جمعُ بئر يقال في جمعها آبار، وبئار وأبْآر، موضعٌ بين الأصغر وفيْد، على خمسة أميال من الأصغر، والآبار أيضا غير مضافة: كورة من كور واسط"،[٢]، وقد سلك ياقوت هذه الطريقة حتى بلغ حرف الياء في آخر الكتاب، وذلك في باب الياء والياء وما يليها، حيث جاء:" ييْنُ: بالفتح ثم السكون. وآخره نون، وليس في كلامهم ما فاؤه وعينه ياءٌ غيره، قال الزمخشري: ييْن، عينٌ بوادٍ يقال له حورتان"[٣].

وقد ذكر ياقوت الضبط اللغوي الصحيح للبلدان والأمكنة التي جاءت في المعجم مستدلا على ذلك من خلال كتب اللغة العربية والشواهد الشعرية، وأقوال أهل اللغة وذكر اختلافاتهم، إضافةً إلى أنه يورد أثناء ذكره للبلد الذي يترجم له أسماء من سكن بها أو مرَّ بها من العلماء أو ما حصل فيها من أحداث ذات شأن[٤].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، المقدمة، ص١٥.

(٢) المصدر نفسه، المقدمة، ص٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٥،ص٤٥٤.

(٤) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم،(د.م) ،(د.ن)،١٩٨٥، ص٣٤١، وما بعدها، وسيشار إليه لاحقاً: كراتشكوفسكي،تاريخ الأدب الجغرافي العربي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تعرض ياقوت لجوانب متعددة ذات اتصال بأوضاع الشام زمن الحروب الفرنجية، ومن ذلك تناوله للمدن الواقعة على الساحل الشامي، ووضع السكان في المدن الشامية(١).

وقدم ياقوت إشارات مهمة عن الوضع السكاني لبعض مدن الشام من حيث أعداد السكان وعدد المساكن ومساحاتها(٢).

وياقوت يوضح كذلك الجانب العمراني الخاص بالأرياف وليس المدن فقط، ومن أمثلة ذلك حديثه عن مدينة حلب في قوله: "وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملكٌ لأهلها، وليس للسلطان فيها إلا مقاطعات يسيرة، ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان.."(٣).

الأوضاع الاقتصادية:

يضاف إلى ما سبق أن ياقوتاً كانت له رؤيته الاقتصادية من خلال كلامه عن مصادر الثروة المائية، وقد صبّ اهتمامه على مصادر المياه في بلاد الشام سواء الأنهار أو العيون أو الينابيع(٤)، ويضاف إلى ما ذكره ياقوت عن الأنهار والبحيرات مياه الأمطار.

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٤،ص١٤٤.
(٢) المصدر نفسه،ج٢،ص٤٦٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٢،ص٢٨٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٢،ص٢٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي نفس المجال الاقتصادي" أشار ياقوت الى الناحية الزراعية وعلى سبيل المثال كلامه عن مدينة حلب في قوله: "وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت بـــه على أن الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد، فمن ذلك أنه يزرع في أراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذبا لا يسقى لا بماء المطر"(١)،وعلى المستوى التجاري فقد تتبع العديد من الأسواق في المدن الشامية(٢).

أما الصناعات التي كانت تشتهر بها بعض البلدان فقد أشار ياقوت الى كثير منها في معجمه (٣).

وعن المعادن والمواد الأخرى الثمينة يذكر ياقوت البلاد التي تســتخرج منهــا، ومثال ذلك مدينة أسبرة وهي، ناحية" بأقصى بلاد الشاش بما وراء النهر وهي بلاد يخرج منها النفط والفيروزج والحديد والصفر والذهب والآنك وفيهــا جبــل ســود حجارته تحترق كما يحترق الفحم يباع منها حملٌ بدرهم، فإذا احترق اشتد بيــاض رماده فيستعمل في تبييض الثياب ولا يعرف في بلدان الأرض مثل هذا "(٤) وكذلك مدينة باكوية التي يفيض منها النفط، وهي بلدٌ في نواحي الدربند من نواحي الشروان

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٤.
(٢) المصدر نفسه،ج٢،ص٣٠٠.
(٣) المصدر نفسه،ج٢،ص٦١، ٦٤، ج٤، ص٤٦٩، ج٣، ص٣٠٩.
(٤) المصدر نفسه، ج١،ص١٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيه عين نفط عظيمة، تبلغ قبالتها في كل يوم ألف درهم، وإلى جانبها عينٌ أخـــرى تسيل بنفطٍ أبيض كدهن الزئبق لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً[١].

الأوضاع الثقافية:

تناول ياقوت جانبا مهماً من جوانب الحياة خلال كتابه، وهـــو الجانـــب الثقافي وبالأخص الثقافة الدينية التي كان لها نصيبٌ كبير خلال كلامه عن الثقافـــة، ومن ذلك مسألة المزارات الدينية سواءً الإسلامية أو المسيحية والمساجد، والمكتبات والعلماء.

١- المزارات الدينية:

ومن الأمثلة التي ذكرها ياقوت في كتابه عن المزارات الدينية الإسلامية [٢]،قبر صهيب الرومي وأخيه[٣]، وجبل قاسيون[٤].

أما المزارات الدينية المسيحية، فمنها كنيسة القيامة، وهي أعظم كنيسة للنصارى وفيها من مظاهر الحسن والثراء [٥] وكنيسة المهد في بيت لحم، وهناك عين سلوان

(١) الحموي، معجم البلدان، ج١،ص٣٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٥،ص١٦١.
(٣) المصدر نفسه، ج٤،ص٢٩٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٤،ص٢٩٥.
(٥) المصدر نفسه، ج٤،ص٣٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في بيت المقدس يتم التبرك فيها[١]، إلى غير ذلك من الأديرة التي يـذكرها يـاقوت ويؤمّها النصارى من كل حدب وصوب[٢].

٢- المساجد:

ورد ذكر المساجد في مواضع متفرقة من كتاب معجم البلدان، مع إشـارات مقتضبة إلى وصفها ووصف من يؤمها، فالمساجد تعتبر مؤسسات دينية، يعقد فيهـا كثير من حلقات العلم والمناظرات، ومما ذكره ياقوت، مساجد مدينة دمشق وحلـب وحمص ومرو[٣]، ومسجد مدينة منستير بأفريقية[٤]،

٣-المكتبات:

وجد في أغلب المدن الإسلامية الكثير من دور الكتب العامة والخاصة، ولقد أورد ياقوت بعضا منها[٥]، وكان هناك مكتبات خاصة للعلماء والراغبين في العلـم، ومنها مكتبة أبو حاتم البستي" وكان أبو حاتم قد سبّل كتبه ووقفها وجمعها فـي دار رسمها لها، فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان، ضعف السـلطان واسـتيلاء ذوي العبث والفساد على أهل تلك البلاد[٦].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص٢٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج٣،ص٥٢٦،٥٢٥،٤٩٩،٤٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥،ص١١٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص٢١٠.

(٥) المصدر نفسه،ج٥،ص١١٤.

(٦) المصدر نفسه، ج١،ص٤١٥-٤١٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٤-العلماء:

ومن شدة اهتمام ياقوت بالعلماء، فقد ذكر في معجمه تراجم لكثير منهم، وذلك حينما كان يتكلم عن المدينة أو البلد الذي سكنه العالم أو حلّ به[١]، وقد ذكر ظاهرة سيئة كانت موجودة في الأوساط الثقافية ألا وهي انتحال الكتب من قبل أناس يستحسنونها فينسبونها لأنفسهم وقد حذر منهم[٢].

الأوضاع الاجتماعية:

لم يغفل ياقوت في كتابه الحديث عن الأوضاع الاجتماعية للبلدان التي ذكرها، مما يدل على سعة اطلاعه ونفاذ بصيرته، فتحدث عن عدد السكان والمساحة بالنسبة لبعض المدن كالكوفة والبصرة[٣]، وذكر أخبار الشعوب والفئات التي تعيش داخل الدولة الإسلامية، أو التي تقوم على تخومها كالنبط والأساورة والأكراد والديلم والجراجمة والترك والصقالية والخزر والروس والبلغار والزنج، وقد أورد وصفا لعاداتهم وتقاليدهم[٤]، كما وتناول موضوعا مهما للغاية لعب دورا هاما في حياة الشعوب وهو موضوع الأساطير والقصص التي تحكي عن أمور خرافية، ولكنه يقف منها موقف الناقد[٥]، ومن ذلك ما قاله عن سد يأجوج ومأجوج،

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٤،ص٢٠٣، ج٣،ص٢٥٣-٢٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٣،ص٢٥٦.
(٣) المصدر نفسه، ج٣،ص١٢٠، ج١،ص٣٥٦.
(٤) المصدر نفسه،ج١،ص٣٢٢-٣٢٣،ج٢،ص٤٧٦،ج٣، ص٤٨، ٨٣، ٤٤١.
(٥) المصدر نفسه، ج١،ص٥٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أورد قصة طويلة عن التنين، وذكر فيها كلاماً عجيباً جاء فيه: "وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا أبطأ المطر. قال عمر البكائي: أتدرون كيف يكون التنين؟ قلنا:لا، قال: يكون في البر حية متمردة، فتأكل حيات البر، فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوام وهي تعظم وتكبر، ثم يزيد أمرها، فتأكل جميع ما تراه من الحيوان حتى يلقيها في البحر، فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البر، فتعظم ويزداد جسمها فتضج دواب البحر منها أيضا[١]، ثم يقول في آخر القصة:" وقد نقلته كما وجدته ولكن الأولى تركه.."[٢]، إلى غير ذلك من قصص الخيال التي وردت في كتاب معجم البلدان، ولكن ياقوت يقف متشككا منها أو مفنداً لها[٣].

وهناك اشارات كثيرة لمظاهر الترف والبذخ الاجتماعي والعمراني ومثال ذلك، قصر دار الشجرة الذي بناه المقتدر[٤] وهناك قصة لشخص يُدعى أحمد الراسبي بلغ مبلغا عظيما من الغنى[٥].

الأوضاع السياسية:

يضم كتاب معجم البلدان أخباراً سياسية كثيرة، وذلك ضمن ما يذكره ياقوت عن بعض المدن التي ذكرها، ومنها مثلا الكلام عن خوارزم شاه محمد بن تكش بن

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص١٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٣،ص١٩٨.
(٣) المصدر نفسه،ج٣،ص٣٢٧،ج٤،ص٢٤٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٢،ص٤٢١.
(٥) المصدر نفسه، ج٢ص٤٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ارسلان الذي قضى على مملكة الخطى المتاخمة للتتار في المشرق، وقد حمله باقوت المسؤولية في الإخلال بالوضع السياسي وزعزعته في مقاطعات ما وراء النهر، وذلك في قوله:" وقد أتت على تلك النواحي حوادث الدهر وصروف الزمان، أولا من خوارزم شاه.. فإنه لما ملك ما وراء النهر وأباد ملك الخانية، وكانوا جماعة قد حفظ كل واحد منهم طرفه، فلما لم يبق منهم من أحد، عجز عن حفظ تلك البلاد بسعة مملكتها، فخرب بيده تلك الثغور وأنهبها عساكرها،[1]، ومن ذلك كلامه عن سيطرة الفرنجيين على عكا واستمرار السيطرة عليها الى عهد صلاح الدين[2]، كما ذكر الثغور والرباطات والمسالخ التي على الحدود الشمالية للدولة الاسلامية، وأنظمة الدفاع عن الحدود زمن الدولة العباسية[3]، وأشاد باقوت أثناء حديثه عن البلدان بالعدل واعتبره سبب عمران البلاد، وندّد بالظلم لكونه يؤذن بخراب البلاد وجلاء أهلها[4].

منهج باقوت واسلوبه في كتاب معجم البلدان:

توخّى باقوت الدقة في وصفه أو ضبط الأسماء ومواقع الأمكنة بالنقط والتحريك، واستقصى السبل الدقيقة في البحث، من نقد، وملاحظة وتحفظ، فكان لا

(١) الحموي، معجم البلدان، ج١،ص١٧٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٤،ص١٤٤.
(٣) المصدر نفسه، ج١،ص٣٦٠،ج٥،ص٤٣،ص٣٨٥،٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ج١،ص١٧٩،ج٤،ص٧،ج٥،ص١١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يثبت الأقوال المنقولة إلا إذا اطمأنت إليها نفسه[١]، وإذا لم يتحقق من مسألة بعد استخدام جميع الوسائل والطرق لمعرفتها يعترف بذلك ويشير إليه بعبارات واضحة مثل: "وهذا خبر عجاب بعيد عن الصحة في العقل"[٢]، "هذا هو الكذب الصراح"[٣]، "وهذا فيه نظر"[٤]، "وهذا من هذيان العجم"[٥] "والله أعلم بصحة ذلك من سقمه"[٦]،وهكذا كلما ذكر ياقوت رواية أسطورية فإنه يورد مثل هذه العبارات.

ثانيا: معجم الأدباء

وهو المعجم الثاني الذي طارت به شهرة ياقوت في الآفاق، وقد صرح ياقوت في مقدمته أنه اختار له اسم "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"[٧]، وعن موضوع الكتاب قال ياقوت": وقد جمعت في هذا الكتّاب ما وقع إلي من أخبار النحويين، واللغويين، والنسابين، والقراء المشهورين، والأخباريين والمؤرخين "و الوراقين المعروفين، والكتاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة، وكل من صنف في الأدب تصنيفا، وأجمع في فنه تأليفا.[٨]

(١)الحموي، معجم البلدان، ج٤ص٣٣٧.
(٢) المصدر نفسه،ج٢ص١٨٤.
(٣) المصدر نفسه،ج٥، ص٨٠.
(٤) المصدر فسه،ج١ ،ص٢٨٤.
(٥) المصدر نفسه، ج٣،ص٤٤٠.
(٦) المصدر نفسه ،ج٢،ص٢٨٢.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٠.
(٨) المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد أن فرغ ياقوت من مقدمته بدأ كتابة بفصلين الفصل الأول في فضل الأدب وأهله، وذم الجهل وحمله، فهو يقول:" قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كفى بالعلم شرفا أنه يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس أهله، وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه... ثم يذكر أقوالا أخرى لعلي رضي الله عنه يثني فيها على العلم والعلماء ويذم الجهل وأصحابه، وعن أهمية النحو يذكر ياقوت خبرا مفاده:" أن ابن عمر كان يضرب أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ"[1]، وأما الفصل الثاني فقد جاء في فضيلة علم الأخبار، ويدلل على فضل علم الأخبار بقوله:" وقديما قيل: إن علم النسب والأخبار من علوم الملوك وذوي الأخطار، ولا تسمو إليه إلا النفوس الشريفة.."[2]، ثم شرع ياقوت بعد ذلك يترجم للأدباء، مرتبا التراجم حسب حروف الهجاء ملتزما أول حرف من الاسم وثانيه وثالثه ورابعه، وذلك حين قال في المقدمة: "وجعلت ترتيبه على حروف المعجم، اذكر أولا من أول اسمه ألف، ثم من أول اسمه باء ثم تاء ثم ثاء إلى آخر الحروف، والتزام ذلك في أول حرف، من الاسم وثانيه وثالثه ورابعه[3]، ومثال ذلك ما بدأ به ياقوت كتابه في الترجمة الأولى

(١) الحموي، معجم الادباء، المقدمة، ص١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١ ص٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١ص١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي آدم بن أحمد بن أسد الهروي ابو سعيد النحوي اللغوي.."[1] ثم يقوم بذكر ترجمته.

ولم يحدد ياقوت في كتابه بلدا معينا يترجم لأدبائه فقط، بل على العكس من ذلك فهو يقول: " ولم أقصد أدباء قطر، ولا علماء عصر ولا إقليم معين، ولا بلد مبين، بل جمعت البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان، وتفاوت الأزمان، حسب ما اقتضاه الترتيب، وحكم بوضعه التبويب[2].

واستمر ياقوت ملتزما بالترتيب الهجائي حتى انتهى من الكتاب، فآخر من ترجم له يونس بن أحمد بن إبراهيم الوافروندي[3]، وقد اشتمل كتابه على ترجمة لألف وستمائة وأربع وستين ما بين أديب وشاعر وكاتب[4]، فكان قاموسا للأدباء أثرى به ياقوت التراث العربي الإسلامي.

مصادر ياقوت في معجم الأدباء:

بيّن ياقوت في مقدمة كتابه من اين استقى معلوماته عن الذين ترجم لهم بقوله:" فأما من لقيته أو لقيت من لقيه، فأورد لك من اخباره وحقائق اموره ما لا

(١) الحموي، معجم الادباء، ج١ص٢٣ .
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣١.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٨.
(٤)المصدر نفسه ،ج١،ص٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أترك لك بعده تشوفاً إلى شيء من خبره، وأما من تقدم زمانه، وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة إليه، ووقفني النقل عليه، في ترادي إلى البلاد، ومخالطتي للعباد"[1]، وقد نقل ياقوت عن كتب كثيرة يصعب حصرها مبثوثه في ثنايا كتابه، إلا أنه ينقل بكثرة عن كتب مثل الفهرست، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ ابن عساكر، ومعجم الشعراء للمزرباني، وكتب التوحيدي، وغيرها من الكتب.

أهمية كتاب معجم الأدباء:

تظهر أهمية هذا الكتاب في إن التراجم التي ذكرت فيه ذات قيمة أدبية وتاريخية، وأنها ما تزال إلى اليوم مرجعا للدارسين في ميادين اللغة والأدب والتاريخ والأنساب إضافة إلى ما احتواه من أخبار النحاة الشعراء والنسابين والمؤلفين، فهو موسوعة عربية كبرى، كما ويجد القارئ فيه صورة دقيقة لحركة العلم واللغة والأدب في الأمة الإسلامية[2].

منهج ياقوت وأسلوبه في معجم الأدباء:

لقد صنف ياقوت معجمه حسب حروف الهجاء، ذاكراً اسم الشخص الذي يريد أن يترجم له، وما اتصف به من صفات، وما حصل له من حوادث ونوادر،و ذاكرا شيئا من شعره، والكتب التي ألفها وما اتصل به من أمور،متوخياً صحة النقل

(١) الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨٥٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ودقة الوصف والأمانة فيما يذكر وكل ذلك ظاهرٌ في كتابه، ومثاله في الرواية التي ذكرها مما رواه السمعاني ثم يقول بعدها: "وهذه حكاية على ما يرى من الاستحالة وقد أوردتها أنا لثقة موردها وتحرّيه في الرواية، فإن صحت فقد فزت بحظٍ من العجب، وإلا فاجعلها كالسمر تستمتع به[1].

ثالثا: المشترك وضعا والمفترق صقعا:

وهو كتاب منتزع من معجم البلدان، وذلك حينما أورد ياقوت في مقدمة الكتاب ما نصه:" أما بعد فهذه طرفه طريفة وملحة مليحة، تشرئب إليها النفوس بالطباع ويشترك في استحسانها اهل الاجماع والنزاع، انتحلتها من كتابي الكبير المسمى بمعجم البلدان، وانتزعتها من رياض حدائقه الكثيرة الافتنان، فيما اتفق من اسماء البقاع لفظا وخطا، ووافق شكلا ونقطا، وافترق مكانا ومحلا واختلف صقعا ومحتلاً[2].

وانتهج ياقوت في كتابه هذا نفس المنهج في كتابه معجم البلدان، حيث قال: وسميته المشترك وضعا والمفترق صقعا مرتبا ذلك على حروف المعجم ملتزما ذلك من أول الكلمة وثانيها وثالثها ورابعها وإلى أي غاية بلغت[3].

---

(١) الحموي، معجم الادباء، ج٦، ص ٢٨٧٣.

(٢) الحموي، ياقوت، المشترك وضعاً والمفترق صقعا، ط١، (د.م)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، المقدمة، ص٢، وسيشار إليه لاحقا: الحموي،المشترك وضعاً.

(٣) المصدر نفسه،المقدمة، ص٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذه هي أشهر مؤلفات ياقوت والتي جعلت منه مؤرخا شهيرا، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة ثقافته الشخصية، وجهده الشخصي من خلال المتاجرة بالكتب في البلدان الكثيرة التي زارها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بهـــاء الدين بن شداد

سيرة بهاء الدين بن شداد (٥٣٩هـ/١١٤٥م - ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)

ولد أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبه بن محمـد بـن عتّـاب الأسدي، المعروف بابن شداد[١]، الملقب بهاء الدين، الفقيه الشافعي، في الموصـل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وعرف بابن شداد، لأن شداد جده لأمه، ولقب بهاء الدين جرياً على عادة عصره، وقد توفي أبـوه وهـو صغير السن، فنشأ عند أخواله بني شداد ونسب إليهم، وكان يُكنى أولا أبا العز، ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن، وحفظ القرآن في صغره.

وقرأ على شيوخ الموصل كتبا في علوم الحديث والتفسير والفقه والقـراءات والأدب، وكانت المدرسة النظامية ببغداد تجتذب إليها وقتذاك طـلاب العلـم مـن مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فارتحل إليها، وترتب فيها معيداً بعد وصوله إليهـا بقليل وكان ذلك في سنة (٥٦٦هـ/١١٧١م) أي وهو في السابعة والعشـرين مـن عمره، وظل يشغل هذا المنصب نحو أربع سنوات، حيث عاد إلى بلده الموصـل، وعُيّن هناك مدرساً بالمدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد ابن

---

(١) وهو غير أبي علي محمد بن علي بن عبد الرحمن بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤هـ صاحب كتاب " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" وسيأتي بيان ذلك في الحديث عن مؤلفاته.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشهرزوري، وعلت مكانته، وارتفع ذكره لما اشتهر به من الحكمة ورجاحة العقل والاتزان في التفكير[1].

ولما كان ابن شداد صاحب رأي سديد وأهلاً للاعتماد عليه، فقد اختاره أمراء الموصل سفيراً لهم لدى بلاط الخلفاء وأمراء المسلمين.

وفي سنة (٥٨٣هـ/١١٨٨م) سافر ابن شداد إلى مكة وأدى فريضة الحج، وزار قبر النبي عليه السلام، ثم قصد زيارة بيت المقدس بعد عودته من الحج، فوصل دمشق واستراح بها، وكان صلاح الدين وقتها يحاصر قلعة كوكب، وعلم بوصول ابن شداد إلى دمشق، وكان يعرفه معرفة أكيدة منذ اتصل به في سفاراته السابقة، فاستدعاه إليه ليُسمعه جزءاً من الحديث، فأفاض وأبدع في شرحه إلى حد إعجاب صلاح الدين به، فلما خرج ابن شداد من عنده تبعه العماد الأصفهاني كاتب الإنشاء للسلطان، وأبلغه رغبة السلطان في مقابلته عند العودة من الزيارة، فلما عاد

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ص١٨٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٨٤، السبكي، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت(٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى،ط١١، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية،ج٥، ١٣٢٤هـ،ص٥٨١ ، وسيشار إليه لاحقا: السبكي، طبقات الشافعية، الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان ت(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت، مؤسسة الرسالة،ج١٩٨١،٤م،ص٣٨٣، وسيشار إليه لاحقا : الذهبي ، اعلام النبلاء، ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي ت(٧٧٤هـ/ ١٢٧٢م)، البداية والنهاية، مصر، مطبعة السعادة،ج١٩٣٢،١٣م،ص١٤٣، وسيشار إليه لاحقا : ابن كثير ، البداية والنهاية . المقريزي، السلوك، ج١،ص١٧٤. ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥،ص٣٨٨ ،

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ابن شداد من زيارة القدس اجتمع بصلاح الدين عند حصن الأكراد[١]، وقد كان ابن شداد قد ألف في تلك الفترة كتاباً في الجهاد فقدمه لصلاح الدين حيث ذكر في كتابه النوادر السلطانية ذاك الخبر بقوله: " وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه – يعني صلاح الدين – يحثه على الجهاد، أو يذكر شيئاً من أخبار الجهاد، ولقد أُلِّف له كتب عدة في الجهاد، وأنا ممن جمع له منه كتاباً، جمعت فيه آدابه، وكل آيةٍ وردت فيه، وكل حديث روي في فضله، وشرحت غريبها.."[٢].

ويروي ابن شداد كيف أن صلاح الدين منعه من الرجوع إلى الموصل، وأراد له الانضمام إلى خدمته، فيقول: " ثم سيَّر إليَّ مع الفقيه عيسى، وكشف إليَّ أنه ليس في عزمه أن يمكنني من العودة إلى بلادي، وكان الله قد أوقع في قلبي محبته منذ رأيته وحبه للجهاد فأحببته لذلك"[٣].

وقد بدأ ابن شداد بالانضمام إلى خدمة صلاح الدين سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٩م حيث يقول: " وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الأولى سنة أربع وثمانين، وهو يوم دخوله الساحل[٤]"، وقد عُين بهاء الدين بن شداد قاضياً لعسكر صلاح الدين وقاضياً للقدس الشريف، وظل بهاء الدين في خدمته وملازما له لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً إلى

---

(١) ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم ت(٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،ط١، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر ،١٩٦٤،ص٨٥، وسيشار إليه لاحقا : ابن شداد، النوادر السلطانية .

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢١.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٨٦.

(٤) ابن شداد،المصدر نفسه،ص٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن أدركته الوفاة، وكان مقيما هو والقاضي الفاضل إلى جوار صلاح الدين أثناء مرضه الأخير(١)، ووصف اللحظات الأخيرة التي انتهت بوفاة هذا البطل العظيم وذلك بقوله: " ولما كانت ليلة السبت وجد كسلاً عظيماً، فما نصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية، كانت في باطنه أكثر منها في ظاهره..."(٢).

ثم توجه ابن شداد إلى حلب سنة(٥٩١هـ/ ١١٩٦م)، حيث عينه صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين وزيراً وقاضياً له، وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس، وليس بها من العلماء الا نفر يسير، فاعتنى أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة، وكان الملك الظاهر قد قرر له إقطاعا جيداً يحصل فيه جملة مستكثرة، ولم يكن له خرج كثير قبل ذلك، فإنه لم يولد له، ولم يكن له أقارب، فتوفر له شيء كثير، فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمد زنكي، وكان ذلك سنة(٦٠١هـ/ ١٢٠٥م)، ثم عمّر في جوارها داراً للحديث النبوي، وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها، ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال، وكثر الجمع بها(٣).

---

(١) سعداوي، نظير حسان، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢،ص ١٦،١٧، وسيشار إليه لاحقاً: سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٤٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد قام ابن شداد على جمع كلمة الأخوة ابناء صلاح الدين، وتطلب هذا العمل سفره إلى القاهرة أكثر من مرة، في أعوام (٥٩٣ هـ،٦٠٨هـ،٦١٣هـ، ٦٢٩هـ)[١]، سعياً وراء إصلاح ذات البين، وجمع كلمة الأخوة.

وظل ابن شداد مقيماً في حلب له مكانته الرفيعة ونفوذه الكبير حتى استولى على الملك العزيز جماعة من الشبان الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه، فاشتغل بهم، ولم ير القاضي أبو المحاسن شيئاً يرتضيه، فلازم داره إلى حين وفاته، وهو باق على اقطاعه الذي أجري له، ولم يبق له حديث في الدولة، ولا كانوا يراجعونه في الأمور، وظهر عليه الخرف، بحيث إنه صار إذا جاءه الإنسان لا يعرفه، وإذا عاد قام يسأل عنه ولا يعرفه، واستمر على هذا الحال فترة قصيرة، ثم مرض أياماً قلائل وتوفي [٢].

شيوخ بهاء الدين بن شداد:

تلقى ابن شداد علومه الأولى بالموصل والبصرة على يد نخبة من شيوخ العراق، ويذكر ابن شداد في بعض تواليفه، أن أول من أخذ عنه العلم هو الشيخ الحافظ صائن الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي[٣]،

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١،ق١،ص١٦٨، ١٧٦، ٢٤٣،٢٤٠،٢٤٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٩٩.

(٣) أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي، الملقب صائن الدين، ولد سنة ٤٨٦هـ في قرطبه، وكان عالما في القراءات وعلوم القرآن والحديث والنحو واللغة، خرج من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم ديار مصر، ودخل بغداد سنة ٥١٧ هـ وقرأ بها القرآن، وكان ديناً ورعاً عليه وقار وهيبة وسكينة، وكان

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فقد لازمه إحدى عشرة سنة، فقرأ عليه معظم ما رواه من كتب القراءات، وقراءة القرآن الكريم، ورواية الحديث وشرحه، والتفسير، كما تتلمذ ابن شداد على يد الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين[1]، فقد سمع عليه بعض تفسير الثعلبي، وأجاز له أن يروي عنه جميع ما رواه، ومن شيوخه مجد الدين ابو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب[2]، ومنهم الحافظ سراج الدين ابو بكر محمد بن علي الجياني[3]،و الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري[4]، وقد أجاز لابن شداد جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه، وكذلك من شيوخه القاضي فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهروزري، وقد

ثقة صدوق ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير والفائدة، وأقام بدمشق مدة، واستوطن الموصل، ورحل عنها إلى أصبهان، وأخذ عن شيوخ ذلك العصر، وتوفي الشيخ أبا بكر في الموصل في يوم عيد الفطر في سنة ٥٦٧هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٦، ص١٧١، ١٧٢.

(١) أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيروجي، كان مشهورا بعلمي الحديث والفقه، ولي قضاء البصرة ودرس بالأتابكية التي في الموصل، السبكي، طبقات الشافعية، ج٤،ص٢٣٤.

(٢) مجد الدين ابو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل ولد في منتصف صفر سنة ٤٨٧هـ في بغداد، كان مشهورا بالرواية حتى يُقصد لها من الآفاق، وعاش نيفا وتسعين سنة وتوفي ليلة الثلاثاء، رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بمقبرة باب الميدان، ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٧،ص٨٥.

(٣) أبو بكر الأندلسي الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد، ولد بجيّان سنة ٤٩٢هـ، سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخرسان، وتفقه ببخارى ثم اشتغل بالحديث، وسكن بلخ مدة، وعاد إلى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م ، وكان متديناً صدوقاً حافظاً عالماً بالحديث توفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م بحلب، التلمساني، أحمد بن محمد المقري ت(١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨،ج٢،ص٥٨ ، وسيشار إليه لاحقاً : المقري، نفح الطيب.

(٤) مجد الدين ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأشيري الصنهاجي، نسبة الى اشير حصن بالمغرب، وهو مالكي المذهب، حافظ، روى عن ابي الحسن الجذامي والقاضي عياض، وكان عالما بالحديث وطرقه، و بالنحو واللغة والنسب، توفي سنة ٥٦١هـ، بالشام ودفن في بعلبك، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٧،ص٨٦، ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٤،ص١٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نال ابن شداد على أيدي هؤلاء العلماء علماً وفيراً كان له الأثر الكبير في صقل شخصيته وإمداده بالملكة التي تؤهله لأن يكون مقرباً من صلاح الدين الذي أعجب به أشد الإعجاب.

تلاميذ بهاء الدين بن شداد:

تتلمذ على يد بهاء الدين بن شداد عدد لا بأس به من كبار المؤرخين المعاصرين له، ويأتي على رأسهم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان[1]، وأبو شامة المقدسي صاحب كتاب " الروضتين في أخبار الدولتين"، وقد ترجم له في كتاب " الذيل على الروضتين" قال: " وفيها أي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م توفي القاضي بهاء الدين ابن شداد بحلب، واسمه يوسف بن رافع بن تميم، وكان من رؤسائها، وكان للناس به نفع، وكنت قد اجتمعت بابن شداد بدمشق، وأجاز لي جميع ما يرويه، ثم سمعت عليه بمصر"[2]...ومن تلاميذ ابن شداد كذلك، جمال الدين بن واصل الحموي، مؤرخ الدولة الأيوبية، وصاحب كتاب، مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب" وقد ذكر ابن واصل شيخه ابن شداد ضمن من ذكرهم من شيوخه، فذكر في حوادث سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م" :وكنت في حلب في هذه السنة، قد توجهت

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥،ص٣٧٥.

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للاشتغال بالعلم على الشيخ نجم الدين ابن الخباز... ولتحصيل البركة بالقاضي بهاء الدين ابن شداد.."،[1] وهؤلاء هم أشهر تلاميذ بهاء الدين بن شداد.

منزلته العلمية ووفاته:

لقد بلغ ابن شداد مبلغاً عظيماً في العلم، ولا أدلَّ على ذلك من كتابه " النوادر السلطانية " الذي وضعه في مصاف المؤرخين الكبار، ولأجل علمه وورعه ومكانته المرموقة، ضمَّه صلاح الدين الأيوبي لخدمته بعد أن أسمعه ابن شداد حديثاً خلال زيارته لدمشق بعد أن حج بيت الله، فأعجب به صلاح الدين إعجاباً شديداً.

وقد كان ابن شداد ثقة أمينا، وهذا ما حدا بالملك الظاهر لأن يعينه وزيراً وقاضياً، وظل ابن شداد محافظاً على مكانته الرفيعة إلى أن أقعدته الشيخوخة حيث مرض أياماً، وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر من صفر سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م، في حلب، ودفن فيها[2].

التعريف بأشهر مؤلفات ابن شداد ومحتواها:

لم يؤلف ابن شداد مؤلفات كثيرة، فهي لا تزيد عن الست مؤلفات، وهنا تجدر الإشارة الى على مسألةٍ هامة علق كثير من المؤرخين عليها، ألا وهي الخلط

---

(١) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم ت(٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار القلم، ج٣، ١٩٦٠م، ص١٦٥، وسيشار إليه لاحقاً: ابن واصل، مفرج الكروب.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين ابن شداد صاحب كتاب" النوادر السلطانية " وهو المعني بدراستنا هنا، وبين ابن شداد صاحب كتاب " مفرج الكروب في أخبار بني ايوب"، والسبب في ذلك أنهما تشابها في النسبة لابن شداد، وكلاهما من حلب، ولاشتغالهما في التاريخ، وتأليفهما فيه، ولكونهما توفيا في قرن واحد وهو القرن السابع الهجري غير أن مؤرخنا صاحب سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي كان يُكنّى ببهاء الدين، واسمه الكامل بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ابن شداد بينما كان سمّيه يُكنّى بعز الدين، واسمه الكامل عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد.

وكان أول من وقع في الخلط بين المؤرخين حاجي خليفة في كتابه " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، فقد نسب كتاب " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة" لبهاء الدين بن شداد، ولم ينسبه إلى مؤلفه الأصلي عز الدين ابن شداد، ووقع في نفس الخطأ الشيخ كامل الغزّي في كتابه " نهر الذهب في تاريخ حلب" وجرجي زيدان في كتابه " تاريخ آداب اللغة العربية "[1]

وسأقوم بذكر مؤلفات بهاء الدين بن شداد، مسلّطاً الضوء على أهمها وهو كتاب النوادر السلطانية. ومؤلفات ابن شداد حسبما أوردها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان هي:

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية،المقدمة،ص٧ .

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

١- دلائل الأحكام[١]، تحدث فيه المؤلف عن الأحكام النبوية المستنبطة من الأحكام الشرعية .

٢- ملجأ الحكّام عند التباس الأحكام[٢]، وهو كتاب في الأقضية.

٣- كتاب العصا[٣] وهو كتاب تحدث فيه المؤلف عن عصا سيدنا موسى.

٤- فضائل الجهاد[٤]، وقد ألفه ابن شداد خصيصاً لصلاح الدين، كما ذكر ذلك في النوادر السلطانية، وجمع فيه كل الآيات التي ذكرت الجهاد وفضله والأحاديث النبوية التي بيّنت رتبة المجاهدين.

٥- أسماء الرجال الذين في المهذب للشيرازي.

٦- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وهو محل بحثنا هنا وقد خصصه المؤلف لصلاح الدين الأيوبي وذكر كل ما يتعلق به.

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي.

لقد وضّح ابن شداد في هذا الكتاب مسيرة صلاح الدين الأيوبي وكفاحه المرير الذي مارسه لتشييد بناء الدولة الأيوبية، وقد قام ابن شداد بتتبع أساليب

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٨٧، وما بعدها.

(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ق٣،ترجمة يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٩٣م، ص٣٨١، وسيشار إليه لاحقا: بروكلمان، تاريخ الادب العربي.

(٣) المصدر نفسه، ق٣،ص٣٨١.

(٤) المصدر نفسه، ق٣،ص٣٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صلاح الدين القيادية في جميع مراحل جهاده مع الحملة الفرنجية التي كانت في ذاك الزمان، وهو بحق من أفضل ما كُتب من سير لصلاح الدين الأيوبي بإجماع المؤرخين، وعدّت هذه السيرة أوثق المراجع للتأريخ لصلاح الدين وبخاصة الفترة الأخيرة من حياته.

وقد بدأ اتصال ابن شداد بصلاح الدين بدءاً من سنة ٥٨٤هـ/١١٨٩م إلى أن توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م[١]، وبدأ ابن شداد بسرد الأحداث التي قام بها صلاح الدين من لدن توليه امر الوزارة المصرية، بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م إلى حين وفاته، حين أورد ابن شداد تحت عنوان "ذكر وفاة أسد الدين ومصير الأمر إلى السلطان "فقال" وذلك أن أسد الدين كان كثير الأكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة، وتتوافر عليه التخم والخوانيق، وينجو منها بعد معاناة شديدة عظيمة، فأخذه مرض شديد، واعتراه خانوق عظيم، فقتله في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة في السنة المذكورة -٥٦٤هـ/ ١١٦٩م - وفُوض الأمر بعده للسلطان واستقرت القواعد "[٢].

ثم يبدأ ابن شداد بعد ذلك بمتابعة سيرة السلطان صلاح الدين، وخوضه الفتوحات والمعارك، وأمر الولاة والأمراء، وملوك الفرنج وهجماتهم، وأحوال الجيوش الإسلامية.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٨٧.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمدقق في هذا الكتاب يرى أن ابن شداد قد وضع مسودات هذا الكتاب على شكل يوميات أرخ فيها للحوادث التي شاهدها، أو سمع بها أو حققها، وقد ذكر كثيراً من التفاصيل حول أعداد الناس والخيل، ووصف العدو، والآلات، وأحوال الجنـود، وذكر الأسماء، ومقدار الأسعار، لكن الملاحظ أنه قد جمع الحوادث ورتبها في هذا الكتاب في وقت متأخر عن وفاة صلاح الدين، ويدل على ذلك ترحمه عليـه كلمـا ذكره، مثال: "وكان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر لله"(١)، وذكره بعض البلـدان التي افتتحها صلاح الدين نهائية حياته ثم عادت إلى سيطرة الفرنجيين مرة اخـرى، وهي لم تعد إلا بعد وفاة صلاح الدين، إضافة على ترحمه على بعض الذين مـاتوا بعد صلاح الدين(٢).

وقد ظهر في ثنايا الكتاب إعجاب ابن شداد بصلاح الدين الأيوبي، وقد تجلى ذلك في الترحم عليه، والدعوة له بالمغفرة حيثما ورد اسمه، ولهـذا يجـد القـارئ عبارات الاسترحام التي لا تحصى في الكتاب، ومن ذلك قوله، قدّس الله سره، والله إنه ترك ذلك كله ابتغاء مرضاتك فارضَ عنه، وارحمه.

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧.

(٢) المصدر نفسه،ص٣٠، ٤٥، ٤٧، ٦٠، ٧٧، ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مصادر ابن شداد في كتابه النوادر السلطانية:

لازم ابن شداد صلاح الدين الأيوبي طوال الحقبة الأخيرة من حياته التي قضاها في الشام، من سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٩م إلى ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وخالطه مخالطة تامة، لذلك كانت مصادره هي السماع والمشاهدة فقط، وقد نص في معظم الأحوال التي أرخ لها بأنه رآها، أو سمعها، أما إذا لم يكن قد شاهد حادثة بنفسه فإن الأمانة العلمية كانت تقتضيه أن ينص على أنه كان متغيبا.

وهذه بعض المواطن التي يذكر ابن شداد فيها مصادره التي اعتمد عليها في كتابة كتابه، فمنها قوله في ذكر دخول صلاح الدين الساحل الأعلى " وجميع ما حكيته قبل إنما هو روايتي عمن أثق به ممن شاهده، ومن هذا التاريخ ما أسطر إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق به خبراً يقارب العيان" (١)، وفي موطن آخر من الكتاب يورد: "... هذا ترتيب القوم على ما شاهدته وأخبر به من خرج منهم من الأسرى والمستأمنين "(٢).

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٨٧

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويذكر ما وصله من معلومات عن طريق البلاغات، وذلك في مضمار حديثه عن ذكر محافظته أي صلاح الدين – على أساليب المروءة وذلك في حادثة قتل أرناط حيث قال:" هذا ما بلغني على ألسنة جماعة، لأني لم أحضر هذه الواقعة"(١).

وفي مضمار كتابته عن الأمور التي كان حاضرا فيها، يقول عن حادثة وصوله إلى خدمة السلطان "وكان الشيخ قد وصل إلى محروسة الموصل رسولا، وسار فيها بعد أن سار في صحبته القاضي محي الدين بن كمال الدين، وكان بينهم صحبة من الصبا، وكنت مع القوم حتى أتينا دمشق"(٢).

وكذلك قوله عن الأمور التي حكيت له:" ولقد حكى لي بعض من ولي "(٣)، وقوله:" ولقد بلغني أنه – رحمة الله عليه- رحل عن القدس ولم يبق له من ذلك المال شيء"(٤).

وقد أورد ابن شداد في الكتاب عددا من الوثائق الهامة التي تلقي أضواء على العلاقات بين صلاح الدين والممالك الفرنجية التي كانت مجاورة، ومن بين تلك الوثائق الخطابات المرسلة من الكاغيكوس مقدم الأرمن، وامبراطور بيزنطة إلى صلاح الدين، فقد جاء تحت عنوان "صورة كتاب الكاغيكوس الأرمني" :ولقد وصل

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٤

(٢) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إلى السلطان- رحمه الله – كتاب من الكاغيكوس، وهو مقدم الأرمن، وهو صاحب قلعة الروم التي على طرف الفرات"[1]، وقد ذكر ابن شداد النسخة مترجمة.

وقد ذكر ابن شداد كذلك كتابا وصل من القسطنطينية حيث قال " وكان بين السلطان – رحمه الله – و ملك القسطنطينية مراسلة ومكاتبة، وكان وصل منه رسول إلى الباب السلطاني بمرج عيون في رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة في جواب رسول كان انفذه السلطان إليه، بعد تقرير القواعد واقامة قانون الخطبة في جامع القسطنطينية.."[2] وقد ذكر ابن شداد الكتاب مترجما.

فهذه هي المصادر التي اعتمدها ابن شداد في كتابه النوادر السلطانية وقد كان متحريا للدقة في إيراد الحوادث والوقائع، ويشير في بداية الحادثة أو عند خاتمتها إلى الطريق التي حصل منها على المعلومات التي كتبها وهي كما سبق، لا تخرج عن المشاهدة حيث كان حاضراً أو عن السماع الذي سمعه ممن يثق بهم، وهذا دليل على أنه لم ينقل ولم يورد في الكتاب إلا ما صحَّ عند من أوتي حظاً من الأمانة العلمية والصدق في تثبيت الوقائع.

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أهمية كتاب النوادر السلطانية:

تكمن أهمية كتاب النوادر في أنه أوثق المصادر التاريخية التي كتبت عن صلاح الدين الأيوبي، فعليها اعتمد جل المؤرخين اللاحقين من عرب وأوروبيين عند الكتابة عن صلاح الدين.

وقدم الكتاب وصفا تفصيليا دقيقا للأحداث التاريخية والمعارك الحربية، ولأدوات القتال والحرب المستعملة في جيشي المسلمين والفرنجة، ويعد هذا احد المميزات البارزة لهذا الكتاب، كما ينفرد الكتاب بوصف كثير من الأوضاع الاجتماعية والإدارية في المجتمعين الإسلامي والفرنجي، وسأقوم بتناول المواضيع التي تطرق إليها كتاب النوادر السلطانية بشيء من التفصيل.

قسم بهاء الدين بن شداد كتابه إلى قسمين، الأول ذكر فيه المؤلف مولد صلاح الدين،ونشأته،وخصاله وأوصافه، وأخلاقه، وشمائله الراجحة في نظر الشرع، وجاء القسم الثاني في ذكر تقلبات الأحوال به ووقائعه، وفتوحاته، وتواريخ ذلك إلى آخر حياته.

وقد ابتدأ القسم الأول بعنوان "ذكر مولده[1]، ثم يذكر ابن شداد مآثر والد صلاح الدين وتنقلاته، معرجا بعد ذلك على ذكر ما شاهده من مواظبة صلاح الدين

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

على القواعد الدينية والأمور الشرعية [١]، ممتدحاً العلماء الذين تلقى صلاح الدين العلم على أيديهم، وناقلاً رضا اساتذته ومشايخه عنه، منتقلاً بعد ذلك للحديث عن التزامه بالصلاة ومحافظته عليها جماعة [٢].

ولا يفوت ابن شداد أن يورد التزام صلاح الدين بأداء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله، وذكر عدله[٣]، وبعد ذلك جاء ابن شداد بعنوان: "ذكر شجاعته[٤]، ولا يفوت ابن شداد أن يؤكد على اهتمام صلاح الدين بالجهاد، لعلمه بأن صلاح الدين قد حبب إلى قلبه حمل لواء الدعوة والمنافحة عن أرض الإسلام، وقد سبق أن أهدى ابن شداد لصلاح الدين كتابا في الجهاد جمع فيه آدابه وكل آية وردت فيه، وكل حديث روي في فضله[٥]، ثم ذكر بعد ذلك طرفاً من صبره واحتسابه، ونبذاً من حلمه وعفوه، ومحافظته على أسباب المروءة[٦].

وفي القسم الثاني يذكر حركة صلاح الدين إلى مصر في صحبة عمه[٧]، وابن شداد لا يذكر الأحداث في هذه الآونة مستعرضاً كل ما جرى، بل يذكر حدثاً أو حدثين في السنة ثم ينتقل إلى سنتين أو ثلاث بعد ذلك حتى يذكر حدثا ذا أهمية.

---

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص١٩.
(٥) المصدر نفسه، ص٢١.
(٦) المصدر نفسه، ص٢٣، ٢٤، ٢٦.
(٧) المصدر نفسه، ص٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد ذلك بدأ ابن شداد ببسط الكلام عن تحركات صلاح الدين وفتوحاته فذكر أول غزوة غزاها من الديار المصرية وسببها، وبعد وفاة السلطان نور الدين محمود زنكي سنة تسع وستين وخمسمائة توجه السلطان صلاح الدين إلى دمشق ليمتلك زمام الحكم فيها[1].

هذا وقد كان ابن شداد يذكر الأحداث بشكل عرضي قبل لقائه بالسلطان سنة اربع وثمانين وخمسمائة، ثم بدأ بعد ذلك بذكر أدق التفاصيل لأنه كان شاهدا وحاضراً على جُلّ الأحداث التي وقعت بعد هذا التاريخ، وقد استحوذ التأريخ لهذه الفترة(٥٨٤-٥٩٠هـ) على أكثر من ثلثي الكتاب مع ذكر أدق التفاصيل في الحوادث التي جرت، فيذكر فتح انطرطوس، وفتوح جبلة، وفتوح اللاذقية، وفتوح صهيون التي ينقل فيها ابن شداد تفاصيل حصن صهيون ومنعته بشكل دقيق [2]وهكذا دواليك، يقوم ابن شداد بوصف القلاع والحصون التي كان حاضرا على فتحها، مظهرا البراعة في الوصف، والدقة في التعبير.

وفي كتاب النوادر السلطانية أحداثٌ طريفة ونادرة، فمن النوادر التي ذكرها في كتابه قصة العوّام عيسى، حيث قال: " ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها أن عوّاماً مسلما كان يقال له عيسى، كان يدخل إلى البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلا، على غِرّةٍ من العدو، وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العدو، وكان ذات ليلة قد شدّ على وسطه ثلاثة أكياس، فيها ألف دينار وكتب للعسكر، فعام في البحر، فجرى عليه من أهلكه، وأبطأ خبره عنا، وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طيرٌ عرّفنا بوصوله، فأبطأ الطير، فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد، فإذا البحر قد قذف إليهم ميتا غريقا، فافتقدوه فوجدوه عيسى العوّام، ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب.."[1].

وهناك نادرة أخرى وهي قصة طائر الباز الذي أحضره ملك الأفرنسيس حين قال:"وكان قد صحبه من بلاده باز عظيم عنده، هائل الخلق، أبيض اللون، نادر الجنس، وكان يعزه ويحبه حبا عظيماً، فشدّ البازي من يده، وطار وهو يستجيبه ولا يجيبه، حتى سقط على سور عكا، فاصطاده أصحابنا، وانفذوه إلى السلطان – رحمه الله– وكان لقدومه روعة عظيمة، واستشعارٌ عظيم بالظفر، ولقد رأيته وهو يضرب إلى البياض، مشرق اللون، ما رأيت بازاً أحسن منه، فتفاءل المسلمون بذلك، وبذل الفرنج فيه ألف دينار فلم يجابوا" [2]، وذكر هذا الحوادث يدلل على تقصي ابن شداد لدقائق الأمور، حتى لو عدّها غيره من فضلة الكلام، إلا أنه مهتم أشد الاهتمام بالاحاطة بكل صغيرة وكبيرة وهو يؤرخ لسيرة بطلٍ عظيم.

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتطرق ابن شداد في ثنايا كتابه للحديث عن بعض الأوضـــاع الاجتماعيـــة سواء في المجتمع الإسلامي أو المجتمع الفرنجي، ومن هذه الأوضاع نص يفيـــد أن المسلمين المقيمين في الأراضي الخاضعة للصليبيين كانوا يرجعون في خصوماتهم إلى قاض منهم(١).

وهناك نص يدل على أن بعض أمراء الفرنجيين في الشام كانوا على معرفة باللغة العربية والاطلاع على شيء من التواريخ والأحداث(٢)،ويصف ابـــن شـــداد بعض الشرائع والأحكام التي كان يُؤخذ بها من قبل جنود ملك الألمان(٣).

وهناك إشارة إلى بعض تقاليد الفرنجيين في التشاور والتحكيم، فيقول:" ومن عاداتهم أنهم يتشاورون للحرب على ظهور الخيل، وأنهم قد نصّوا على عشرة أنفس منهم وحكموهم، فبأي شيء أشاروا به لا يخالفونهم"(٤).

و يصف ابن شداد أحياناً طبيعة العلاقات التي تربط المعسكرين المتقـــاربين، وتجاور القوات المشتبكة، فيروي " وتتراءى النيران، ونسمع منهم صوت النـــاقوس ويسمعون منا صوت الآذان"(٥).

---

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويضيف تحت عنوان: " وقعة جرت للعرب مع العدو":" وفي ذلك اليوم وقع بين العدو و أهل البلد حرب عظيم قتل فيه جمعٌ عظيم من الطائفتين، فطال الأمر بين الفئتين، وما يخلو يوم عن جرح وقتل وسبي ونهب، وأنس البعض بالبعض بحيث أن كانت الطائفتان تتحدثان، وتتركان القتال، وربما غنّى البعض ورقص البعض، لطول المعاشرة، ثم يرجعون إلى القتال بعد ساعة"(١).

ويتطرق ابن شداد لوصف نادر لعلم الجيوش الفرنجية يقول فيه:" وعلمُ العدو مرتفعٌ على عجلة هو مغروس فيها، وهي تُسحب بالبغال، وهم يذبّون عن العلم، وهو عال جداً كالمنارة، خُرقته بياضٌ، ملمّعٌ بحمرة، على شكل الصلبان".(٢)

ويقدّم ابن شداد وصفاً تفصيلياً دقيقاً للأحداث التاريخية وللمعارك الحربية، ولأدوات القتال، والحرب المستعملة في الجيشين مما لا يوجد في مرجعٍ آخر، وعند التتبع للألفاظ الاصطلاحية الواردة في الكتاب، وخاصة ما اتصل منها بآلات القتال في البر والبحر، فهي كثيرة جداً وفيما يلي بعض من المواطن التي وردت فيها:

- قوله:" وذلك أن الفرنج – خذلهم الله- كانوا نازلين ببيت نوبة، وهو موضع قريب من القدس الشريف، بينهما بعض مرحلة، وقد أقام يزكاً[١] على العدو محيطاً به[٢]".

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- وقوله:" وكان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب[٣]"[٤].

- وقوله: "وكان، رحمه الله، جالساً في باب الخركاة[٥]"[٦].

- وقوله: "فاستصحبوا المنجنيقات والدبابات[٧] والجروخ[٨]، وآلات الحصار.."[٩]

- وقوله:" وكانوا في ستمائة قطعة ما بين شيني[١٠] وطرّاده[١١] وبُسطه[١٢]".

---

(١) اليزك: لفظ فارسي معناه طلائع الجيش، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٠،هامش رقم (٦).

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية،ص١٠.

(٣) الأطلاب: جمع طلب، وهو لفظ كردي معناه الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال، وكان أول ما استعمل هذا اللفظ بمصر والشام أيام صلاح الدين، ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة،ابن شداد، المصدر نفسه:،ص٢٤، هامش رقم (٣).

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٥) الخركاة: وجمعها خركاوات، لفظ فارسي وهو نوع من الخيمة يتكون من قطع من الخشب معقود بينهما على شكل قبه، وتغطيها قطع من اللبد، ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢٨، هامش رقم (٣).

(٦) المصدر نفسه، ص٢٨.

(٧) الدبابات: آلات تتخذ من جلود وخشب، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن لينقبوه، وتقيهم ما يرمون به من فوقهم، سميت بذلك لأنها تدفع فتدب، ابن شداد، المصدر نفسه،ص٤٢، هامش رقم (١).

(٨) الجروخ: جمع جرخ، لفظ فارسي، وهو نوع من القوس الرامي الذي ترمى عنه النشاب أو النفط، المصدر نفسه، ص٤٢،هامش رقم (٢).

(٩) ابن شداد، المصدر نفسه،ص٤٢.

(١٠) الشيني أو الشاني أو الشينية أو الشونة – جمعها شواني- السفينة الحربية الكبيرة وهي أهم القطع التي يتكون منها الأسطول في الدولة الإسلامية، ابن شداد، المصدر نفسه، ص٤٨، هامش رقم (٢).

(١١) الطريدة: ويقال الطراد أو الطرادة أو التطريدة – والجمع طرائد، وهي سفينة برسم حمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرسا، ابن شداد، المصدر نفسه، ص٤٨، هامش رقم (٣).

(١٢) البطسة أو البُطسة، ويقال أحيانا بطشة أو بُطشة، وقد تحرف إلى بسطه، أو بسطه، والجمع بطسات وبُطس وبطشات وبُطش، وهي مأخوذه عن الإسبانية، ومعناها السفينة الكبيرة، ابن شداد، المصدر نفسه، ص٤٩، هامش رقم(١)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- وقوله: " فعبر منهم جمع عظيم ما وجدت مع واحد منهم طارقة [١].."[٢]

- وقوله: " فإنهم سارعوا إلى الميمنة حتى وصلوا قبل استتمام ركوب العساكر إلى مخيم الملك العادل ودخلوا في طاقة[٣]..."[٤].

وهذا استقصاء للأسلحة التي كانت تستعمل في الجيشين أو لدى أحدهم دون الآخر، وهي آلات ابتدعتها الحاجة العسكرية الملحة لفتح الحصون والقلاع، والملاحظ أن الآلة الحربية البحرية كان لها نصيب كبير في هذه العدة، وذلك لأن الفرنج كانوا يفدون في الغالب عن طريق البحر، ثم يقومون بمهاجمة المدن الساحلية الإسلامية.

ولا يفوت ابن شداد أن يذكر وفيات بعض الأعيان والأمراء والعلماء في ثنايا كتابه[٥]، ولا ينسى ابن شداد أن يذكر كذلك وفاة بعض الفقهاء، ومنهم الفقيه عيسى[٦]، ولكن دون أن يذكر الشيء الكثير عن ترجمته.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الطارقة: لها معنيان الأول: نوع من الترس يحمله الجندي لحماية نفسه أثناء القتال، وهو ترس كبير يغطي معظم الجزء الأسفل من الجسم، ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٢٨،هامش رقم (٥).

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٣) الوطاق: لفظ معرب، وأصله بالتركية (أوتاق أو أوطاق أو أوتاغ) ومعناه الخيمة أو مجموعة الخيام أو الغرفة، ابن شداد، المصدر السابق، ص١٢٩،هامش رقم (١).

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٨. ص٣٩. ص٤٥. ص٤٦. ص٤٧. ٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ص١١٦.

أما بالنسبة لحديث ابن شداد عن الأوضاع الاقتصادية في مُؤلَّفه، فلا يورد كلاماً كثيراً، سوى إشارات بسيطة[1]، ولا يشير إلى أحوال الناس ومعاشاتهم وصنائعهم، والسبب في ذلك أن ابن شداد قد وجه اهتمامه إلى الكلام عن جميع تحركات صلاح الدين وتنقلاته وأحواله.

وفي نهاية كتاب "النوادر السلطانية" الذي ابتدأه ابن شداد بمولد السلطان صلاح الدين، يصل الكاتب إلى مشهد وفاة صلاح الدين، ذلك المشهد الذي تهتز له القلوب ألما على فراق البطل المسلم، والأمة حزينة باكية على فراقه[2].

وهكذا يختم ابن شداد سفراً عظيماً لبطل عظيم، أفنى حياته وهو يكافح في سبيل النهضة بالأمة الإسلامية، وبقائها لتتابع رسالتها المقدسة.

منهج ابن شداد وأسلوبه في كتابه " النوادر السلطانية "

صنف ابن شداد كتابه حسب المواضيع مرتبة حسب السنين ذاكرا الموضوع، وبعده التفاصيل، ولقد كان بهاء الدين بن شداد متميزا في عرض مادة الكتاب، فقد اختار المنهج المناسب في أثناء تقسيم مادة الكتاب، حيث قسمه إلى قسمين كما مرَّ سابقا، جاء القسم الأول في مولد صلاح الدين وخصائصه وأوصافه وفتوحاته في تواريخها، وجاء القسم الثاني في بيان تقلبات احواله ووقائعه وفتوحاته.

---

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٦-٢٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أضف إلى ذلك أسلوب ابن شداد الشيق البسيط، والمتابع لأسلوب ابن شداد، يرى الصدق الموضوعي الذي يبرز في النصوص التي أوردها، إذ إنه سرد الأحداث والصفات والمواضيع بأسلوب بسيط، خال من التعقيد والتكلف والصنعة، فجاءت العبارات منظمة مفهومة، ومرتبة ترتيباً منطقياً وزمانياً، ومما يلاحظ على أسلوبه اقترابه من لغة الناس، فقد يتبادر إلى الذهن أنه يكتب بلغة عامية من شدة بساطته في تطويع المصطلحات واستخدامها في مكانها المناسب، وكما يلاحظ أن أسلوبه يتأثر بحالته النفسية، فتارةً يرتفع بارتفاع حدة الانفعال وتارةً أخرى يحزن لأبسط المواقف، فينخفض انفعاله.

وهكذا التزم ابن شداد بالموضوعية التامة في تقديم الحقائق مالها وما عليها، التي تعلي من شأنه، وتزيد من ثقة الناس به.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابـــن العديـــــم

سيرته (٥٨٨هـ /١١٩٢م - ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)

ولد عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب كمال الدين المشهور بـــابن العـــديم العقيلي الحلبي المعروف بابن ابي جرادة بحلب، في العشر الأول مـــن ذي الحجـــة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة(١). ولقب بني العديم الذي تلقب به عائلته يُقال أنه لحق بجده الأول هبة الله بن أحمد الذي كان يكثر في شعره من ذكـــر العُـــدْم وشـــكوى الزمان مع أنه كان يملك ثروة واسعة ونعماً كثيرة فسمي بذلك(٢).

وقد نشأ ابن العديم في عائلة عرفت بالعلم والفضل، فقد تبوأ والـــده مناصـــب عالية زمن نور الدين محمود زنكي، وكان أبرزها قاضي قضاة الدولـــة، وخطيـــب

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج٥،ص٢٠٦٨، الذهبي، العبر ، ج٣، ص٣٠٠ ، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت(٧٦٤هـ/١١٣٦م)، الوافي بالوفيات ، تحقيق رمزي بعلبكـــي و فرانزشـــتاينر ، بيـــروت،(د.ن) ،١٩٨٣م،ج٢٢،ص٤٢٢، وسيشار إليه لاحقاً:الوافي بالوفيات، ، ابن كثير، البداية والنهايـــة،ج٤،ص٤٤٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧،ص١٨٣ ،ابن العمـــاد ، شـــذرات الـــذهب، ج٧،ص٥٢٥ ، ابـــن قطلوبغا، زين الدين ابو العدل قاسم السوداني، تاج التراجم في طبقات الحنفيـــة، بغـــداد، مكتبـــة المثنـــى، ١٩٦٢م، ص٤٨،وسيشار إليه لاحقاً: ابن قطلوبغا، تاج التراجم، البغدادي، هدية العارفين اسماء المـــؤلفين وآثار المصنفين،استانبول، وكالة المعارف الجليلة،١٩٥١م ،ج٥،ص٧٨٧، وسيشار إليه لاحقاً: البغـــدادي، هدية العارفين، الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء،دمشق،دار القلم العربـــي،١٩٨٨م، ج٤ص٤٤٤، وسيشار إليه لاحقا: الطباخ، اعلام النبلاء، الزركلي، خير الدين، الأعلام،القـــاهرة، مطبعـــة كونستانوس،١٩٥٤م، ج٥،ص٤٠،وسيشار إليه لاحقا: الزركلي، الاعلام، الكتبي، فـــوات الوفيـــات، ج٣،ص١٢٧.

(٢) الكتبي، فوات الوفيات،ج٣،ص١٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القلعة[1]، وعُني والد كمال الدين به عناية كبيرة، وكان يريه خط ابن البواب لكي يقلده، وقد تم ذلك لابن العديم فقد أورد ياقوت الحموي في ذكر شهرة خط ابن العديم كلاماً جاء منه:" وشاع ذكره في البلاد، وعرف خطه بين الحاضر والباد، فتهاداه الملوك، وجعل مع اللآلئ في السلوك.."[2]، وقد كان والد ابن العديم يصطحبه في كثير من أسفاره حيث أن والده كان ميسور الحال، فاصطحبه إلى بيت المقدس ودمشق مرتين، أولاهما في سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) وقد كان عمره يومها خمس عشرة سنة وثانيتهما سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)، حيث جمعه بمشايخ القدس ودمشق فتعلم وأفاد منهم الكثير ثم إنه رحل به إلى الحجاز والعراق[3]، مما حدا بوالد ابن العديم أن يعتني به اعتناءً فائقاً، لأنه كان الابن الذكر الوحيد له بين عدة بنات[4].

وعن زواجه يذكر ابن العديم أن والده زوجه مرتين، ففي المرة الأولى خطب له وزوجه بقوم من أعيان حلب، ثم إنه حصل خلاف بينه وبين زوجته فطلقها، ورد إليها ما جرت العادة بتقديمه في ذلك الوقت، ثم تزوج بعدها بابنة أحد مشايخ حلب[5]، وقد كان ابن العديم مقرباً من السلطان، وذلك للمكانه التي كانت تتمتع بها

(١) الحموي ، معجم الأدباء،ج٥،ص٢٠٨٢، الطباخ، اعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٦، الكيالي، سامي، ابن العديم، مجلة العربي، الكويت،عدد ١٩٦٤، ٧٣، ص٧٥ وسيشار إليه لاحقا : الكيالي، ابن العديم.

(٢) الحموي، المصدر نفسه،ج٥،ص٢٠٨٦.

(٣) الحموي، المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠٨٥.

(٤) الحموي، المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠٨٤.

(٥) الحموي، المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠٨٥، الطباخ، أعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسرته من الجاه والعلم، فيذكر أن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب كان كثير الإكرام له كما أنه كان يقبل عليه رغم صغر سنه(١).

كما أن ابن العديم ولي التدريس في مدرسة شاذبخت وذلك بعد وفاة والده حيث يورد ياقوت ذلك الخبر بقوله:" ولما مات والده بقي بعده مدة، ومات مدرس مدرسة شاذبخت، وهي من أجلّ مدارس حلب وأعيانها، ولي التدريس في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة، وعمره يومئذ ثمان وعشرون سنة، هذا وحلب أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ إلا أنه رؤي أهلا لذلك دون غيره"(٢).

وبالنسبة لسفارات ابن العديم بين الملوك فقد ذكر المؤرخون بعض سفاراته في حوادث سنة أربع وخمسين وستمائة بقوله:" وفيها توجه كمال الدين المعروف بابن العديم رسولاً من الملك الناصر يوسف صاحب الشام إلى الخليفة المستعصم، وصحبته تقدمة جليلة، وطلب خلعةً من الخليفة لمخدومه، ووصل من جهة المعز بن ايبك التركماني صاحب مصر شمس الدين سنقر الأقرع بتقدمةٍ جليلة إلى بغداد، وسعى في تعطيل الناصر يوسف صاحب دمشق فبقي الخليفة متحيداً، ثم إنه أحضر سكيناً من اليشن كبيرة، وقال الخليفة لوزيره أعط هذه السكين رسول صاحب الشام

(١) الحموي، المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠٨٥.

(٢) الحموي، المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علامة مني في أن له خلعة عندي في وقت آخر، وأما في هذا الوقت فلا يمكنني، فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وعاد إلى الملك الناصر"[1].

وهناك حادثة يذكرها ابن كثير في حوادث سنة سبع وخمسين وستمائة إذ قال:" وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام..."[2]، فهذه أمثلة من أعماله السياسية تدل على مكانته عند الملوك والسلاطين في ذلك العصر.

شيوخ ابن العديم وتلاميذه

لقد تلقى ابن العديم علمه على أيدي مشايخ كثر، فقد سمع بحلب من عمر بن طبرزد[3]، وافتخار الدين عبد المطلب الهاشمي[4]، والقاضي بهاء الدين يوسف بن

---

(١) أبو الفداء،عماد الدين بن اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد الملك المويد ت(٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٨م،ج٢،ص٢٩٩، وسيشار إليه لاحقا: ابو الفداء،المختصر.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٢٨٨.

(٣) ابن طبرزد هو عمر بن محمد بن معمر بن يحيى بن أحمد بن حسان أبو حفص الدارقزي البغدادي، كان شيخ الحديث في عصره، أدب الصبيان في دار القز ببغداد فنسب إليها، وحدث ببغداد وبأربل والموصل وحلب ودمشق، ولد سنة ستة عشر وخمسمائة، وصنف مسند الإمام عمر بن عبد العزيز من روايته، قدم دمشق في آخر أيامه، فازدحموا عليه ودرس بجامع المنصور وكان ظريفا كثير المزاح، توفي في دمشق سنة سبع وستمائة، الزركلي. الأعلام، ج٥،ص٦١.

(٤) افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي البلخي، من سلالة عبد الله بن عباس، فقيه، ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في بلخ ونشأ فيها، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في حلب وله من المصنفات " شرح الجامع الكبير للشيباني" في الفقه، توفي في حلب سنة ستة عشر وستمائة، انظر الزركلي، الاعلام، ج٤،ص١٥٤، الطباخ ، اعلام النبلاء، ج٥،ص٣٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رافع بن شداد،وجماعة كثيرة غيرهم، وأبي القاسم عبد الصمد بن القاضي الحرستاني[١]،والحسن بن صصرى، وابن البناء والبهاء عبد الرحمن، وابن المنى، وأحمد بن عبد الله العطار، والعماد إبراهيم بن عبد الواحد، وسمع ببغداد من عبد العزيز بن محمود بن الأخضر[٢].

أما تلاميذ ابن العديم فهم ولده مجد الدين ابو محمد عبد الرحمن، وابن مسدي[٣]، وابن الحاجب[٤]، وسمع منه الدمياطي، وكذلك أبو القاسم أحمد بن محمد بن الحسين، وهؤلاء كانوا سادة العلم لعصره، وكلهم ألف واشتهر وكان حجة في علمه.

---

(١) الحرستاني، هو القاضي جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري شيخ القضاة العالم العادل الزاهد، ولد في دمشق سنة عشرين وخمسمائة وأصله من قرية حرستا قرب دمشق أمّ في مسجد الزينبي في دمشق، ورحل إلى حلب وسمع من جمال الإسلام أبي الحسن علي بن مسلم وعبد الكريم بن حمزة بن الخضر، وكان يقرأ عليه الكتب خلق عظيم لحسن سمته وسكوته وهيبته توفي سنة أربع عشرة وستمائة في دمشق، أبو شامة، الذيل على الروضتين،ص١٠٦.

(٢)ابن الاخضر، هو عبد العزيز بن محمود بن المبارك ابن الأخضر الجنابزي ثم البغدادي الحنبلي البزار، ابو محمد محدث عصره في العراق، ولد في بغداد سنة أربع وعشرين وخمسمائة وأصله من جنابز قرية بنيسابور صنف مجموعات حسنة، وكان ثقة، يعد من محاسن البغداديين وظرفائهم، ومن مصنفاته" تنبيه اللبيب وتلقيح فهم المريب في تحقيق أوهام الخطيب" و" الإصابة في ذكر الصحابة أبناء الصحابة "وكتاب" من روى عن الإمام أحمد" توفي ببغداد سنة أحد عشر وستمائة، الزركلي، الأعلام، ج٤،ص٢٨.

(٣) ابن مسدي،هو محمد بن يوسف بن موسى الازدي المهلبي، أبو بكر، جمال الدين الاندلسي المعروف بابن سدي، من حفاظ الحديث المصنفين فيه، المؤرخين لرجاله، أصله من غرناطه، ولد فيها سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ورحل من غرناطة سنة عشرين وستمائة، وقرأ على بعض علماء تلمسان وتونس وحلب ودمشق وسكن مصر ثم جاور مكة، قال العسقلاني: كان من بحور العلم ومن كبار الحفاظ، وله كتب منها" المسند الغريب" وقد جمع فيه مذاهب علماء الحديث و" الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة " توفي بمكة غيالة سنة ثلاث وستين وستمائة، الزركلي الأعلام، ج٧،ص١٥٠.

(٤) ابن الحاجب، هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمر جمال الدين بن الحاجب ولد في أسنا (من صعيد مصر) سنة سبعين وخمسمائة، فقيه مالكي من كبار علماء العربية، كردي الأصل نشأ في القاهرة وسكن دمشق له تصانيف كثيرة " منها " الكافية " في النحو و" الشافية" في الصرف وغير ذلك توفي في دمشق سنة ست وأربعين وستمائة الزركلي، الأعلام،ج٤،ص٢١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منزلته العلمية ووفاته:

بلغ ابن العديم مبلغا في العلم والقدر حتى امتدحه المؤرخون وقالوا فيه القول الصدق وعدّه ثقة ومرجعاً، وقد قال فيه ياقوت:" إن الله عز وجل عني بخلقته، فأحسن خلقه وخلقه وعقله وذهنه وذكائه، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور، فقرأ الأدب وأتقنه، ثم درس الفقه فأحسنه، ونظم القريض فجوده، وأنشأ النثر فزينه، وقرأ حديث رسول الله وعرف علله ورجاله وتأويله وفروعه وأصوله.. لم يعن بشيء إلا وكان فيه بارزا ولا تعاطى أمرا إلا وجاء فيه مبرزا، مشهور ذلك عنه لا يخالف فيه صديق ولا يستطيع دفاعه عدو[1].

وقال فيه كذلك ابن شاكر الكتبي:" وكان محدثا حافظا مؤرخا صادقا فقيها مفتيا منشئا بليغا كاتبا مجوداً، درس وأفتى وصنف، وترسل عن الملوك وكان رأسا في الخط المنسوب لا سيما النسخ والحواشي"[2]، وقد طرق ابن العديم أبواب الشعر جميعا ونظم فيها[3].

(١) ابن العديم، كمال الدين ابو القاسم عمر بن أحمد ت(٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب،دمشق،المعهد الفرنسي للدراسات العربية،١٩٥١، المقدمة، ص٣٠، وسيشار إليه لاحقا: ابن العديم،زبدة الحلب.

(٢) الكتبي، فوات الوفيات، ج٣،ص١٢٦.

(٣) الحموي، معجم الأدباء، ج٥،ص٢٠٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما وفاة ابن العديم فقد كانت في العشرين من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة في القاهرة ودفن فيها بمنطقة يقال لها سفح المقطم[١].

مؤلفات ابن العديم

١. الدراري في ذكر الذراري[٢]
٢. الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة [٣]
٣. ضوء الصباح في الحث على السماح [٤].
٤. كتاب في الخط وعلومه ووصف طروسه وأقلامه[٥]
٥. الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري[٦].
٦. تذكرة ابن العديم [٧]
٧. الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب[٨]

---

(١) الكتبي، فوات الوفيات، ج٣،ص١٢٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٩.

(٢) الحموي ، معجم الأدباء، ج٥،ص٢٠٨٦، الكتبي فوات الوفيات، ج٣،ص١٢٧، الطباخ، أعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٨.

(٣) الحموي، المصدر نفسه، ص٢٠٨٦، الكتبي، فوات الوفيات،ج٣،ص١٢٧، الطباخ، أعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٨، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١،ص٣٠.

(٤) الحموي ، المصدر نفسه، ص٢٠٨٦، الكتبي، فوات الوفيات،ج٣،ص١٢٧، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١٠٩٠،٣، وذكره بعنوان:" ضوء المصباح في الحث على السماح"، الطباخ، أعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٨.

(٥) الحموي، المصدر نفسه، ج٥،ص٢٠٨٦، الكتبي، فوات الوفيات، ج٣،ص١٢٧،الطباخ، أعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٨ .

(٦) الكتبي، فوات الوفيات، ج٣،ص١٢٧، الطباخ، أعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٨.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، مقدمة المحقق،ص٤٦.

(٨) حاجي خليفة، كشف الظنون،ج٢،ص٢٠١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨. تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد[١].

٩. بغية الطلب في تاريخ حلب[٢].

١٠. زبدة الحلب من تاريخ حلب.

أهم مؤلفات ابن العديم:

١. بغية الطلب في تاريخ حلب:

يعدُّ كتاب بغية الطلب من أهم الكتب التي ألفها ابن العديم، ولا أدل على ذلك مما ذكره المؤرخون، حيث أنهم أثنوا على هذا الكتاب، وممن ذكره صاحب كتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، فقال: "وجمع لها – حلب– تاريخا مستوعبا لذلك الإمام العلامة أبو القاسم عمر بن أحمد بن العديم الحلبي الحنفي، فأتقن وأجاد وأطال ولم يسبقه أحد إلى تاريخ لها على وجه الخصوص وسمّاه بغية الطلب في تاريخ حلب.."[٣]، وذكره كذلك ابن كثير، فقال:" وصنف لحلب تاريخا مفيدا قريبا في أربعين مجلدة "[٤].

(١) الكتبي، فوات الوفيات،ج٣،ص١٢٧، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١،ص٣٣٧.

(٢) الحموي ، معجم الأدباء، ج٥،ص٢٠٨٦، ابو الفداء، المختصر ج٢،ص٣٢٦، الكتبي، فوات الوفيات، ج٣،ص١٢٧، الطباخ، اعلام النبلاء، ج٤،ص٤٤٨.

(٣) ابن الشحنة،صغير أبو الفضل محمد بن محمد ت(٨٩٠هـ/١٤٨٥م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤، ص٧.وسيشار إليه لاحقا: ابن الشحنة ،الدر المنتخب.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٢٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي هذا الكتاب قام ابن العديم بالحديث عن فضائل بلاد الشام مع وصفها الجغرافي وبالتحديد حلب، وتكلم عن انطاكية وثغور الشام والجبال والآثار والبحار والأنهار والبحيرات والمزارات وذكر عددا كبيرا من المدن كالرصافة وخناصرة وبالس، والمعرة، وطرطوس، ثم بدأ التراجم على الحروف، ففعل كما يفعل المحدثون حيث إنه كان يذكر الإسناد عندما يترجم للشخص.

مصادر ابن العديم في كتابه بغية الطلب:

لقد اعتمد ابن العديم على عدة مصادر في كتابه بغية الطلب، وأول المصادر هي المشاهدة والمعاينة وذلك بحكم شاميته وارتباطه ببلاد الشام مولدا ونشأة، فقد مثلت المشاهدة والمعاينة أحد مصادر كتابه الهامة، فتجده يصف المواطن وصفا دقيقا مفصلا[1].

أما ثاني المصادر فهي المصادر الشفهية وقد احتلت جزءا كبيرا من الكتاب وخاصة عندما بدأ بذكر تراجم الرجال، ويجدها المتصفح للكتاب بقوله: "أنبأنا" و"أخبرنا" و"سمعت" و"حدثنا"، وهي أكثر من أن تحصى أما ثالث المصادر فتتمثل فيما ألف من جانب المؤرخين المسلمين والجغرافيين، وقد استفاد مما ألفه الأدباء والشعراء والمحدثين والفقهاء وغيرهم، ومن الكتب التي أفاد منها المسالك والممالك لابن الطيب

(١) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار، دمشق (د.ن) ، ١٩٨٨م، ج١،ص٥١، وسيشار إليه لاحقا:ابن العديم، بغية الطلب.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

السرخسي، والمسالك والممالك للحسن المهلبي، معجم البلدان لياقوت الحموي، صفة الأرض والمدن للبلخي، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورحلة ابن جبير، لابن جبير، انساب الأشراف للبلاذري، تاريخ أربل لابن المستوفي، تاريخ دمشق لابن عساكر، البيان والتبيين للجاحظ، البلدان وفتوحها وأحكامها للبلاذري، إنباه الرواه للقفطي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، الأنساب للسمعاني، تاريخ الثقات لمحمد بن حيان البستي، التهذيب في القراءات السبعة لحسين بن عبد الواحد، معاني القرآن للتستري، وغير ذلك من مئات الكتب الأخرى(١).

ولا شك في أن هذه المؤلفات جعلت أمام ابن العديم مادة علمية غزيرة مكنته من أن يؤلف كتابه البارز بغية الطلب، فابن العديم لا يثبت خبرا إلا ذكر المصدر الذي استقى منه ولم يورد شعرا إلا وصف الديوان الذي وصل إليه أو الكتاب الذي قرأه فيه فتجده يقول " قرأت بخط فلان"(٢)" نقلت من خط فلان"(٣).

أهمية كتاب بغية الطلب:

يعدُّ كتاب بغية الطلب لابن العديم من أعظم الكتب التي كتبت في تاريخ حلب، لأنه جاء على ذكر تفاصيل حلب وما حولها بما فيها من قرى وأعمال وحصون وقلاع وأعيان" سواء مروراً فيها رودا أم أقاموا فيها، ونقل الكلام عن جميع الجوانب

(١) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١١،ص٥٨٤٣.

(٢) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١،ص٤٨٠،١٦٩،٨٤،٦٢.

(٣) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١،ص٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المتصلة بها بعد أن أفرد لها قسما هاما تناول فيه فضلها لأنها تعتبر من الأرض المقدسة [1]وقد تناول ابن العديم المدن في شمالي الشام ومدى ما أصابها من تخريب، أضف إلى ذلك ذكره للعمائر الحربية سواء الإسلامية أم الفرنجية' ثم تعرض للجوانب الاقتصادية سواء مصادر الثروة المائية أو النشاط الحرفي التجاري.

ثم تعرض للعمائر الدينية والمزارات فكان يتعرض أحيانا لبعض المدن بإيجاز وأحيانا أخرى يتناول بعضها بشيء من التفصيل، وذلك يرجع إلى مدى أهمية كل مدينة، فعلى سبيل المثال عندما ذكر مدينة أفامية، أورد كلاما عن الآثار الرومية الموجودة فيها، وقلعتها المنيعة بقوله: "وقلعة أفامية من القلاع الموصوفة بالحصانة والمنعة"[2]، ثم ختم الكلام بذكر من وليها بقوله: "وكانت أفامية في أيدي نواب المصريين فنزل عليها قسيم الدولة آق سنقر في سنة أربع وثمانين وأربعمائة فكاتبه أهلها فخاف الوالي وسلمها إليه" ثم أخذها منه تاج الدولة تتش، فلما قتل وثب أهلها فيها، ونادوا بشعار المستنصر المستولي على مصر' فسير إليها خلف بن ملاعب في سنة ثمان وثمانين إلى أن قتله الباطنية بها فنزل عليها طنكري الفرنجي فتسلمها في شهر محرم من سنة خمسمائة.."[3]، ومثال ما يذكره بإيجاز عن المدن كلامه عن مدينة مرعش، فقد ابتدأ الكلام عنها بقوله:"وهي مدينة من أعمال حلب عامرة ولها مياه

(١) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١،ص٣٩.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب،ج١،ص١٤٤.

(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص١٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وزروع وأشجار، ولها حصن منيع"[1] ثم ختم الكلام عنها بقولـه:" وخـرب الـروم مرعش فبناها سيف الدولة ابو الحسن علي بن حمدان"[2].

أما مثال ذكره لبعض المدن بشيء من التفصيل، فمنها مدينة أنطاكيـة فوصـفها بأنها من أحسن المدن بقوله:" أنطاكية وهي بعد دمشق أنزه بلد بالشام"[3] وذكر استيلاء الفرنجيين عليها بقوله:" استولى عليها الروم، وكانت قد اختلت قبل افتتاحها في أيـدي المسلمين وهي أيضا في أيدي الروم أشد اختلالا.وفتحها الروم في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وبعد استيلاء الروم عليها في هذه السنة فتحها المسلمون [4].

أما طرطوس فقد ذكر ابن العديم جبايتها، مدللا بذلك على ازدهارها الاقتصادي حيث قال:" ارتفاع الثغور بجميع جباياتها ووجوه الأموال بها مائة ألف دينـار علـى أوسط الارتفاع وتنفق في المراقب والحرس والقوانين والركاضة والموكلين بالدروب والمخاض.."[5].

وهناك زاوية هامة تناولها ابن العديم اثناء كلامه عن حلب وأعمالهـا ألا وهـي إيراده للمصادر المائية، فعلى سبيل المثال، أشار إلى نهر الفرات، فقـال:" ومخـرج الفرات من أرض الروم من جبال بها من موضع يقال له أبويق صخر، ويمر بالجزيرة

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٥٣٥.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٣٦.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٨٩.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٨٧.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والرقة' وينحدر الى الكوفة' ثم يمر حتى ينصب إلى البطائح فيختلط بدجلة'[١]، وذكر كذلك نهر جيحان[٢]، ونهر العاصي والبردان[٣].

كما تناول ابن العديم النشاط الحرفي والصناعي لبعض المدن، فقد أورد اشارات خاصة بصناعة الفراء في مدينة المصيصة وهي من الثغور الشامية حيث قال:" كان يعمل بالبلد الفراء المصيصة، تحمل إلى الآفاق، وربما بلغ الفرو منها ثلاثين دينارا، ويعمل بها عيدان السروج التي يبالغ بثمنها إلى هذه الغاية، ولم يكن على وجه الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد والمهاميز والعمد والدبابيس كما يعمل بها"[٤].

وتطرق ابن العديم اثناء كلامه عن حلب للمزارات وقبور الأنبياء والأولياء التي فيها أو في أعمالها' ولكن دون أن يفصل القول فيها، بل ذكرها بشيء من الايجاز' ومن ضمن المزارات وقبور الأنبياء التي ذكرها، مقام إبراهيم عليه السلام الأعلى والأسفل اللذين في قلعة حلب' فذكر أن إبراهيم عليه السلام كان قد وضع اثقاله قبل قلعة حلب، وكان يقيم به ويبث رعاءه فيه[٥].

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٣٥٩.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٣٧٣.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٣٩٩.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص١٥٩
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١،ص٤٥٩، ج١،ص٤٦٧، ج١،ص٤٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يفت ابن العديم أن يورد وقعة صفين التاريخية التي وقعت بين جيشي علي و معاوية رضي الله عنهما، وجاء الكلام عنها في فصول' فوصف المكان وصفا جغرافيا دقيقا[١]، ثم ناقش مسألة أحقية علي رضي الله عنه في قتال معاوية رضي الله عنه' وأن ذلك لا يخالف فيه أحد من أهل القبلة' لأن عليا رضي الله عنه إمام حق منذ ولي الخلافة إلى أن وافته المنية' وأن من قاتل معه يؤمئذ كان مصيبا، ومن قاتله كان باغيا[٢]، ودلل على صحة كلامه بحديث نبوي شريف' قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:" يكون في أمتي فرقتان يخرج بينهما مارقة يقتلهم أولاهما بالحق[٣]، ثم عقب على ذلك بقوله أن معاوية رضي الله عنه ومن كان معه لم يخرجوا عن الإيمان بقتالهم علي رضي الله عنه وجماعته[٤].

كما تناول أمر الحصون والقلاع، وفي هذا الصدد أشار إلى عدة حصون' فتكلم عن بعضها بالتفصيل والبعض الآخر بشيء من الإيجاز، وحرص على التعرض لتكوينها الأثري' فعند كلامه عن حصن الجوزات وصفه بالقوة والمنعة، وأورد حديثا عن شجر الجوز الذي على جبل الحصن والكمية التي تستخرج منه سنوياً[٥]، وعن حصن أولاس اكتفى بقوله أنه حصن على ساحل البحر وأن فيه قوم متعبدون[٦]، ثم

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٨٠.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٨٤.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٨٥.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٨٤.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢١٢.
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكر حصونا أخرى كحصن المتقن[١]، وحصن بوقا الذي من أعمال انطاكية وينسب إليه بعض أهل الحديث [٢]، إلى غير ذلك من الحصون.

كل ما تقدم من الحديث عن أهمية كتاب بغية الطلب كان عن الجزء الأول منه فقط، والذي افرده ابن العديم للحديث عن حلب وأعمالها' أما ما تبقى من أجزاء الكتاب' فقد خصصها ابن العديم لذكر تراجم العلماء' والشعراء والأدباء والمحدثين، الذين سكنوا حلب أو وردوا عليها منذ صدر الإسلام، فجاء متكاملا في بابه، وقد كان ابن العديم يفصل في ترجمة بعض الرجال في كثير من الأحيان، وكان يقتصر على ترجمة بعضهم على ذكر من سمع منهم هذا الشخص المترجم له دون ذكر شيء آخر عنه.

فعلى سبيل المثال من الشعراء الذين ترجم لهم ابن العديم' المتنبي حيث ابتدأ الحديث عنه بذكر مجيئه إلى الشام وتنقله بينها وبين مصر ثم رجوعه من مصر إلى حلب وافداً على الأمير سيف الدولة[٣]، ونقل بعد ذلك شيئاً من شعره وأقوال أهل عصره به[٤]، وذكر أحواله مع أمراء عصره، ثم أورد قصة قتله[٥].

ودرج ابن العديم على هذا المنوال عند ايراده لترجمة الكثير ممن سكن حلب أو مرَّ بها من الأعيان والعلماء' فيورد كل ما يتعلق بالشخص الذي يود الترجمة له من

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٢٩.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٢٢٩.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٢،ص٦٣٩.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٢،ص٦٤٩.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٢،ص٦٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شؤون الحياة وخاصة ما كان يتعلق منها بتلقي العلم ونقله وقراءاته على الشيوخ، وذكر مصنفاته وأشعاره وآراء أهل عصره به.

منهج ابن العديم وأسلوبه في كتاب بغية الطلب:

لقد اعتمد ابن العديم في تأليفه لكتاب بغية الطلب منهج المحدثين، فكان يذكر رجال السند الذين سمع الخبر منهم دون أن يترك منهم أحد وهذا إذا دل على شيء فإنما يدل على حرصه على نقل الخبر بصورة لا يخالطها الشك، ولم تخل صفحة من صفحات كتابه من ذكر أسنادين أو ثلاثة أو أربعة أسانيد ، سواء للخبر الواحد أو لأكثر من خبر . ومثال ذلك ما ساقه من الإسناد ليدلل على فضل حلب' قال:" أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم' قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني بالموصل، وأخبرنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي، ومنصور بن عبد المنعم بن عبد الله ابن محمد الفراوي في كتابيهما من نيسابور وقالوا كلهم: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي قال: أخبرنا أبو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي' قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الحلودي قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد ابن سفيان قال: أخبرنا مسلم بن الحجاج القشيري قال: حدثني زهير بن حرب قال: حدثنا معلى بن منصور قال: حدثنا سليمان بن بلال عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقوم الساعة حتى

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ينزل الروم بالأعماق أو بدابق.."[1] وهكذا يورد ابن العديم الإسناد كله حتى يصل إلى الخبر الذي يريد أن يذكره، ليؤكد على صدقه في نقل الأخبار.

وقد احتل الإسناد ثلثي كتاب ابن العديم أو أكثر من الثلثين دون مبالغة، لأنـــه لا يكاد يذكر خبرا إلا بإسناده،، وهذا في حال سماعه الخبر من شيوخه، أما في حال عدم سماعه الخبر فيذكر الطريق التي حصل منها على الخبر الذي أورد، فقد يكون وجده في كتاب فعند ذلك يذكر عبارة " قرأت في كتاب فلان[2]، أو " وجدت بخط فـــلان[3]، ولا يكتفي ابن العديم أثناء نقله للأخبار في كثير من الأحيان على رواية واحدة بل يذكر عدة روايات للخبر الواحد ليدعم صحة الخبر.

وبالنسبة لمنهجه في ترتيب أسماء الأعلام الذين ترجم لهم فقد اتخذ ترتيباً خاصاً، ففي البداية ذكر من اسم ابيه جعفر من الأحمدين، مثل أحمد بـــن جعفـــر بـــن يزيـــد المنادي[4]، وأحمد بن جعفر بن محمد بن هارون[5]،ثم ذكر من اسم ابيه يبدأ بحـــرف الحاء من الأحمدين مثل أحمد بن حرب بن الغضوبة الطائي[6]،وهكذا دواليك، وتـــابع ابن العديم السير على هذا المنهج، حتى انتهى إلى الكنى فابتدأ بحرف الألف، مثل أبو

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج١،ص٣٩.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٤٢٢.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١،ص٥٥٣.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٢،ص٥٩٥.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٢،ص٥٩٨.
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٢،ص٦١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إبراهيم الزهري[١]، وأبو الأبطال[٢]، ثم ذكر من كنيته أبو إسحاق[٣] هكذا حتى انتهى من الكنى، بعد ذلك ذكر من عرف نسبه إلى أبيه دون أن يعرف اسمه أو كنيته، كابن الأصيلع[٤]، وابن بطة[٥]، وغيرهم، ثم أتى على ذكر من عرف بلقبه، مثل الأحوص الأنصاري[٦] والفرقد المعري[٧] وختم كتابه بذكر من عرف بالنسبة إلى القبائل أو البلاد، كالأنطاكي المقري[٨]، والحلبي المتكلم[٩]، وغيرهم، وقد جاء أسلوب ابن العديم موحدا في الكتاب من حيث الدقة في نقل الأخبار والتركيز على أصح ما ثبت عنده ومناقشة الآراء التي ينقلها.

كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب:

يعدُّ كتاب زبدة الحلب اختصارا لكتاب بغية الطلب، وقد قام ابن العديم باختصار كتابه البغية لأن الملك العزيز طلب منه تاريخا لحلب ومن ولي أمرها على مر العصور حتى زمانه، فما كان من ابن العديم إلا امتثاله لهذا الطلب، وقد ذكر ابن العديم ذلك في مقدمة الكتاب حيث قال:" فإن بعض من يتعين على أمتثال أمره ويجب علي

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٣١٥.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٣١٥.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٣٢٤.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٦٦٣.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٦٦٥
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٧١٧
(٧) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٧٣٩
(٨) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٧٤٩
(٩) ابن العديم، المصدر نفسه،ج١٠،ص٤٧٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الانقياد الى موالاته وبره، التمس مني تعليق ما وقع اليّ من ذكر أمراء حلب وولاتها، وملوكها ورعاتها، فسارعت إلى تحصيل غرضه' وقمت من تلبيته بمفترضه، وعلقت في هذه الأوراق ذكر من ملكها من الولاة' وبعض من عثرت عليه من الوزراء والقضاة.."[1].

وعن سبب تسميته للكتاب بهذا الإسم يقول ابن العديم:" وسميته بزبدة الحلب من تاريخ حلب، لأنه منتزع من تاريخي الكبير للشهباء المرتب على الحروف والأسماء".[2]

ولكن المطلع على كتاب بغية الطلب لا يجد شيئا فيه مما في كتاب زبدة الحلب والسبب أن ابن العديم قد ختم الجزء الأول من كتابه بغية الطلب بالحديث عن حلب في صدر الاسلام ثم ابتدأ الجزء الثاني بالحديث عن تراجم الأعلام والأعيان الذين سكنوا حلب أو مروا بها لأنه فقد من الكتاب أجزاء كثيرة هي التي اختصرها ابن العديم في كتاب زبدة الحلب[3]

مصادر ابن العديم في كتاب زبدة الحلب:

بما أن كتاب زبدة الحلب هو عبارة عن اختصار لكتاب بغية الطلب، فقد كانت المصادر التي اعتمد عليها في كتاب زبدة الحلب هي المصادر عينها في كتابه بغية

(١) ابن العديم، زبدة الحلب ،ص٥.

(٢) ابن العديم، المصدر نفسه، ص٥.

(٣) ابن العديم، المصدر نفسه، ج١،ص١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطلب،ولم يذكر ابن العديم مصدرا واحدا في هذا الكتاب، أضف لذلك أنه اجتزأ الأسانيد عند ذكره لجميع الأخبار' لكي لا يطول الكتاب بذكر الأسانيد.

أهمية كتاب زبدة الحلب:

تكمن أهمية هذا الكتاب في أن المؤلف قد سجل فيه الحوادث التي وقعت في حلب،مبتدءاً ذلك بالحديث عنها قبل الإسلام(١)، ثم صدر الإسلام(٢) فالعصر الأموي(٣) ثم العباسي(٤)، ثم ذكر حكم الحمدانيين(٥) والفاطميين(٦)، والمرداسيين(٧)، والسلاجقة(٨) والأتراك(٩) مرورا بالزنكيين(١٠) والأيوبيين(١١) منتهيا إلى منتصف القرن السابع الهجري(١٢).

وقد وجه ابن العديم اهتمامه للناحية السياسية' مشيرا في بعض الأحيان لنواح أخرى كالزراعة والأسعار وأسماء القضاة ووصف ما دمرته بعض الزلازل التي

(١) انظر، ابن العديم، زبدة الحلب ، ص٧.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ص١٥.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٢٣.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٣١.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٦٧.
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه،ص١٢١.
(٧) ابن العديم، المصدر نفسه،ص١٢٩.
(٨) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٢١٧.
(٩) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٢٢٩.
(١٠) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٣٠١.
(١١) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٣٩١.
(١٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٤٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقعت في حلب، وقام بذكر تراجم لكثير من الرجال الذي سكنوا حلب وحكموا فيها أو كانوا من علمائها وأعيانها.

فعند حديثه عن حلب في العصر الأموي ذكر كيف تمت لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أمور تقلد الخلافة فيها، بقوله:" ومات علي كرم الله وجهه: مقتولا بالكوفة' في سنة أربعين' ومعاوية متغلب على الشام جميعه' فصالح الحسن بن علي' وبويع بالخلافة' في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين.."[1]، ثم راح يذكر انتقال مقاليد الحكم للبيت الأموي[2].

ويذكر ابن العديم أثناء تناوله لحلب زمن الحمدانيين أحداث هجوم الروم بأمرة نقفور بن الفقاس على حلب وقتاله لأهلها، وكيف هرب سيف الدولة إلى قنسرين[3]، فقال: "وأقام نقفور بحلب ثمانية أيام ينهب ويقتل ويسبي باطنا وظاهرا وقيل أنه أخرب القصر الذي أنشأه سيف الدولة بالحلبة.."[4].

كما أورد ابن العديم ما حصل بين صلاح الدين الأيوبي والإسماعيلية من حصار لهم ثم كيف صالحهم بعد ذلك فقال:" ورحل إلى بلد الإسماعيلية وحصرهم، ثم صالحهم بوساطة خاله محمود بن تكش[5]". ثم ذكر شيئا من فسق الإسماعيلية

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٢٣.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٢٤ وما بعدها.
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب،ص٧٩.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٨١.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٣٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفجورهم وكيف اتخذوا احدهم ربا لهم وذلك بقوله:"وأظهر أهل جبل السماق الفسق والفجور، وتسموا بالصفاة' واختلط النساء بالرجال في مجالس الشرب، ولا يمتنع أحدهم من أخته ولا بنته، ولبس النساء ثياب الرجال وأعلن بعضهم أن "سنانا" ربه..."(١).

وهناك ناحية هامة تناولها ابن العديم في كتابه ألا وهي مسألة الزلازل التي وقعت في الشام وفي حلب بالأخص' فذكر على سبيل المثال الزلزلة التي حصلت في حلب سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة' فقال:" وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر، أحدثت زلزلة شديدة ثم تبعتها أخرى، وتواصلت الزلازل، فهرب الناس من حلب إلى ظاهر البلد وخرجت الأحجار من الحيطان إلى الطريق، وسمع الناس دويا عظيما، وانقلبت الأثارب فهلك فيها ستمائة من المسلمين"(٢).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٣٧٣.

(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ص٣١٩.

الفصل الثالث

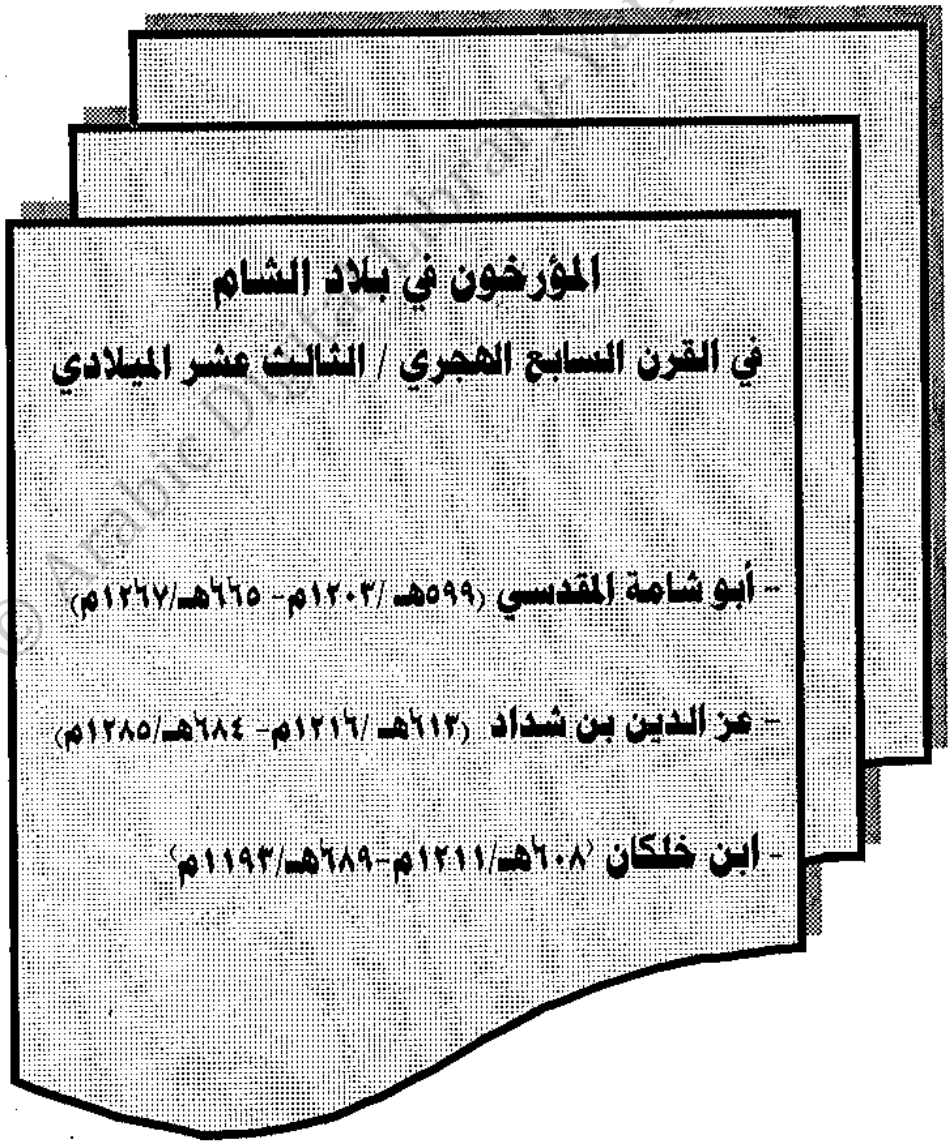

© Yarmouk University

أبـــو شامـــــة

سيرة أبو شامة (٥٩٩هـ /١٢٠٣م- ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)

ولد عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس بن محمد أبو القاسم المقدسي الشافعي، المعروف بأبي شامة، الملقب بشـــهاب الـــدين، المُكنّى بأبي القاسم محمد[١]، في دمشق في الثالث والعشرين من ربيع ســـنة تســـع وتسعين وخمسمائة، وقد عُرف بأبي شامة لوجود شامة "كبيرة " فوق حاجبه الأيسر، وأما لقبه شهاب الدين فقد جاء تماشيا مع العادة التي كانت متبعة في ذاك العصر[٢].

وقد كان مولد أبي شامة في حي متواضع من أحياء دمشق، عُـــرف بـــدرب الفواخير، القريب من الباب الشرقي، وقد ولد في أسرة متواضعة لا تتميـــز بتفـــوق سواء على الصعيد العلمي أو السياسي، وذكر أبو شامة أن أسرته تنتسب الى أبـــي بكر محمد بن أحمد بن أبي القاسم علي الطوسي، المقرئ الصوفي إمام صخرة بيت المقدس الذي قتـــل علـــى يـــد الفرنجـــة بعـــد اســـتيلائهم علـــى بيـــت المقـــدس سنة(٤٩٢هـــ/١٠٩٩م)[٣]، ويلاحظ أن أبا شامة يتشكك في أن هـــذا هـــو مؤســـس

---

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين ، ص٣٥، و السبكي، الشافعية ، السيوطي،بغية الوعاة، ص٧٧.

(٢) أبو شامة، المصدر نفسه، ص٣٧.

(٣) ابن عساكر الشافعي، إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم، مولده كان في العشر الأخير من المحـــرم سنة ٤٩٩هـــ، اعتنى به والده وأخوه في صغره، فسمع الحديث وعمره ست سنين ثم طلب الحديث بنفسه، وجمع كتب الكثير في العراق وفي خرسان وأصبهان وقد صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلـــداً، وتوفي ليلة الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق، ودفن عند والـــده.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسرتهم، ويظهر ذلك من خلال إيراده في كتاب الذيل على الروضتين عبارة:" ولعل محمداً الذي انتهى إليه النسب هو أبو بكر محمد بن أحمد.."[1] دالاً بكلمة (لعلَّ) على عدم تأكده من صحة ذلك الخبر.

وبعد دخول الفرنجة إلى بيت المقدس آثرت الأسرة ترك بيت المقدس، لأنه لم يتبق لهم شيء فيها، فانتقلوا إلى دمشق، واستقروا في أحد أحيائها، قريباً من الباب الشرقي، ولم يُذكر لأحد من أفراد أسرته نشاطٌ ذو شأن[2]، واللافت للنظر في كتاب أبي شامة الذيل على الروضتين أنه ترجم لنفسه، حيث إن هذا الكتاب كان في جُلِّ محتواه تراجم لرجالات ذلك العصر، وهذا يجعل الكلام في سيرته محل ثقة؛ لأنه يحكي لنا بنفسه عن حياته.

وقد أورد أبو شامة في الترجمة التي كتبها لنفسه الكثير من الرؤى التي رآها بنفسه، أو رآها غيره عنه، فقد رأى أبو شامة في صفر سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م)، كأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقبل إلى الشام مُنجداً لأهله على الفرنج، وكان له خصوصية من إفضاء أمره إليه والتحدث معه في أمور المسلمين، وهو

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٣٠٩، بدران، الشيخ عبد القادر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ط٢، بيروت، دار المسيرة، ج١٩٧٩،١م ، ص٧ وسيشار إليه لاحقاً : بدران، تهذيب تاريخ دمشق.

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يمشي إلى جانبه ملاصقاً منكبه، حتى كأن الناس يسألونه عنه وعما يريد أن يفعل، وهو يخبرهم وكأنه واسطة بينه وبين الناس(١).

وفي هذه السنة أيضاً، أي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م)، رأى وكأنه هو والفقيه عبد العزيز بن عبد السلام داخل باب الرحمة بالبيت المقدس، وقد أراد فتحه، وثمَّ من يمنع عن فتحه، ويدفعونه لينغلق، فما زالا يعالجان الأمر حتى فتحا مصراعيه فتحاً تاماً، بحيث أسند كل مصراع إلى الحائط الذي خلفه، ورأى أيضاً في جمادى الآخرة من السنة نفسها كأن المسلمين في صلاة الجمعة، والجو حرٌّ شديد، وهو خائفٌ عليهم من العطش، ولا ماء ثمَّ يُعرف، فنظر قُليب ماء قريباً منه وحوض، فخطر له أن يسقي الناس من ذاك القليب، ويسكب في الحوض حتى يشرب منه الناس إذا انصرفوا من الصلاة، فاستقى شخصٌ قبله لا يعرفه دلواً ودلوين، ثم أخذ الدلو منه فاستقى دلاءً كثيرة لم يعرف عددها وسكب في الحوض(٢).

وبعد أن أسهب أبو شامة بذكر مناماته يقول معلقاً على ذلك" وإنما سطرت هذه المنامات وغيرها تحدثاً بنعم الله تعالى كما أمر، حيث قال تعالى: "وأما بنعمة ربك فحدث"(٣)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" لم يبقَ من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له"(٤).

---

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨.

(٣) القرآن الكريم، صورة الضحى، آية رقم ١١.

(٤) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحينما ناهز أبو شامة سن العاشرة، كان قد أتم حفظ كتاب الله عز وجل، ففاجأ أباه بقوله قد ختمت القرآن حفظاً، فتعجب أبوه من ذلك، كما كان يتعجب من ولع أبي شامة بكثرة تردده على المكتب وسعيه الحثيث في تلقي العلم، وكأنه سبق عمره بسنين،[1] ثم بدأ بدراسة كثير من العلوم المختلفة، وبرع في علوم الحديث، والقراءات، والفقه، والعربية، والتاريخ، ويترجم له في طبقات الحفاظ، والفقهاء والقرّاء، واللغويين، بالثناء البالغ عليه في تلكم العلوم، وكان تاج الفزاري الفقيه الشافعي المشهور يقول: عجبت من أبي شامة كيف قلّد الشافعي، يريد أنه بلغ رتبة الاجتهاد، ومع ذلك استمر على الانتساب للإمام الشافعي وكان له ميلٌ إلى كتب ابن حزم[2].

وعند الحديث عن طلبه للعلم والوظائف التي عمل بها، فنجد الغموض يكتنف هذا الجانب من حياته، وترجع بداية هذا الأمر إلى سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) حين بلغ السادسة عشرة من عمره، ففي تلك السنة كان مقيماً في المدرسة العزيزية[3] بدمشق، وهناك أشارة إلى أن أبا شامة أتم دراسة علم القراءات في السنة التالية أي سنة

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه، المقدمة.

(٣) المدرسة العزيزية: كانت تقع ملاصقة للجامع الأموي أسسها العزيز بن صلاح الدين الأيوبي، وقد دُرست ولم يبق منها شيء وكان والي سوريا العثماني ضياء باشا قد هدمها وجعلها حديقة ضمت إلى مدفن صلاح الدين، ابن شداد،عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي ت(٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج٢،تحقيق سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٦م، ص٢٣٩، وسيشار إليه لاحقاً: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(٦١٦هـ/١٢١٩م)، والظاهر أن صلته بهذه المدرسة قد انقطعت منذ اتمامه لدراسة هذا الفرع من العلوم[١].

ويذكر أبو شامة أنه حج مع والده سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) والسنة التي تليها، وزار القدس سنة(٦٢٤هـ/١٢٢٧م) بصحبة الفقيه عز الدين بن عبد السلام، وزار مصر سنة (٦٢٨هـ/١٢٣١م) زيارة علمية دراسية، واستمع فيها إلى مشايخ دمياط والقاهرة والاسكندرية، وبعد ذلك أقام في المدرسة العادلية[٢] بدمشق، ويبدو أن إقامة أبي شامة بهذه المدرسة الأخيرة استمرت من سنة ٦٣٤هـ/١٢٣١م-٦٥٦هـ/٨٧٩م) وقد كانت متصلة لم يقطعها إلا مدة انصرافه إلى بساتينه الخاصة[٣].

وهناك إشارة إلى أنه قد وقع الاختيار على أبي شامة سنة(٦٣٥هـ/٨٤٠م) ليكون أحد المعدّلين[٤] بدمشق، وكان نائبه في الصلاة في المدرسة العادلية الشيخ شمس الدين محمود النابلسي المتوفى سنة(٦٥٦هـ/٨٧٩م)، وقد ناب عن أبي شامة

---

(١) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ص٦ ،٧.

(٢) المدرسة العادلية: تقع شمال الجامع الأموي باتجاه المدرسة الظاهرية أنشأها الملك العادل الأول الأيوبي شقيق صلاح الدين الأيوبي سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) وأوقف عليها أوقافاً كثيرة، ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ص٢١٤، شميساني،حسين، مدارس دمشق في العصر الأيوبي ط١،بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣، ص١٢٩، وسيشار إليه لاحقا: شميساني، مدارس دمشق.

(٣) عاصي،حسين ، المؤرخ ابو شامة،ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١،ص٢٠ وسيشار إليه لاحقا: حسين عاصي، المؤرخ أبو شامة.

(٤) المُعدّل أو العدل: اصطلاح يلقب به من يثق به القاضي ويطمئن الى شهادته فيعينه لمعاونته في أعماله ومنها تسجيل الأحكام. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ص٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في مناسبتين لم يحدد تاريخهما، إحداهما في مرض أبي شامة، والثانية في المدة التي انصرف فيها أبو شامة عن المدرسة إلى بساتينه الخاصة يفلحها ويعمل فيها بنفسه معرضاً عن الأوقاف متحرراً من قيودها.(١).

وعندما بلغ أبو شامة الستين من عمره تولى التدريس في المدرسة الركنية سنة(٦٦٠هـ/١٢٦٢م) وبقي فيها حتى عُين مدرساً للمدرسة الأشرفية سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٤م)(٢).

شيوخ أبي شامة

لقد كان أبو شامة كغيره من المؤرخين الذين نالهم حظٌ كبيرٌ من التتلمذ على نخبة من العلماء الذين وجدوا في عصره، أضف إلى ذلك أن أبا شامة كان على مرتبة عالية من الفطنة والذكاء منذ صغره مما حذا به إلى ملكة الحفظ والفهم التي لا ينالها كثيرٌ من الناس.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) حسين عاصي،المؤرخ ابو شامة، ص٢٠.

(٢) تولى أبو شامة هذا المنصب بعد وفاة القاضي عماد الدين عبد الكريم المعروف بابن الحرستاني شيخ الحديث في الأشرفية وحضر عند ابي شامة أول يوم قاضي القضاة، وأعيان البلد من المدرسين والمحدثين وغيرهم، وكان مجلسا جليلاً، عليه سكون وجلالة وانصات من الحاضرين وقد أنشأ بعضهم في هذه المناسبة شعرا جاء فيه:

العلم والمعلوم قد أدركته ... وسماعك البحر المحيط فحدث

وبعثت في دار الحديث بمعجز ... وأبان له عنك افتتاح المبعث

مكثت به الألباب طائفة ... والحسن من طرب به لم تمكث

انظر ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٣.

وقد كان لأبي شامة اساتذةٌ وشيوخ كثيرون، وهم على مستوى عال ورفيع من الإحاطة بالعلوم والمعرفة في مجالات الدين واللغة والأدب والتاريخ، وعلى رأسهم الشيخ علم الدين السخاوي[1]، فنجده يذكر عن شيخه السخاوي الأمور التي استفادها منه كالقراءات والتفسير، وعلوم فنون العربية وقد صحبه من شعبان سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م)، وقال يوم موت شيخه أن الناس قد فقدوا علماً كثيراً[2].

وتتلمذ أبو شامة أيضاً عندما كان في رحلته لطلب العلم على عز الدين عبد السلام الذي أخرج من دمشق سنة(٦٣٩هـ/١٢٤٠م) لجهاده في الحق، وخوف سلطانها منه، فذهب إلى مصر، وأقام بها حتى توفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢)[3]، وقد طالت صحبة أبي شامة لهذين العالمين الجليلين، ولأمثالهما من الأئمة الزاهدين.

---

(١) الشيخ علم الدين السخاوي (ت سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) وهو غير السخاوي المؤرخ المتوفى سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، وهو العلامة ابو الحسن علي بن عبد الصمد بن عبد الأحد الهمذاني المقريء النحوي الشافعي ولد قبل الستين وخمسمائة وسمع من السلفي وجماعته، وقرأ القراءات على الشاطبي وغيره حتى فاق أهل زمانه في القراءات، وانتهت إليه رياسة الإقراء والأدب بدمشق، وقرأ عليه خلق كثير وقد أزدحم عليه الطلبة وقصدوه من البلاد وتنافسوا في الأخذ عنه توفي سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في جمادى الآخرة ودفن في قاسيون، ومن مؤلفاته: شرح الشاطبية، وشرح الرائية، وكتاب جمال القراء وتاج القراء، وشرح المفصل للزمخشري، انظر عن السخاوي ومؤلفاته: ابن العماد ، شذرات الذهب ،ج٥، ص٢٢٢.

(٢) ابو شامة، المصدر نفسه، ص١٧٧.

(٣) وهو عز الدين بن عبد السلام بن ابي القاسم بن محمد بن مهزب السلمي ولد بدمشق سنة(٥٧٨هـ/١١٨٢)، وقدم مصر وأقام بها زهاء عشرين سنة حيث تنحى له العلماء عن أماكنهم، بل وامتنع معه الشيخ زكي الدين بن عبد العظيم المنذري عن الافتاء من أجله تقديراً له وقال:" ليس لها إلا العز بن السلام"، وكان عز الدين بن عبد السلام هذا شيخ الإسلام والمسلمين وسلطان العلماء، لم ير من رآه مثله علما وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وسلاطة لسان، وقد كان السبب المباشر لاخراجه من دمشق أنه اسقط اسم الصالح اسماعيل أميرها من الخطبة عندما استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا، وقد ساعد ابن عبد السلام في هذه الخطوة الشيخ جمال الدين بن الحاجب إمام المالكية، وفي سنة(٦٦٠هـ/١٢٦٢م)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن العلماء الذين تتلمذ على أيديهم أبو شامة عبد الجليل بن مندويه[١]، وأبي اسحاق بن الخشوعي[٢]، وداود بن الملاعب[٣].

كما يذكر السيوطي عن أبي شامة أنه اجتمع بالاسكندرية بالشيخ عيسى بن عبد العزيز المقرئ وحبب إليه الحديث [٤]، وتتلمذ أبو شامة كذلك على يد المؤرخ ابن شداد حيث يقول ابو شامة في أحداث وفيات سنة (٦٣٢هـ/١٢٢٥م): وكنت قد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توفي ابن عبد السلام في مصر فخرج السلطان الظاهر بيبرس في جنازته وحدث خاصته قائلاً: " اليوم استقر ملكي لي فلو أمر عز الدين الناس في شأني بما أراد لأطاعوه مبادرين". السبكي، طبقات الشافعية،ج٥،ص٨٨، العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن العميد، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، دار الكتب المصرية،١٩٨٧، ص٣٣٩. سيشار إليه لاحقا: العيني، عقد الجمان. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١،مركز تحقيق التراث، تحقيق محمد زيادة، ١٩٩٠،ص٧٧.

(١) عبد الجليل بن مندوية: هو عبد الجليل بن أبي غالب بن مندوية الاصبهاني أبو السعود الصوفي نزيل دمشق روى الصحيح عن أبي الوقت، وروى عن نصر البرمكي، قال العوصي هو الإمام شيخ القراء، توفي في جمادى الأولى سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)، ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥،ص٤٢.

(٢) ابو اسحاق الخشوعي: هو الزكي ابو اسحاق إبراهيم بن الشيخ المسند ابي طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي القرشي، كان شيخا مسندا صالحاً لم يخلف بعده من يروي عن الصائن أبي الحسين هبة الله بن الحسن بإجازة ولا من يروي عن أخيه الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن مثله يروي في الكثرة: انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص٢٦٩.

(٣) داود بن الملاعب: هو الشيخ زين الدين ابو البركات داود بن أحمد بن محمد بن الملاعب البغدادي المدبر لمجالس الحكام بدمشق، ولد سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)، يروي عن أبي الفضل الأرموي، سكن بدمشق وأسمع بها الكثير وتوفي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م)، انظر ابو شامة، الذيل على الروضتين،ص١١٩.

(٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج٤،ص٧٧.

اجتمعت بابن شداد بدمشق وأجاز لي جميع ما يرويه، ثم سمعت عليه بمصر[1]، ومن النساء اللواتي أخذ ابو شامة عنهن العلم كريمه[2].

ويظهر من خلال الاطلالة على شيوخ ابي شامة، وتتلمذه على يد الكثير من علماء عصره، أنه قد تأثر بهم تأثراً كبيراً، واتخذهم قدوةً له ومثلا، ويبدو من خلال التعرف على بعض شيوخ أبي شامة والإطلاع على سيرهم أنهم كانوا من العُبّاد والزهاد الذين أقبلوا على الله وركلوا الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها، وقد بدا تأثر أبي شامة بشيوخه وذلك من خلال ابتعاده عن المناصب االرسمية، وعدم تقربه من السلاطين، بل على العكس من ذلك فقد اعتمد في الانفاق على نفسه وأهله من خلال البساتين الخاصة التي امتلكها ليبقى عزيز النفس دوماً.

تلاميذ ابي شامة

لقد كان للمكانة التي تبوّأها أبو شامة، أثرٌ كبيرٌ في إقبال الناس عليه من كافة شرائح المجتمع لسماع العلم منه والأخذ عنه، فقد درّس أبو شامة كما سلف وذُكر بالمدرسة العزيزية والمدرسة العادلية والمدرسة الركنية، وقد كان لهذه المدارس

(١) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٦٣.

(٢) كريمة، كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر مسندة الشام أم الفضل القرشية، روت عن حسان الزيات وخلق، وأجاز لها أبي الوقت وروت شيئا كثيراً ت(٦٤١هـ/١٢٤٣م)، ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥ ص٢١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دورها الفعّال في تلك الحقبة وفي ذاك المكان، فهذه المدارس كانت تعتلي هرم المدارس الشافعية بدمشق.

ولا يخفى على المتتبع لسيرة أبي شامة ما اتصف به من حسن الخلق والحلم والوقار الذي حباه الله به، أضف إلى ذلك سعة علمه وتبحُّره في ميادين علمية مختلفة مما يجعل المستمع يتشوّق إلى سماع أشياء أكثر، وهذا ما جعل الناس يقبلون على صاحبنا آملين الاستفادة من علمه.

وقد قصد مجالس العلم التي كان يعقدها أبو شامة عدد كبير من الأعيان والمدرسين والمحدثين وقاضي القضاة وغيرهم من طالبي العلم، ومن تلاميذ أبي شامة الذين أخذوا عنه ونقلوا عنه القراءات الشيخ شهاب الدين حسين الكفري[1]، ومن تلاميذه أيضاً الشيخ شرف الدين الفزاري الخطيب [2]، وكذلك الشيخ أحمد اللبان، وبرهان الدين الاسكندراني، وعلي بن المهيار[3]، ومنهم أيضاً زين الدين ابي

(١) شهاب الدين حسين الكفري، ولد بدمشق سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، كان قاضيا مفتيا، شيخ القراء تلا بالسبع على علم الدين القسم، وأخذ عنه خلق كثير، وحدث عن ابن طلحه وغيره، كان دينا خيّرا فقيهاً توفي بدمشق سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م) في شعبان عن اثنتين وثمانين سنة، انظر ابن عماد: شذرات الذهب، ج٦،ص٥١.

(٢) شرف الدين الفزاوي الخطيب، ولد بدمشق في رمضان سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) وتلا بالسبع وأحكم العربية، وقرأ الحديث وسمع كثيراً من السخاوي وغيره، وكان فصيحاً عديم اللحن طيب الصوت، وأقرأ العربية زماناً مع التواضع والتصوف، وولي خطابة جامع جرّاح ثم جامع دمشق وتوفي في شوال سنة(٧٠٥هـ/١٣٠٦م)، عن خمس وسبعين سنة ودفن بباب الصغير عند أخيه، ابن عماد،شذرات الذهب،ج٦،ص١٢.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ ج٤،ص٤٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بكر بن يوسف المزي، وسمع عنه أيضاً أبو طاهر السلفي، وأبو الفرج الثقفي، وأبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي وغيرهم(١).

منزلته العلمية ووفاته:

أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على أمانة أبي شامة وسعة علمه وصدقه، وأنه ثقة، وفقيه بارع، وقد وصفوه بالحافظ وهذه مرتبةٌ عالية قلّ من نالها، ووصفوه بأنه الإمام الفاضل، كبير القدر وعالي الهمة، متمسكٌ بالسنة، قامعٌ للبدعة، بلغ رتبة الاجتهاد كشيخه ابن عبد السلام، وقالوا إنه كان محباً للعزلة والانفراد، عازفاً عن التردد إلى أبواب أهل الدنيا، متجنباً ذوي السلطة، مبتعداً عن مزاحمة الناس على المناصب(٢)، ولا نجد من شذّ من أهل التاريخ والفقه فقال بخلاف ما أجمع مؤرخو العصر عن أبي شامة إلا مؤرخ اسمه اليونيني(٣)، ومن بلغ في العلم مبلغاً كأبي شامة فلا بد وأن يكون له أعداء من بعض معاصريه أو من غير معاصريه، وهذا اليونيني كان معاصراً لأبي شامة وقد اتخذ موقفاً معارضاً من أبي شامة، فيذكر أن أبا شامة كان ينتقص من قدر العلماء والأكابر حيث يقول اليونيني في كتابه (ذيل مرآة الزمان):" وكان عالماً فاضلاً متفنناً عنده مشاركة في كثير من

---

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ج٢،ص٢٧٠،، ٢٧١، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٣٩.

(٢) الذهبي، العبر،ج٥،ص٢٨١، الذهبي، تذكرة الحفاظ ج٤،ص١٤٦١-١٤٦٢، السيوطي، بغية الوعاة، ج٤،ص٧٧-٧٨، ابن عماد ، شذرات الذهب،ج٥،ص٣١٩،٣١٨.

(٣) قطب الدين اليونيني: هو الشيخ قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، وهو شيخ الحنابلة، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٠٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

العلوم والاستقلال ببعضها، لكنه كان كثير الغض من العلماء والأكابر والصلحاء والطعن عليهم، وذكر مساوئ الناس وثلب أعراضهم، ولم يكن بمثابة من لا يقال فيه، فقدح الناس فيه وتكلموا في حقه، وكان عند نفسه عظيما فسقط من أعين الناس، مع ما كان من ثلب العلماء والأعيان وذكر ما يشينهم به"(١).

ويلاحظ أن اليونيني هو الوحيد من بين المؤرخين الذي تكلم على أبي شامة بهذا الشكل، علماً أنه لم يذكر أحدٌ من أصحاب التراجم مثل هذا الكلام الذي تكلم به اليونيني، والظاهر من ذلك أن السبب في تحامل هذا الأخير على أبي شامة نابعٌ من الحسد الذي يحمله اليونيني على أبي شامة، لأنهما كانا على مذهبين مختلفين، فأبو شامة كان شافعي المذهب، واليونيني كان حنبلي المذهب وكان إماماً من أئمة المذهب في بعلبك.

وأما بالنسبة للحديث عن وفاته، فتذكر لنا كتب التاريخ أن أبا شامة وأثناء وجوده في بيته دخل عليه رجلان قالا بأنهما قد جاءا للفُتيا، وأرادا استفتاء الشيخ أبي شامة في مسألة دينية إلا أنهما بعد أن دخلا عليه قاما بضربه والاعتداء عليه، مما أدى إلى تدهور حالته الصحية، إلا أنه لم يشتكِ عليهم عند القضاء(٢)، وفوض أمره

---

(١) اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي ت(٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، حيدر أباد، دائرة المعارف،ج١، ص٢٦٨، ٢٦٧، وسيشار إليه لاحقا: اليونيني، ذيل مرآة الزمان.

(٢) وقد أنشد أبو شامة شعرا بعد ذلك الموقف جاء منه:

قل لمن قال إلا تشتكي ... ما قد جرى فهو عظيم جليل

يقيض الله تعالى لنا ... من يأخذ الحق ويشفي الغليل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلى الله، وتوفي أبو شامة بعد شهرين من هذا الحادث، والظاهر أن أسباب الاعتداء عليه كانت للاختلاف في المذهب، وقد توفي أبو شامة في التاسع عشر من شهر رمضان ليلة الثلاثاء في العام الهجري (٦٦٥ هـ/١٢٦٧م)، ودفن في مقبرة الفراديس بدمشق، وقيل أنه دُفن بمقابر باب كيسان[١].

التعريف بأشهر مؤلفات أبي شامة ومحتواها:

لقد تبين من خلال السرد السابق لمسيرة أبي شامة في تاريخ حياته، أنّ هذا المؤرخ العظيم كان محيطاً بكثيرٍ من مجالات المعرفة، والإلمام بالعلوم التي كانت مطروحة في بيئته، وتبيّن كذلك سعيُه الحثيث في طلب العلم واللحاق بركب أساتذته وشيوخه.

وقد انعكس اطلاع ابي شامة وتبحره في العلوم على جملة من المؤلفات خطّها أثناء مسيرة حياته، وسأذكر مؤلفاته آخذاً بعين الاعتبار التركيز على أهمها، وجملة ما وصل من مؤلفات أبي شامة هذه الكتب:

١- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: تاريخ السلطان نور الدين زنكي والسلطان صلاح الدين الايوبي.

٢- الذيل على الروضتين.

اذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله ونعم الوكيل

ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٢٥١،٢٥٠

(١) المقريزي، السلوك،ج١،ق٢،ص٥٦٢،ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ج٢،ص٢٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣- المقاصد أو المنائح السنية في شرح القصائد النبوية.

٤- شرح البردة.

٥- قصيدة في أربعين بيتا يشكو فيها مزاجه الحزين الحاد العكر.

٦- إبراز المعاني في شرح حرز المعاني، شرح القصيدة الشاطبية.

٧- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز.

٨- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

٩- مختصر كتاب المؤمّل في الرد إلى الأمر الأول.

١٠- الباعث إلى أنكار البدع والحوادث.

١١- الممتع المقتضب في سيرة خير العجم والعرب.

١٢- كتاب البسملة.

١٣- كتاب السواك وما أشبه ذلك[١].

ويذكر أبو شامة في ترجمته لنفسه كتباً أخرى، والظاهر أنها ضاعت فلم يصلنا منها شيء.

ولمزيد من الدقة وسأقوم بتناول بعض المؤلفات بالتوضيح.

---

(١) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي،ج٦،ص١٥،١٤، دار المعارف ١٩٧٧، حسين عاصي، المؤرخ أبو شامة، ص٣٩،٣٨، علي إبراهيم حسن، مصادر التاريخ الإسلامي،ص١٥٣، السبكي، طبقات الشافعية، ج٥،ص٦١، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٢،ص٢٧٠ ، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٤٠،٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً: الروضتين في أخبار الدولتين:

يكاد يكون هذا الكتاب هو أشهر كتب المؤرخ أبي شامة، فقد نال هذا الكتاب شهرةً واسعةً، وهو كتابٌ أرّخ فيه للفترة الزمنية الممتدة بين مطلع عهد السلطان نور الدين زنكي إلى وفاة السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)، يقول المؤلف في بداية كتابه هذا: " وهما ملكا بلدتنا، وسلطانا خطتنا، خصنا الله تعالى بهما، فوجب علينا القيام بذكر فضلهما، فعزمت على إفراد ذكر دولتيهما بتصنيف يتضمن التقريظ لهما والتعريف، فلعله يقف عليه من الملوك، من يسلك في ولايته ذلك السلوك.." (١).

والذي يبدو من خلال كلام أبي شامة السابق ذكره، أن السبب الرئيس في تأليف هذا الكتاب، أن يجعله نبراساً وقدوة لمن يتسلمون زمام الحكم والسلطة، لاقتفاء أثر كلٍ من نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي في الحكم، فهما سلطانان بلغا مبلغا عالياً من العدل والنظر في شؤون الرعية بعين الرحمة، كما يقول أبو شامة.

أضف إلى ذلك أن أبا شامة كان يرى منهما من العدل والجهاد ما كان في أبي بكر وعمر بن الخطاب، حيث يقول في ذلك : " فإنهم قد يستبعدون من أنفسهم

---

(١) ابو شامة، الروضتين،ج١،ص٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طريقة الخلفاء الراشدين، ومن حذا حذوهم من الأئمة السابقين، ويقولون نحن في الزمن الأخير، وما لأولئك من نظير.."[1].

وقد استطاع أبو شامة أن يجمع بين دفتي هذا الكتاب جُلّ أمور الدولتين،علماً أنه لم يكتب فيه من عند نفسه إلا بعض الأسطر والتعليقات بين المقتبسات التي أدرجها في كتابه، ولكنه قام بترتيب الأحداث بدرجة بالغة الذكاء والدقة، مسندا كل حادثة، أو أمر، إلى مصدره الذي تلقاه منه، مما زاد الكتاب توثيقاً وصدقاً.

وبالنسبة للمجال المكاني لما عرض في الكتاب من حوادث، فنجده يقتصر على الحدود التي بلغها سلطان الأمراء الذين ألف أبو شامة الكتاب من أجلهم، وهي حدود الجزيرة الفراتية، والعراق وآسيا الصغرى والحجاز واليمن والنوبة وإفريقيا[2].

ووفقاً لذلك فقد تناول أبو شامة في كتابه كثيرا من الموضوعات التي تتعلق بتحركات الجيوش وما تبع ذلك من أدوات القتال والحصون والسفن الحربية، وذكر الولاة الذين عملوا في هاتين الدولتين، وتحدث كذلك عن الإصلاحات التي قاموا بها، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي إلى غير ذلك من الإصلاحات.

---

(١) ابو شامة، الروضتين، ج١،ص٤.

(٢) عاصي، حسين، المؤرخ أبو شامة، ص١٣٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولكتاب أبي شامة هذا فوائد كثيرة، تتركز في الصورة الحضـــارية البرّاقـــة التي نقلها أبو شامة للأجيال عن ذاك الرعيل من الخلفاء، فقد عكس صورة مفعمـــة بالعدل وحسن الولاية لتعلم الأمة أنه كان وما زال في هذه الأمة من يُظهـــر الحـــق ويعلي كلمة الله.

فأسلوب أبي شامة في نقله للحوادث وخاصة السياسية يعزز مسيرة الأمة نحو التقدم وعدم التخاذل، متخذين من أسلافهم القدوة الحسنة والارتقاء إلى المعالي.

وقد كانت الأمة في تلك الفترة أحوج ما تكون إلى شيء يحثها على رفـــض الظلم والتصدي لأعداء الله والدفاع عن حرمات المسلمين، فجاء هذا الكتاب بمثابة الدواء الشافي لأمراض النفوس كالتقاعس والتخاذل عن بذل الجهد.

مصادر أبو شامة في كتاب الروضتين:

إن للمصادر التي اعتمدها أبو شامة في كتابه وزناً وثقلاً عند المؤرخين، فقد كفلت هذه المصادر للكتاب القيمة التاريخية في التوثيق، لأن أبا شامة بيّن في مقدمة كتابه المصادر التي اعتمد عليها.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن أهم هذه المصادر:

تاريخ دمشق لابن عساكر"[١]، ذيل تاريخ دمشق لحمزة بن أسد بن علي بن محمد ابو يعلي التميمي الدمشقي العميد المعروف بابن القلانسي[٢]، رسائل القاضي الفاضل[٣]، مؤلفات العماد الأصفهاني[٤]،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، للمؤرخ بهاء الدين بن شداد[٥]، الباهر في الدولة الأتابكية، لابن الأثير الجزري، مؤلفات ابن أبي طي الحلبي[٦]، الوثائق الرسمية، وهي من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها أبو شامة، لأهميتها في التعبير عن وجهة نظر الحكومة في الحوادث الجارية، وهناك مؤرخ سبق أبو شامة إلى استعمال هذه الوثائق من مؤرخي عصره وهو العماد الأصفهاني كاتب الإنشاء لصلاح الدين[٧].

هذه هي المصادر الأساسية التي اعتمدها أبو شامة في كتابه الروضتين، إلا أنه كان هناك مصادر ثانوية منها، تاريخ إربل لابن المستوفي الأربلي[٨]، وتاريخ

---

(١) ابو شامة، الروضتين ج١، ص٤.

(٢) انظر ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤،ص١٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢،ص٣٢٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٣١.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥،ص١٣٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص١٤٣.

(٦) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط١،بيروت، دار العلم للملايين،ج٢،١٩٧٩، ص٢٥٢، ٢٥٣، وسيشار إليه لاحقا: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون.

(٧) حسين، عاصي، المؤرخ أبو شامة، ص١٧٦، شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون،ج٢،ص٢٦٧.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص٤٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حلب لكمال الدين ابن العديم[1]، وذيل تاريخ بغداد لابن سعد السمعاني[2]، وتذييل تاريخ ابن الجوزي لابن القادسي[3]، وسيرة نور الدين لابن بنجة[4]، وكثير من الكتب الأخرى التي يذكرها أبو شامة في ثنايا كتابه، وهناك مصادر أخرى شفهية منها، أبو الحسن السخاوي[5]، والأمير أبو الفتوح ابن العاضد، والشيخ تاج الدين الكندي.

أهمية كتاب الروضتين:

تطرق أبو شامة خلال تأليفه للكتاب إلى جميع جوانب الحياة في هاتين الدولتين، جاعلاً الجانب السياسي مهيمناً ومسيطراً على كتابه، إذ إن الكتاب بادئ ذي بدء قد وجّه إلى أهل السياسة والحكم ليكون لهم دستوراً.

ولا تخفى الجوانب الأخرى من الحياة في الكتاب، كالجوانب الاجتماعية أو الاقتصادية إلى غير ذلك، ولكنها لا تقارن بالجانب السياسي من الكتاب، وهذا ما

(١) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٦٤،٢٦٣.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، حيدر أباد،دار المعارف،ج٤،١٩٦٨،ص١٣١٩،١٣١٦ ، وسيشار إليه لاحقا: الذهبي، تذكرة الحفاظ.

(٣) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ص١٤٣.

(٤) أبو شامة، المصدر نفسه، ج١،ص١٤،١٣.

(٥) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أكدّه أبو شامة حيث ذكر: "فعزمت على إفراد ذكر دولتيهما بتصنيف يتضمن التقريظ لهما والتعريف"(١).

وسأتناول هنا المجالات التي تطرق إليها أبو شامة مع شيء من التفصيل، وهي الأوضاع السياسية والاقتصادية والحربية والإدارية:

أولاً: الأوضاع السياسية:

وقد كان للأوضاع السياسية نصيب الأسد في كتاب أبي شامة، حيث يذكر ترجمةً كاملة لنور الدين زنكي وولايته الموصل وجهاده ضد الفرنج، و قد قال في ذلك:" وفي سنة إحدى عشر وخمسمائة ولد الملك العادل نور الدين محمود زنكي وفيها غرقت سنجار من سيل المطر.."(٢).

- وفي سنة اثنتين وثلاثين خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه خلق عظيم لا يحصون كثرة من الروم والفرنج، فقصد الشام فخافه الناس خوفا عظيماً وكان زنكي مشغولاً... فقصد ملك الروم مدينة بزاعة وحصرها وفتحها عنوةً فأرسل صاحبها أبو العساكر سلطان ابن منقذ إلى زنكي يستنجده، فنزل على حماه، فكان يركب كل يوم في عساكره ويسير إلى الحصون التي تترسن فيها ملك الروم، فأرسل إليهم زنكي يقول لهم إنكم قد تحصنتم بهذه الجبال فأخرجوا إلى

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ص٤.
(٢) المصدر نفسه، ج١،ص٢٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الصحراء حتى نلتقي.. فخرج ملك الروم مما تحصن به وترك المجانيق والآت الحصار بحالها، فسار زنكي وراءهم وظفر بطائفة منهم فغنم منهم وقتل وأسر."[1]

وقد تكلم أبو شامة عن مقتل الشهيد زنكي حيث قال: " كانت قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه الى الأمير سالم بن ملك العقيلي، لما ملك قسيم الدولة مدينة حلب، فلم تزل بيده ويد أولاده إلى سنة إحدى وأربعين فسار الشهيد إليها، فحصرها... إلى أن مضى من شهر ربيع خمس ليال، فبينما هو نائم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه، ولم يجهزوا عليه، وهربوا من ليلتهم " [2].

وجاء في الحديث عن الانتصارات التي قام بها نور الدين، ما أورده أبو شامة في فتح عزرا حيث قال: " قال أبو يعلى وورد الخبر في الخامس من المحرم من ناحية حلب بأن عسكرها من التركمان ظفروا بابن جوسلين صاحب عزرا وأصحابه، وحصلوا في قبضة الأسر في قلعة حلب، فتوجه نور الدين في عسكره إلى عزرا ونزل عليها وضايقها، وواظب قتالها إلى أن سهل الله تعالى ملكها بالأمان، وهي على غاية من المنعة والحصانة والرفعة، فلما تسلمها رتب فيها من وثق به، ورحل عنها ظافراً[3].

---

(١) ابو شامة، الروضتين، ج١، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه،ج١،ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه،ج١،ص٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتابع ابو شامة اخبار نور الدين فيورد تحرير حصن حارم قائلا: " وفي تلك السنة يعني سنة تسع وخمسين اغتنم نور الدين خلوّ الشام من الفرنج وقصدهم، واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف، فرزقه الله تعالى الانتقام منهم فأسرهم وقتلهم.."(١).

وفي أمور الولاية يورد أبو شامة كلاما يتعلق بولاية اليمن فقد قال:" " قال العماد كان الأمير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائبا لشمس الدولة أخي السلطان زبيد، وحصل له من أموالها الطريف التليد، ثم ابتاع من السلطان الناصية المعروفة بالعدوية بمصر لما عاد إليها، فصنع دعوة عظيمة بها، ذكر العماد أنه حضرها هو وغيره من الفضلاء والأعيان، فبينما هم عنده في أسرّ حال إذ أحدق بهم الأمير بهاء الدين قراقوش فقبض على سيف الدولة واعتقل بالقصر.."(٢).

ولا يجد القارئ في كتاب الروضتين وصفاً أجمل من وصف أبي شامة لمعركة حطين، حيث يورد تسلسل الأحداث مرتباً محبكاً بدقة، مبتدئا بقوله:" ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وهي سنة كسرة حطين وفتح الساحل والأرض المقدسة للمسلمين، قال العماد في كتاب البرق، وهي السنة الحسنة المحسنة الزمان، الذي تقضت على انتظار احسانه الأزمنة، وظهر فيه المكان المقدس الذي سلمت لسلامته الأمكنة، وخلت بمنحة الله من المحنة... حتى يقول: فبرز السلطان من دمشق يوم

(١) ابو شامة، الروضتين،ج١،ص١٣٣.

(٢) المصدر نفسه،ج٢،ص٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السبت أول المحرم في العسكر العرمرم، ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهـنم" (١)، ثم يتابع سير أحداث معركة حطين حتى نهايتها.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية:

لم يتطرق ابو شامة للحديث عن الأوضاع الاقتصادية إلا بـأمور الاصـلاح التي قام بها نور الدين وصلاح الدين.

فينقل أبو شامة كلاماًعن الأمور الاصلاحية التي قام بها نور الدين بعد دخوله دمشق. "ومن عدله أنه لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكساً ولا عشـرٍ بـل أطلقها رحمه الله جميعها في بلاد الشام والجزيرة.جميعها، والموصـل وأعمالهـا، وديار مصر وغيرها مما حكم عليه، وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون ديناراً، وهذا لم تتسع له نفس غيره، وكان يتحرى العدل"...(٢).

وأما عن دور صلاح الدين في رفع الضرائب عن الرعية فيذكر أبو شـامة كثيراً من الكلام في هذا الباب، منها تلك الاصلاحات التي قام بها السلطان صـلاح الدين بعد فتح حلب، حيث جاء في الروضتين: "وكشف السلطان عن حلب المظـالم وازال المكوس وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام الفاضل عـن السـلطان (وانتهى إلينا أن بمدينة حلب رسوماً استمرت الأيدي على تناولها، والألسـنة علـى

(١) ابو شامة، الروضتين،ج٢،ص٧٥.

(٢) المصدر نفسه،ج١،ص٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تداولها ومنها بالرعاة أرفاق، وبالرعايا أضرار، ولها مقدار إلا عند من كل شيء عنده بمقدار، منها ما هو على الأثواب المجلوبة، ومنها ما هو على الدواب المركوبة، ومنها ما هو على المعايش المطلوبة، وقد رأينا بنعمة الله أن نبطلها ونضعها ونعطلها وندعها، ونضرب عنها في أيامنا...)"[1].

والملاحظ من خلال كلام أبي شامة عن الأوضاع الاقتصادية، انها تصب في فلك السياسة، فذكره لهذه الإصلاحات إنما هو تدعيم لسياسية السلطانين رحمهما الله تعالى، مظهرا عدلهما ورحمتهما في أمور الرعية ، فأبو شامة لم يتطرق إلى تسليط الضوء على الأوضاع الاقتصادية من خلال معاشات الرعية وقيمة الدخل عندهم، بل عالج الموضوع من ناحية أخرى ألا وهي الناحية السياسية.

ثالثا: الأوضاع الحربية والإدارية:

تطرق أبو شامة في مضامين كتابه إلى الحديث عن جوانب تتعلق بالأمور الحربية، كتنقلات الجيوش، وسير المعارك وحركتها، وأوصاف الأسلحة، والحصون والسفن الحربية، وتطورات القتال، إلى غير ذلك من الموضوعات التي تربطها بالحرب علاقة، وهو في كل ذلك يستعين بالوثائق الرسمية، وبالأشعار التي تسجل المعارك وتهنئ السلطان وتصف ما حاز عليه الجيش من غنائم.[2]

---

(١) ابو شامة، الروضتين،ج٢،ص٤٧.

(٢) المصدر نفسه،ج٢،ص١٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تطرق ابو شامة للحديث عن الجانب الإداري في عهد السلطانين، وذلك من خلال تسجيله لقرارات تولية الأمراء والنواب والحكام الإداريين في كافة الولايات المختلفة.

أورد ابو شامة فصلا جاء فيه: "في ولاية الملك العادل حلب وولاية تقي الدين مصر وغير ذلك"، قال العماد: وقد كان العادل نائبا بمصر، فلما فتح السلطان حلب، كتب العادل إليه يطلبها منه مع أعمالها، ويدع الديار المصرية، فكتب السلطان إليه أن يوافيه إلى الكرك فإنه سائر إلى فتحه.."[1].

وكما كان الحال في الحديث عن الأوضاع الاقتصادية وارتباطه بالأوضاع السياسية جاء الأمر متشابهاً في الحديث عن الأوضاع الحربية والإدارية، فكلها تحوم في حمى السياسة التي حفل بها كتاب الروضتين من بدايته حتى نهايته.

منهج أبي شامة وأسلوبه في كتابه الروضتين:

بدأ أبو شامة كتابه بمقدمةٍ قصيرة تكلم فيه عن الدافع من وراء تأليفه، وإن المتتبع لكتاب الروضتين يجد منهجية متكاملة في الكتابه اعتمدها أبو شامة، فقد استند في جُلّ كتابه على طريقة الحوليات " السنين" فلقد كانت كتاباته في أغلبها اقتباسات من العماد الأصفهاني، وابن شداد، وابن القلانسي، والوثائق الرسمية، التي حصل عليها، فرتب الحوادث بشكل متسلسل طبقا لرؤيته حسب أهمية الموضوع،

(١) المصدر نفسه،ج٢،ص٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يذكر أحيانا حوادث سنة بكاملها مرتبة في فصول متتابعة، يختص كل فصل بحادثة أو بعدة حوادث، وقد استمر أبو شامة في أسلوبه هذا عن عصر نور الدين محمود زنكي ثم عن عصر صلاح الدين خليفته (١).

ومثال ذكره لبعض الموضوعات مرتبا ما ذكره عن حصار الفرنج لمدينة عسقلان وسقوطها، والاضطرابات الداخلية في دمشق من بعد ذاك التاريخ مباشرة(٢).

أضف إلى ذلك حسن اختياره للمقتبسات واستخراجها بذكاء ودقة متناهيين، دون أن يخلو ذلك من أسلوب اتبعه أبو شامة في نقد بعض الروايات عن حوادث معينة، ومثال ذلك ما صنعه أبو شامة مع الخبر الذي نقله عن ابن الأثير في كتابه الأتابكة، عن بعض الأعمال الخيرية التي قام بها نور الدين، وذلك في قوله: "ومن أعظم البيمارستان، الذي بناه بدمشق، فإنه عظيم كثير الخراج، بلغني أنه لم يجعله وقفاً على الفقراء فحسب، بل على كافة المسلمين من غني وفقير"(٣).

وهنا لا يفوت أبا شامة أن ينقد ما نقله عن ابن الأثير، فعمد إلى تفنيد هذه المقولة مستنداً على بعض ما وقف عليه من الكتب حيث يقول في ذلك :" قلت، وقد

---

(١) حسين عاصي، المؤرخ أبو شامة، ص١٤٥، ١٤٦، شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٦٧.

(٢) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢،ص٩١ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه،ج١،ص٩

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقفت على كتاب وقفه فلم أره مشعراً بذلك وإنما هذا كلام شاع على ألسنة العامة لنفع ما قدّره الله تعالى من مزاحمة الأغنياء للفقراء فيه، والله المستعان وإنما صرّح بأن ما يعزّ وجوده من الأدوية الكبار وغيرها، لا يمنع منه من احتاج إليه من الأغنياء والفقراء، فخص ذلك بذلك، فلا ينبغي أن يتعدى إلى غيره، ولا سيما وقد صرّح قبل ذلك بأنه وقفٌ على الفقراء والمنقطعين"[1]، فأبو شامة هنا لا يركن إلى نقل الأخبار دون أن يقطع بصحتها وصدق مضمونها بل تجده ناقدا محللا فاحصاً، فلا يورد في كتابه إلا ما تطمئن به نفسه، غير آبهٍ بمن قال الخبر إذا كان الخبر متعارضاً مع الواقع.

ثانيا: الذيل على الروضتين:

وهو ما يُعرف "بتراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين"، ألفه ابو شامة ليصل فيه الحوادث ما بين سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) إلى تاريخ وفاته سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، وقد قام أبو شامة في مقدمته بذكر السبب الرئيس من تأليفه لهذا الكتاب حيث قال: " وكان قد سهل الله تعالى علي، وحبب إلي أن جمعت في كتاب الروضتين كثيراً من الحوادث الواقعة في زمن الدولتين النورية والصلاحية، سقى الله عهدهما، وأصلح ما بعدهما، وانتهى ذلك الى السنة التي توفي فيها صلاح الدين رحمه الله تعالى، وهي سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وذكرت تبعاً لذلك أشياء مفرقة

(١) ابو شامة، الروضتين، ج١، ص٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيما يتعلق بأحوال أولاده ومن تعلق بهم، ثم خطر لي أن أجمع كتابا يتضمن كثيرا من الحوادث بعد ذلك، إلى آخر ما تدركه حياتي.."[1]، فهذا هو السبب من تأليف أبي شامة لكتابه الذيل على الروضتين.

وقد تناول أبو شامة دراسة الأحداث بدقة متناهية لا تنقص عن دقته في الروضتين، لأنه سطّر في هذا الكتاب ما كان شاهدا عليه، فجاءت فائدة الكتاب مضاعفة، حيث المنهج التاريخي السليم للمؤلف وصحة التثبت من الأخبار والأحداث.

مصادر كتاب الذيل على الروضتين:

لقد كان لأبي شامة في كتابه الذيل على الروضتين مصادر كتابية، وأخرى مسموعة، ومن المصادر الكتابية التي اعتمد عليها، مؤلفات المؤرخ العز بن محمد بن تاج الأمناء[2]، ثم إن أبا شامة اعتمد على مصدر هام ألا وهو كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي[3]، وفي التأريخ للتتار اعتمد أبو شامة على كتاب (سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي) للنسوي، أما بالنسبة للمصادر السماعية، فقد أخذت

---

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين ، ص٥.

(٢) العز بن تاج الأمناء، هو ابو عبد الله بن أحمد بن محمد بن عساكر المتوفى سنة ٦٤٣هـ، وهو من رجال العز كبير بيته وله عناية بعلم التاريخ، ابو شامة، الذيل على الروضتين،ص١٧٦.

(٣) سبط ابن الجوزي، ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلو بن عبد الله التركي العوني ثم البغدادي، المتوفى في دمشق سنة ٦٥٤هـ، ولد سنة ٥٨٢هـ ونشأ ببغداد، وهو سبط الحافظ ابن الجوزي، انتهت إليه رئاسة الوعظ وتبحر في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ. شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١،ص٢٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيزاً كبيراً من الكتاب وذلك لقرب عهد أبي شامة بمن عاصر ذلك التاريخ، وهو يدلل على ذلك بألفاظ مثل أخبرني... أو حكي لي من حضر المجلس.. أو سمعت.. أو حكى لي والدي، ومثال ذلك يقول ابو شامة في حوادث سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٩م)" قلت: حكي لي من حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبا الخطاب عمر بن دحية، لما عاد من رحلته الخرسانية قصد مجلس الوزير صفي الدين... "[١].

أهمية كتاب الذيل على الروضتين:

لقد نال كتاب الذيل على الروضتين أهمية بالغة لا تنقص عن أهمية كتاب الروضتين بشيء، وذلك لمكانته في الدراسات التاريخية، ويذكر أحد الباحثين "أن أهمية كتاب الذيل على الروضتين" تتضاعف لأنه ليس تكملة فقط لأنباء الدولتين النورية والصلاحية، اللتين هما أنشط الدول الإسلامية في الذب عن حوزة الإسلام في تلك القرون، وأحرص على الاحتفاظ بالطابع الإسلامي في شئون الحكم كلها بكل إخلاص، بل فيه ما يسد أجلّ حاجة الباحث في أنباء القرون المذكورة وفي تراجم رجاله بقلم لا يعرف التحيز[٢].

وتكمن أهمية الكتاب في أنه يعالج فترة عصيبة على الأمة الإسلامية، ألا وهي احتلال المغول لدمشق سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)قام ابو شامة بوصف الاحداث وصفاً كافياً شافياً.

---

(١) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٦٥.

(٢) أبو شامة، المصدر نفسه،المقدمة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم تختلف طريقة ابي شامة في كتابة الذيل على الروضتين عن طريقته في كتاب الروضتين من ناحية تسجيل الأحداث، فقد صبَّ اهتمامه في هذا الكتاب على الناحية السياسية أكثر من النواحي الأخرى، متبعاً نفس الطريقة التي سلكها في كتابه الروضتين، وسأعرض بإيجاز عن الأوضاع التي تناولها أبو شامة في كتابه الذيل على الروضتين.

أولا: الأوضاع السياسية:

وقد كانت الصفة الغالبة على الكتاب، وذلك لأنه كتاب جاء على شكل سلسلة من التراجم، فقد تناول الأوضاع السياسية للفترة التي أرخ لها من سنة(٥٩٠هـ/١١٩٤م) سنة(٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، وهي كما يبدو المكملة لكتاب الروضتين.

وقد بدا أن الذيل على الروضتين هو تكملة للروضتين من خلال ما كتبه أبو شامة في بداية الكتاب، حيث يقول: "ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وفيها قدم العزيز بن صلاح الدين الى الشام مرة ثانية، فنزل على الفور في شهر رمضان ثم رحل إلى مصر، لما سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل وأخيه الأفضل".(١).

(١) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن الإمارات فيذكر إمارة الحج فتجده يقول ": حج بالناس من بغداد سنجر الناصري، ومن الشام سراسنقر وإيبك فطيس الصلاحيات، ومن مصر الشريف اسماعيل بن تغلب.."[1].

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية:

لم تكن الأوضاع الاقتصادية هي فاتحة الكلام في أي من فصول الكتاب، بل كان الحديث يبدأ بالنواحي السياسية، ثم يتحدث بعد ذلك عن النواحي الأخرى،ولم يكن يتحدث عن النواحي الاقتصادية الا عندما تشتد الأزمة حين يشكو الناس من المجاعة والفقر.

ففي حوادث سنة (٥٩٧هـ/١١٨٣م) تجده يقول: "وفيها كانت حوادث كثيرة عظيمة، منها هبوط نيل مصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام، ومزقوا كل ممزق.. حيث كان الرجل يدعو صديقه، وأحب الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا كذلك بالأطباء، كانوا يدعونهم ليبصروا المرض فيقتلونهم ويأكلوهم"[2].

وهناك مثال آخر يُظهر سوء الأوضاع الاقتصادية في أحداث سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، حيث يقول: " وفيها – أي سنة ٦٤٤هـ– اشتد الغلاء بسبب

(١) ابو شامة، الروضتين، ص٧

(٢) المصدر نفسه، ص١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قطع الخوارزمية للطرقات، ففي ثامن عشر شوال بلغت غرارة القمح ستمائة درهم ناصرية، نصفها بثلاثمائة درهم، وبيع الخبز كل رطل بثلاثة دراهم أو بأربعة دراهم على تفاوت الأخبار، والله يكشف هذا الضرر برحمته، وكان ذلك في تاسع شهر آذار وبقي الصعاليك مرميين في الطرقات كانوا يطلبون اللقمة، ثم صاروا يطلبون فلسا يشترون به نخاله يبلونها ويأكلونها، كما تطعم الدجاجة.."[1]

منهج أبي شامة في كتابه الذيل على الروضتين:

لقد اتبع أبو شامة في كتابه الذيل على الروضتين أسلوب النظام الحولي، فابتدأ بأحداث سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) حتى سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) مرتبة دون الاخلال بها، فإذا أنهى الحديث عن سنة تابعها بأحداث السنة التي تليها، وهكذا استمر أبو شامة من أول كتابه حتى آخره، وقد كان موقفه من خلال ما ينقل من أحداث، عن مصادره موقفاً إيجابياً تحرى من خلاله الدقة والصحة.

فكان أبو شامة يعلق أحيانا على الحدث التاريخي أو المعلومات التاريخية، مبرزاً ثقافته الواسعة، ومثال ذلك ما أورده في أحداث سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) حيث يقول، "وفيها توفي بحلب الشهباء الفقيه ضياء الدين سقر بن يحيى بن سقر رحمه الله، كان له شعر وله معجم، حكى فيه عن شيوخه،قلت: طالعته فرأيت فيه أغاليط كثيرة وتصحيف أسماء وتبديلها، وأول ذلك في نسب نفسه، بأنه انتسب إلى سعد بن

(١) ابو شامة، الروضتين، ١٧٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

عبادة الأنصاري، وظن أن عبادة هذا هو عبادة الصامت، وإنما هو عبادة بن دلـيم، وعبادة الصامت صحابي كبير غير هذا..."[1].

وبالنسبة لترتيب أحداث السنوات نضرب المثال التالي: "في سنة ٥٩٠هـ استعادة الفرنج خذلهم الله حصن جبيل، وفيها وصل العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر في صفر لأخذ الشام، وأقام يحاصرها عشرة أشهر وقطع الماء عنها ثم يقول عن أحداث سنة(٥٩١هـ/١١٩٥م) ثم دخلت سنة إحدى وتسعين، وفيها قدم العزيز إلى الشام مرة ثانية ثم رحل إلى مصر.."[2]، وهكذا يتبدى مدى دقة أبي شامة في ربط السنين وأحداثها بشكل متسلسل دون انقطاع.

ولا يسع المنصف المطلع على كتاب أبي شامة إلا أن يشهد له بالرسوخ في صحة التثبت من المشاهدات والأحداث التي كان قريبا منها، لأنه كان لأبي شامة روافد متنوعة أعانته على صدق ما نقل من أخبار وروايات.

ولكن تبرز مسألة صغيرة قد يعدها البعض عيبا في منهج أبي شامة في كتابه الذيل على الروضتين، ألا وهي أن أبا شامة قد أكثر في النقل عن المؤرخ سبط ابن الجوزي وكتابه (مرآة الزمان) حيث نقل عنه من الفترة (٥٩٧هـ/١١٨٣م) حتى سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٧م) ، وهي فترة طويلة، ولكن أبا شامة لو لم يكن مطمئنا أشد

(١) ابو شامة، الروضتين، ص١٨٨،ص١٨٩.

(٢) المصدر نفسه،ص٦،٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاطمئنان إلى صحة ما ينقل عن المؤرخ سبط ابن الجوزي لما أخذ عنه وفي هـذا الموضع يكون هذا العمل محسوماً لأبي شامة لا ضده.

ثالثا: الباعث على إنكار البدع والحوادث:

وهو كتاب وقع في مائة وثلاث وستين صفحة، قال المؤلف في مقدمته:" فهذا كتاب جمعته محذرا من البدع زاجراً لمن وفّق لذلك فارتدع، متمثلا بـه قـول رب العالمين (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)[1] وسميته الباعث علـى إنكـار البـدع والحوادث[2].

ومن خلال عنوان الكتاب يظهر محتواه، فهو كتاب جمع فيـه المؤلـف مـا ابتدعه الناس في أمور الدين مما لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسـلم ولا على عهد الخلفاء الراشدين.

وقد كان منهج ابي شامة فيه أن يذكر الأمر الذي ابتدعه الناس، ثم يدلل على بطلانه وفساده من خلال عرضه للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين.

وقد تحرى ابو شامة الخبر الصحيح والأثر الذي اجمعت الأمة على قبولـه، ليدلل بذلك على بطلان الأمور المبتدعة التي ناقشها في كتابه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الذاريات، آية رقم ٥٥.

(٢) ابو شامة، الباعث على انكار البدع والحوادث، تحقيق بشير محمد عيون، ط١، دمشق، مكتبة المؤيد، ١٩٩١، ص٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولتتضح الصورة انقل هنا مثالا من الكتاب: " فصل: وأما الألفية: فهي صلاة ليلة النصف من شعبان سميت بذلك، لأنها يقرأ فيها ألف مرة سورة الإخلاص، لأنها مائة ركعة في كل ركعة يقرأ الفاتحة مرة، وبعدها سورة الإخلاص عشرة مرات، وهي صلاة طويلة مستثقلة، لم يأت فيها خبر ولا أثر إلا ضعيف أو موضوع..."[1]،ثم يذكر بعد ذلك منشأ هذه البدعة ويورد الأحاديث النبوية التي قيل أنها وردت في فضل هذا العمل، مظهرا الضعف الذي فيها أو أنها قد تكون موضوعة، ذاكرا أقوال أهل الحديث في شأن ما ورد، مستدلاً بعد ذلك على فسادها، داعياً إلى تركها وهجرها.

أما باقي مؤلفات أبي شامة والتي سبق وأن ذُكرت فهي مؤلفات ليست بأهمية مؤلفاته الثلاث التي فُصّل القول فيها، فمضمون تلك المؤلفات ظاهر، من خلال عناوينها، ويكفي أن دُرست هذه المؤلفات الثلاث للتدليل على منهجية الرجل وبيان قيمته كمؤرخ شهير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابو شامة، الباعث على انكار البدع والحوادث، ص٥٠.

عز الدين بن شداد

سيرة عز الدين بن شداد (٦١٣هـ /١٢١٦م- ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)

ولد محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد بن خليفة بن شداد بن إبراهيم بن شداد أبو عبد الله الأنصاري الحلبي بحلب في السادس من ذي الحجة سنة ثلاث عشرة و ستمائة، وفيها نشأ وتعلم وأمضى شبابه[١]، وفي هذا الشأن يقول ابن شداد: "وأبدأ بذكر جند حلب لكونها مسقط رأسي، ومحل أنسي وناسي، وثديَّ الذي ارتضعت دَرَّه، وبحري الذي تقلد نحري دُرَّه، وموضع نزهتي ووطني، وبقعتي، والمكان الذي حمدت به الأيام، والمنزل الذي كنت به من الحوادث في ذمام، والدار التي صحبتُ بها الشباب غضاً جديداً، وقطعت فيها بالدعة والسرور عيشاً حميداً.."[٢]. ولكن المؤرخين لا يذكرون الشيء الكثير عن صباه ونشأته رغم شهرته، فيقول فيه ابن كثير مثلاً:" وكان فاضلاً مشهوراً.. وكان معتنياً بالتاريخ" [٣].

---

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤،ص٢٧٠ والذهبي، العبر ،ج٥،ص٣٤٩،ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣،ص٣٠٥، الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٤،ص١٨٩ -١٩٠،ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك ،تحقيق نجلاء عز الدين رزيق، ط١ ، بيروت،(د.ن)، ١٩٣٩، ص٣٣، وسيشار إليه لاحقا: ابن الفرات، تاريخ الدول، ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٨، نبهان، عبد الإله، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد، عالم الكتب، م(١٣)، العدد (١٤)، المحرم – صفر ١٤١٣هـ/ يوليو – اغسطس ١٩٩٢، ص٣٩٦، وسيشار إليه لاحقا: نبهان، الأعلاق الخطيرة لابن شداد، أحمد حطيط، سيرة الظاهر بيبرس لعز الدين محمد بن علي بن شداد، ط ١، بيروت ، (د.ن)، ١٩٨٧، ص١٧، وسيشار إليه لاحقا: احمد حطيط، سيرة الظاهر بيبرس، الزيات، حبيب، في تاريخ مملكة حلب، مجلة المشرق، العدد (٣٢) عام ١٩٣٤، ص٥٠٥ -٥٠٩، وسيشار إليه لاحقا: الزيات ، تاريخ مملكة حلب.

(٢) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٣٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ووصفه الصفدي بـــ" الصدر المنشيء عز الدين أبي عبد الله الأنصاري الحلبي الكاتب، وكان أديباً فاضلاً.. وله توصّل ومداخلةٌ، وفيه مروءة ومســـارعة لقضـــاء الحوائج"(١).

وقال فيه ابن الفرات:" كان الوزير المشير عز الدين المذكور فاضلاً دينـــاً مؤرخاً رئيساً، معظّماً عند الأمراء والأكابر، محبوباً إليهم، وكان الأمراء والأكـــابر يحملون إليه في كل سنة دراهم وكسوة وغلة، وغير ذلك..."(٢).

وترجمه من المؤرخين المتأخرين، المستشرق الروسي كراتشكوفسكي فقال:" أصله من حلب، وقد شغل منذ شبابه الأول مناصب إدارية لدى الأيوبيين..."(٣).

وقد أخذ عز الدين بن شداد بطرف من النشاطات الاقتصادية والدبلوماسية(٤) زمن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن غازي الذي ملك حلـــب ســـنة ثمان وثلاثين وستمائة(٥)، ومما يؤكد على قيامه ببعض النشاطات الاقتصادية خبـــره الذي أورده بخصوص ابتعاثه من قبل السلطان صلاح الدين يوسف إلى حرّان لتدبير

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤،ص١٨٩.
(٢) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج٨،ص٣٣.
(٣) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص٣٦٩.
(٤) كراتشكوفسكي، المصدر نفسه، ص٣٦٩.
(٥) أحمد حطيط، سيرة الظاهر بيبرس ،ص٢١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

شؤونها المالية، وفي ذلك يقول:"بعثني إليها في سنة أربعين لأكشفها، فكان ارتفاعها ألفي ألف درهم.."[١].

وبالنسبة لنشاطاته الدبلوماسية،فقد انتدبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف لفض النزاعات التي كانت تحدث بين الأمراء الخاضعين لسلطانه[٢]،وكلفه لينوب عنه في شفاعة للملك المسعود[٣] صاحب الجزيرة عند بدر الدين لؤلؤ[٤] صاحب الموصل، واورد ابن شداد هذا الخبر بقوله:".: فاتفق في ذلك الوقت وصول رسل المسعود صاحب الجزيرة يستصرخ السلطان الملك الناصر من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ويشكو منه ومن تعديه عليه لوفاة والده الملك المعظم، ويطلب أن يسلم الجزيرة إليه وأن يعوض عنها، فلم يسع الملك الناصر ذلك الوقت، لاشتغال وجهه بالمصريين أن يأخذ الجزيرة وأن يعوض عنها، فرسم لي أن أشفع له عنه إلى بدر الدين صاحب الموصل وأوفق بينهما"[٥].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ،ج٣،ق١،تحقيق يحيى عباده، ص٦٥

(٢) أحمد حطيط، المصدر نفسه، ص٢١.

(٣) الملك المسعود شاهان شاه بن المعظم محمود بن سنجر شاه الزنكي صاحب الجزيرة، توفي غرقا سنة تسع واربعين وستمائة، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج٣،ق١، ص٢٤٣.

(٤) بدر الدين لؤلؤ الأرمني، الملك الرحيم، صاحب الموصل توفي سنة ستٍ وخمسين وستمائة وقيل سنة سبعٍ وستمائة. ابن العبري، ابو الفرج بن غريغورس بن أهرون، تاريخ مختصر الدول، بيروت، دار المسيرة، (د.ت)، وسيشار إليه لاحقا: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٨٦، الذهبي، العبر ، ج٥،ص٢٤٠.

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣،ق١،ص٢٣٨.

وهناك حادثة أخرى تؤكد ثقة السلطان به، وذلك عندما حلَّ المغول بميافارقين[1] سنة سبع وخمسين وستمائة فكلفه السلطان مرافقة عائلته من دمشق إلى حلب، وأوكله بالتفاوض مع المغول، وذك بقوله:" خرجت من دمشق رسولاً إلى التتر النازلين على ميافارقين في مستهل المحرم، صحبة الملك المفضل صلاح الدين يوسف بن الملك المفضل موسى بن صلاح الدين وأخرج معنا الملك الناصر أولاده الثلاثة وحريمه ليكونوا بحلب وهم: الملك العادل والملك الأشرف وولد آخر صغير، وأمر أن نأخذ معنا من حلب هدية إلى " يشموط" وهي ألف وخمسمائة دينار عيناً، وحياصةٌ مجوهرة وسيف مجوهر"[2].

واستمرت علاقة ابن شداد بالملك الناصر، حتى هجم المغول على حلب سنة ثمان وخمسين وستمائة ففر الملك الناصر إلى مصر[3]، فلجأ ابن شداد كذلك إلى مصر، حيث أورد ابن شداد ذلك بقوله:" وكان السبب في نجعتي عن بلادٍ بها عقَّ تمائمي الشباب، وفيها اتخذت الأخوان والأصحاب، وقضيت الأوطار مع اللذات والأتراب، مالا ينسى ذكره على مرور الأيام، ولا يبرح مكرراً بأفواه المحابر

(١) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر، سميت، بميار بنت لأنها أول من بناها، وفارقين هو الخلاف بالفارسية، يقال له بارجين لأنها كانت أحسنت خندقها فسميت بذلك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥،ص٢٣٥-٢٣٨.

(٢)ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣،ق١،ص٤٩١.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،، ج١،ق١،ص١٣٨،ج٣،ق١،ص٥٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وألسن الأقلام، من دخول التتر المخذولين البلاد، وتفرقتهم بجموعهم لشمل من سكنها من العباد..."[1].

وفي القاهرة حظي ابن شداد برعاية الظاهر بيبرس، ومن بعد الظاهر بيبرس السلطان قلاوون ولم يعد إلى حلب، وإنما زار دمشق ثم عاد إلى القاهرة وبقي فيها حتى توفي[2].

شيوخ ابن شداد وتلاميذه:

لم يجد الباحث نتيجة مرضية في التعرف إلى شيوخ ابن شداد وتلاميذه، وذلك لأن المصادر الموجودة لم تُشر عما كان من شأنه وشأنهم.

مؤلفات ابن شداد:

١. جنى الجنتين في أخبار الدولتين[3]

٢. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر [4] .

---

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١،ق١،ص٢.

(٢) نبهان، الأعلاق الخطيرة لابن شداد،ص٣٩٧.

(٣) ذكر ابن شداد هذا الكتاب في كتابه الأعلاق الخطيرة، فقال:" في كتابنا الموسوم بجنى الجنتين في أخبار الدولتين"، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣،ق٢، وقال سامي الدهان:" ولعله في الخوارزمية والأيوبية، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا ذكر مخطوطة منه وقد ألفه قبل الأعلاق"، الأعلاق الخطيرة، ج٢،ق١، تحقيق سامي الدهان. المقدمة،ص١٨.

(٤) ذكره ابن شداد في كتاب الأعلاق الخطيرة وقال:" يأتي ذكرها في تاريخنا المرتب على السنين في سيرة السلطان الملك الظاهر – خلد الله ملكه "ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣،ق١، تحقيق يحيى عباره،ص١٢٣، ويقول سامي الدهان:" ووصل إلينا القسم الثاني من هذه السيرة بخط مؤلفها واستوفت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. " القرعة الشدادية الحميرية" أو " تحفة الزمن في طُرف أهل اليمن"[١].

٤. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة .

كتاب " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ":

جاء هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، اختص الجزء الأول منه بتاريخ حلب، واختص الجزء الثاني بتاريخ دمشق وأجناد لبنان والأردن وفلسطين، أما الجزء الثالث فهو خاص بأمراء الجزيرة، وقد قام المستشرق الفرنسي (دومنيك سوردیل) بنشر الجزء الأول منه وصدر عن المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٣، وقام بتحقيق الجزء الثاني سامي الدهان وصدر عن المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٦ أما القسم الثاني فقد صدر سنة ١٩٦٣ عن المعهد الفرنسي كذلك، أما بالنسبة للجزء الثالث فقد قام بتحقيقه يحيى عباده فصدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٧٨ بقسمين.

مصادر ابن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة:

اعتمد ابن شداد على مصادر عدة في كتابه الأعلاق الخطيرة، فمنها ما هو مكتوب ومنها ما هو شفهي ومنها ما هو من المعاينة والمشاهدة، أما المصادر

مخطوطتها بمدينة أدرنة، وعنوانها هناك مما ذكره ابن شداد نفسه"، الأعلاق الخطيرة، ج٢،ق١، تحقيق سامي الدهان، المقدمة، ص١٩.

(١) قال سامي الدهان:" ذكره بروكلمان في تاريخه للأدب العربي، وقال ان مخطوطته بالهند، ولكنا لم نقع عليه بأنفسنا.. فلعله في نسب أهل اليمن وقبيلة بني شداد منهم، ذلك أن صحت نسبة الكتاب إلى مؤلفنا"، الأعلاق الخطيرة، ج٢،ق١، تحقيق سامي الدهان، المقدمة،ص١٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المكتوبة فأول ما يواجه القارئ لكتاب الأعلاق الخطيرة هو كتاب" بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، فقد صرح ابن شداد بالأخذ عنه(١)، ثم كتاب " أسماء البلدان" لهشام بن السائب الكلبي(٢)، فقد ذكره ابن شداد عندما تكلم عن تسمية حلب(٣)، وكتاب" الكامل في التاريخ" لابن الأثير الجزري، وكتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي(٤)، وكتاب " فتوح البلدان للبلاذري(٥)، وكتاب "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري(٦)، وكتاب " المسالك والممالك" لابن حوقل(٧)،

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ، ج١،ق١، تحقيق دومينيك سورديل، ص٨.

(٢) هو هشام بن محمد ابي النضر ابن السائب بن بشار الكلبي، أبو المنذر المتوفى سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه، كثير التصانيف، من أهل الكوفة وكانت وفاته فيها. الزركلي، الأعلام، ج٩،ص٨٧.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج١،ق١، تحقيق دومنيك سورديل ص١٥.

(٤)هو محمد بن عبد الله بن ادريس الإدريسي الحسني الطالبي ابو عبد الله، مؤرخ من أكابر العلماء في الجغرافيا، من أدارسة المغرب الأقصى، ولد سنة (٤٩٣هـ) في سبته بالمغرب ونشأ وتعلم بقرطبة، ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية فنزل على صاحبها روجار الثاني ووضع له كتاباً سماه"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، وهو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوروبا وإيطاليه وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه، وقد ترجم إلى الفرنسية وترجم إلى اللاتينية والانكليزية والألمانية، وتوفي الإدريسي في (سبته) سنة (٥٦٠هـ)، الزركلي، المصدر السابق، ج٧،ص٢٤.

(٥) هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المتوفى سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) مؤرخ جغرافي نسب له شعر، من أهل بغداد، أصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون، فشد بالبيمارستان إلى أن توفي، من كتبه " فتوح البلدان " انظر الزركلي، المصدر السابق، ج١،ص٢٥٢.

(٦) هو محمد بن جرير الطبري ابو جعفر ولد سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) في آمل واستوطن بغداد، مؤرخ كبير ومفسر، له تاريخ الرسل والملوك" وغير ذلك، توفي سنة (٣١٠هـ) في بغداد، الزركلي، المصدر السابق،ج٦،ص٢٩٤.

(٧) هو محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، ابو القاسم رحالة من علماء البلدان، كان تاجرا ورحل من بغداد سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) ودخل المغرب وصقلية، وجاب بلاد الأندلس وغيرها ويقال، كان عيناً للفاطميين، له كتاب "المسالك والممالك" توفي بعد سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م). الزركلي، المصدر السابق، ج٦،ص١١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبه[١]، وكتاب "التاريخ المظفري" لابن ابي الدم[٢]، وكتاب "البلدان الكبير" لابن واضح[٣]، وكتاب " فتوح البلدان" للواقدي[٤]، وكتاب " عنوان السير في محاسن البدو والحضر" للهمذاني[٥]،إلى غير ذلك من الكتب المبثوثة بين ثنايا كتاب الأعلاق الخطيرة.

أما بالنسبة للمصادر الشفهية فجاءت قليلة مقارنة مع المصادر المكتوبة، ويجد القارئ في الكتاب أمثلة لذلك في صورة أنه يذكر عبارات مثل: أخبرني[٦]، "بلغني"[٧]، وقد استحوذت الملحوظات والمعاينة على نصيب كبير من المصادر في الكتاب لأنه كان معاصراً لتلك الأحداث التي دونها.

---

(١)هو عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم، عاش نحو(٢٠٥هـ/٨٢٠م-٢٨٠ هـ/٨٩٣م) مؤرخ جغرافي فارسي الأصل من أهل بغداد، اتصل بالمعتمد العباسي فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل وجعله من ندمائه له تصانيف منها "المسالك والممالك" الزركلي، المصدر السابق، ج٤،ص٣٤٣.

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي، شهاب الدين، أبو اسحاق، المعروف بابن ابي الدم(٥٨٣هـ/١١٨٨م-٦٤٢هـ/١٢٤٤م) مؤرخ ثقة، بحاثة، مولده ووفاته بحماة (في سورية) من مؤلفاته " التاريخ المظفري" في ست مجلدات. الزركلي، المصدر السابق، ج١،ص٤٢.

(٣) هو أحمد بن اسحق (أبو يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى بعد سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م) مؤرخ جغرافي، كثير الأسفار، من أهل بغداد، صنف كتبا جيدة منها " البلدان" الزركلي، المصدر السابق، ج١،ص٩٠.

(٤) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي (١٣٠-٢٠٨هـ/ ٧٤٧-٨٢٣م) من أقدم المؤرخين في الإسلام ولد بالمدينة ثم انتقل إلى العراق سنة ١٨٠هـ، ولي القضاء ببغداد، واستمر بها إلى أن توفي فيها. الزركلي، المصدر السابق، ج١،ص٢٠٠..

(٥) هو محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، ابو الحسن الهمذاني(٤٦٣هـ-٥٢١هـ/ ١٠٧١-١١٢٧م) من كبار المؤرخين، سكن بغداد، وبها نشأ وتوفي من تصانيفه" عنوان السير في محاسن البدو والحضر" و"التذييل على تاريخ الطبري " وغير ذلك. الزركلي، المصدر السابق، ج٧،ص١٢٧

(٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، تحقق دومنيك، ج١،ص١٢.

(٧) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١،ص٣١.

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهمية كتاب الأعلاق الخطيرة:

حاز هذا الكتاب على شهرة عظيمة لا تنكر بين المؤرخين، وذلك لأن مؤلفه قد قام بجهدٍ عظيم، ألا وهو الجمع بين الجغرافيا والتاريخ لكل من المناطق التي ذكرها في كتابه وهي حلب ودمشق والأردن وفلسطين ولبنان والجزيرة، ولا أدل على ذلك من قوله:" مفصلا كل جند من أجناد الشام والجزيرة بأعماله وحدوده، ومكانه من المعمور وأطواله وعروضه ومطالع سعوده، ملتزماً في كل بلدٍ من وليه من أول الفتوح وإلى الوقت الذي فرغ فيه هذا الكتاب.."[١].

وقد فصل ابن شداد القول في كل بقعة ذكرها، فهو يتحدث عن حلب من حيث موضعها فيقول: "حلب من الأقليم الرابع وهذا الإقليم هو أفضل الأقاليم السبعة، وأصحها هواءً وأعذبها ماءً، وأحسنها أهلاً، وهو وسطها وخيرها"[٢]، ثم يذكر سبب تسميتها وهو "أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يرعى غنماً له حول تل كان بها وهو الآن القلعة، فكان له وقت يحلب فيه الغنم ويأتوا الناس إليه في ذلك الوقت فيقولون: حلب إبراهيم، حلب إبراهيم، فسميت حلباً"[٣].

وقد تناول ابن شداد في كتابه جوانب مهمة تتعلق ببلاد الشام خلال ذلك العصر، فقد تعرض لعدد من مدن الساحل الشامي من مثل مدينة صور فذكر أنها: "

---

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١ المقدمة،ص٤.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص١١.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١،ص١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدينة حسنةٌ حصينة، يحف البحر منها ثلاث جهات ولها ربـــض "..[١]، ووصـــف مناعتها من حيث وقوعها على البحر، وتطرق خلال ذلك لذكر دقائق الأمور التـــي تتعلق بحصانتها وأنها أحد المداخل البحرية على بلاد الشام، ثم ينتقل بعد ذلك إلـــى ذكر من فتحها ووليها من المسلمين[٢]، ثم كيف تمت سيطرة الفرنج عليها[٣]، حتـــى استعادها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب[٤].

واستكمالاً لتناول ابن شداد لمدن الساحل الشامي وذكر الحصون التي كانـــت في تلك المناطق، يذكر يافا بقوله:" وهي على ساحل البحر وكانت عـــامرة، عليهـــا سور محكم البناء، ولها قلعة شاهقة في الهواء.." [٥]، ومما يلاحظ كذلك أثناء تناول ابن شداد للمدن الساحلية أنه يلتفت إلى مسألة العمران، ومثال ذلك ما ذكـــره عـــن مدينة صيدا بقوله:".. وكورتها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار، لها أربعـــة أقـــاليم متصلة بجبل لبنان تشتمل على ستمائة ضيعة"[٦].

ويؤكد ابن شداد خلال تناوله للمدن الساحلية الشامية على مسألة ذات شـــأن وهي أن بعض المدن كانت تعدُّ موانئ مهمة كمدينـــة بيـــروت التـــي تعـــد مينـــاءً

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، تحقيق سامي الدهان،ج٢،ق٢، ص١٦٣.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٢،ق٢،ص١٦٣ وما بعدها.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢،ص١٧٠.
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٧١.
(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٢٥٥
(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لدمشق[١]، ومدينة حيفا التي تعد ميناءً لطبرية[٢]، ومن بين المدن التي تناولها ابن شداد بالتفصيل مدينة عكا، حيث أنه وصفها وصفاً دقيقاً بقوله:" وهي مدينةٌ واسعة الأرجاء كثيرة الضياع ولها مرسى مأمون، وهي في عصرنا قفل بلاد الساحل، وقصبة ما فيه من الحصون والقلاع والمعاقل.."[٣].

وقد أشار ابن شداد في كتابه اشارات عرضية لبعض الجوانب الاقتصادية كالتي تتعلق بالزراعة أو التجارة أو الصناعة، فعلى سبيل المثال فقد تكلم عند ذكره لمدينة طرابلس بأن" لها رساتيق وضياع جليلة، وأرضها غوربة كثيرة قصب السكر.."[٤]، وعلى مستوى التجارة فقد أشار إلى ثراء أهل بعض المدن الشامية من خلال اشتغالهم بالتجارة الداخلية، كأهل معرة مصرين التي كان أهلها" ذوو يسار وأموال وأملاك"[٥]. وكذلك يذكر تجارة الأسماك في صيدا[٦] باعتبارها باباً من أبواب التجارة.

وعن الثروة المعدنية والصناعات يذكر ابن شداد على سبيل المثال توافر الحديد على أحد الجبال القريبة من بيروت فيقول:" ولها بمقربة " منها جبل فيه معدن

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٠١.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٧٧.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٧٢.
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٢،ق٢، ص١٠٤.
(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢،ص٥٧.
(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حديد"[١]، وعن الصناعات يذكر صناعة الزجاج والفخار التي كانت تتم في مدينة صور وذلك حينما أورد" ولها ربضٌ يعمل فيه الزجاج"[٢].

ولا يفوت ابن شداد أثناء ذكره للمدن الواردة في كتابه أن يذكر الجانب الحربي سواءً ما اتصل منه بالمعارك الحربية أم الحصون والقلاع عند المسلمين وعند الفرنجيين، فيورد حصار الفرنج لمدينة طرابلس أثناء كلامه عنها بقوله: " ولم تزل الفرنج على طرابلس مجدين في حصارها، وأهلها يتكرر استصراخهم إلى لملوك ولا يجابون، وضعفوا عن مدافعة العدو وممانعته، وعمل الفرنج أبراجاً واسندوها إلى السور، وأشرفوا بها على البلد وأوصلوا منها النكاية إلى كل حد، فطلبوا الأمان فأجيبوا، واستعجل بعض الجنود في النزول إلى البر قبل إحكام عقد الأيمان، فدخل الفرنج من حيث خرج الجندي فقتلوا وسبوا من كان فيها وأخذوا ما لا يحصى من السلاح والمال.."[٣]، كما ويورد ابن شداد عددا من المواجهات بين المسلمين والفرنجيين أثناء كلامه عن عسقلان[٤] وبيت المقدس[٥]، وغيرها من المدن الأخرى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٠١.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٦٣.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١١٠.
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٢٦١.
(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٢٢٣.

ومن جهة أخرى تعرض ابن شداد لأمر الحصون فذكر بناءها بالإضافة إلى تعاقب القوى السياسية المسيطرة عليها، ومن تلك الحصون التي تناولها حصن ابن عكار، فذكر طوله وعرضه وزمن بنائه ومن تولى أمره[١]، وحصن الأكراد الذي يذكر ابن شداد حصانته البارزة بقوله:" ولم تزل الفرنج بهذا الحصن غير مكترثين بالجيوش ولو كانوا في أكثر من القطر عددا، وأغزر من البحر مددا، يشنون منه الغارات ويدركون الثارات.."[٢]، ويذكر ابن شداد حصوناً أخرى كحصن هونين وتبنين[٣]، وشقيف أرنون [٤]، وشقيف تيرون[٥]، ذاكراً وصفها بدقة متناهية، والتحركات الحربية التي كانت تنطلق منها، ويظهر اهتمام ابن شداد بأمر القلاع والحصون والدليل على ذلك أنها شملت قسماً كبيراً من كتابه.

وبالإضافة إلى الجوانب السابقة التي تعرض لها ابن شداد هناك جانبٌ مهم تناوله في كتابه ألا وهو المزارات الدينية، فذكر المزارات المسيحية والإسلامية، فمن المزارات المسيحية هناك كثير من المزارات التي كانت بحلب واندثرت كالهيكل المعظم الذي بنته هيلاني أم قسطنطين[٦]، وكنيسة اليعاقبة وهي بالقدس، وفيها بئر يقال أن المسيح عليه السلام اغتسل منها، وآمنت السامرة على يده

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، تحقيق سامي الدهان، ج٢،ق٢،ص١١٤.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١١٦.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢،ص١٥٢
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٥٤.
(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢،ص١٥٩
(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،تحقيق دومينك، ج١،ص٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عندها[١]، وكنيسة صهيون التي يقال أن المائدة نزلت على عيسى والحواريين فيها[٢]، ووادي جهنم الذي يقال أن فيه قبر السيدة مريم العذراء أم المسيح[٣]، وقد أوجز ابن شداد الحديث عن المزارات المسيحية ولم يقدم وصفاً تفصيلياً لها.

أما بالنسبة للمزارات الإسلامية فقد ذكر منها الكثير ، ففي حلب يوجد مسجد النور الذي قيل أنه رؤي النور ينزل عليه مراراً[٤]، وفي دمشق يوجد جبل بردة الذي عليه قبر قابيل وهابيل ولدا آدم [٥]، وجبل قاسيون الذي فيه مغارة الدم التي قتل قابيل أخاه هابيل[٦]، والمزة التي فيها قبر دحية الكلبي [٧]، الى غير ذلك من المزارات التي في القدس مثل الصخرة والمسجد الأقصى [٨]، وفي الخليل بيت جبرين [٩] الذي قيل أنه البلد الذي ذكره الله في القرآن بقوله:" يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة [١٠]، ووادي النمل الذي خاطبت به النملة سيدنا سليمان عليه السلام[١١].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،تحقيق سامي الدهان، ج٢،ص٢٠٠،ص٢٨٧.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢،ص٢٨٨.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢٨٨.
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه،تحقيق دومنيك،ج١، ص٤٣.
(٥) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٢،ق١، ص١٨٠.
(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٨١.
(٧) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٢٨٦.
(٨) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص٢٩٠.
(٩) سورة المائدة، آية رقم (٢٤).
(١٠) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،،ج٢،ق٢،ص٢٩١.
(١١) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٢،ق٢،ص١٣٠.

وبالإضافة إلى المزارات الدينية يذكر ابن شداد المزارات العلاجية التي كان يقصدها المرضى ومنها حمامات طبرية التي " تنصب إليها مياه حارةٌ من حمامات في الشتاء والصيف، مأؤها في أول خروجه يسمط فيه الجلد ويسلق فيه البيض، ومن خارجها حمامات يقصدها أرباب العاهات من المجذومين والمجروبين والمفلوجين فيتعالجون بالاستحمام بمائها فتنزل عنهم أوصابهم"(١).

وهناك جانبٌ مهم لم يغفل ابن شداد ذكره ضمن تناوله لبلاد الشام في ذلك العصر ألا وهو الجانب التعليمي والديني سواءً المدارس أم المساجد، وكذلك ما يسمى بالخانقاوات والربط، وقد وجه اهتمامه للمدارس التي كانت بحلب ودمشق، فيذكر كل مدارس حلب التي بظاهرها وباطنها والتي تنتمي إلى المذاهب الفقهية الأربعة، الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، فيذكر المدرسة ومؤسسها، ومن درس فيها، وما هي العلوم التي كانت تدرس فيها، ومن الأمثلة على ذلك المدرسة العصرونية حيث قال: " وكانت دارا لأبي الحسن علي بن أبي الثريا وزير بني مدارس، فصيّرها الملك العادل نور الدين محمود زنكي بعد انتقالها إليه بالوجه الشرعي مدرسة، وجعل فيها مساكن للمرتبين فيها من الفقهاء، وذلك في سنة خمسين وخمسمائة، واستدعى لها الشيخ الإمام شرف الدين عبد الله بن أبي السري بن ابي عصرون التميمي، وكان من أعيان وفقهاء عصره"(٢)،وتعد المدرسة

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق٢، ص١٣٠

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١،ص٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العصرونية من المدارس الشافعية في حلب. أما المدارس الحنفية في حلب فذكر منها المدرسة الخلاوية والتي كانت كنيسة وحوّلها نور الدين محمود زنكي مدرسة [١]، والمدرسة الشاذ بختية والتي أنشأها الأمير جمال الدين شاذ بخت الخادم الهندي الأتابكي [٢]،وتطرق بعد ذلك لذكر المدارس المالكية والحنبلية [٣].

ومن المدارس التي في دمشق، يذكر ابن شداد من المدارسة الحنفية، المدرسة الصادرية التي انشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله وهي من أول المدارس التي انشئت في دمشق[٤]، والمدرسة الطرخانية التي أنشأها الحاج ناصر الدولة طرخان[٥] وغيرها من المدارس الحنفية. ومن المدارس الشافعية، المدرسة الجاروخية والتي بناها الأمير جاروخ التركماني الملقب بسيف الدولة[٦]، والمدرسة الأمينية التي بناها أمين الدولة ربيع الإسلام[٧]، ويعد ابن شداد المدارس عند أصحاب كل مذهب حتى يأتي عليها كلها.

أما المساجد فقد أشار ابن شداد إلى المئات منها في حلب، وقد أهتم اهتماما خاصاً بالمسجد الجامع الذي فيها، فذكر ان موضعه كان في البداية بستاناً للكنيسة

---

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص١١٠.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص١١٣.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص١٢١.
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١،ص١٩٩
(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٢٠١
(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٢٢٩
(٧) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٢٣١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العظمى التي كانت زمن البيزنطيين، ولما فتح المسلمون حلب صالحوا أهلها من أجل تشييد المسجد الجامع في الموضع[١]، وقد قرر ابن شداد اثناء حديثه عن المسجد الجامع أنه كان يضاهي جامع دمشق من حيث أعمال الزخرفة والفسيفساء التي كانت فيه[٢]، وقد أشار ابن شداد إلى المراحل التاريخية التي مرت على المسجد الجامع، حيث قام الإسماعليون بإحراقه سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)، فقام نور الدين محمود بإعادته وأحسن بناءه وعمارته[٣].

أما الخانقاوات، فقد ذكر ابن شداد العديد منها، وقد كانت مخصصة للمتصوفة المنقطعين للعبادة، فمن الخانقاوات التي بحلب يذكر خانقاه القصر التي أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت مكان قصرٍ بناه شجاع الدين فاتك[٤]، وهناك أيضاً خانقاه البلاط التي أنشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم وهي أول خانقاه بُنيت بحلب[٥].

ومما يورده ابن شداد عن الخانقاوات انه كان هناك خانقاوات خاصة بالنساء، ومن أمثلتها خانقاه أنشأتها فاطمة خاتون بنت الملك الكامل[٦]، وكذلك خانقاه انشأتها

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج١،ص٣٠

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٣١

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٣٢.

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١،ص٩٣.

(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١، الصفحة نفسها.

(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٩٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر وكانت داخل باب أربعين[١].

ومن الخوانق التي في دمشق يذكر ابن شداد الخانقاه السميساطية التي أنشأها ابو القاسم السميساطي وفيها قبره[٢]، والخانقاه الشومانية[٣]، وغيرها الكثير.

أما الربط فقد كانت في الأصل من المباني العسكرية التي يأوي إليها المجاهدون ثم أصبحت من المناطق التي ينقطع إليها الصوفية[٤]، وقد ذكر ابن شداد بعضا منها في حلب مثل الرباط الذي أنشأه سيف الدين بن علي بن علم الدين، ورباط الخدّام [٥]، ومن الربط التي في دمشق يذكر ابن شداد ما يقارب العشرين رباطاً دون أن يذكر التفاصيل المتعلقة بها سواءً من حيث منشئها أم سنة إنشائها[٦].

أما بالنسبة للجزيرة الفراتية فقد شغلت حيزاً لا بأس به من الكتاب، فعندما كان يذكر ابن شداد مدينة من المدن كان يحدد موقعها ويكشف عن طبيعة أراضيها، فيذكر ما يجاورها من أنهار أو جبال أو سهول، وما فيها من قلاع وحصون ان وجدت، وعن الحوادث التي كانت تدور في الجزيرة يذكر ابن شداد كثيرا منها،

---

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١، الصفحة نفسها.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق١،ص١٩١

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٢،ق١، الصفحة نفسها.

(٤) نبهان، الأعلاق الخطيرة لابن شداد،ص٤٠١.

(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج١،ص٩٦

(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢،ق١،ص١٩٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فعلى سبيل المثال يذكر استيلاء التتار على سنجار، وكيف أنهم أخربوا قلعتها، وهدموا شراريفها[١]، ويذكر كذلك ابتداء ملك بني حمدان لديار بكر وكيف توجه الأمير ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان الى الروم واستنقذ ملطية وحصونها من ايديهم وعاد سالماً منصوراً[٢]، ويذكر كذلك الغزو المغولي التتري على بغداد والذي قضى على الخلافة العباسية، وكان ذلك سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) على يد هولاكو خان[٣].

ويقف القارئ للكتاب على أخبار البيت الأيوبي وأمرائه الذين توالوا على حكم الجزيرة[٤]، وقد ترجم ابن شداد أثناء كلامه عن الأحداث في الجزيرة لبعض الأمراء، وذكر وفاتهم وشيئا من سيرهم، ومن ذلك، ذكره وفاة عماد الدين زنكي، فقال:" وفي هذه السنة – اربع وتسعين وخمسمائة– توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن آق سنقر، صاحب سنجار ونصيبين.. وكان رحمه الله عادلاً، حسن السيرة في رعيته عفيفاً عن أموالهم وأملاكهم، متواضعاً يحب أهل العلم والدين..."[٥]، ويذكر كذلك وفاة الأمير سعيد بن نصر الدولة وقد ذكر قصة قتله على يد الجارية التي بعثها له نظام الدين هدية فقتلته بعد أن اختلا بها[٦]، وأورد ابن شداد

---

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج٣،ق١،ص٢٨٨

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق٢،ص٤٨٤.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق٢،ص٤٥٠.

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١٨٣،٢.

(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١،ص١٨٣.

(٦) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٣،ق١،ص٣٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شداد كذلك وفاة السلطان ألب ارسلان والتي كانت سنة خمس وستين وأربع مائة[1]، وغيرهم من الأمراء الذين كانوا بأرض الجزيرة.

وقد احتل الكلام عن ديار بكر جزءاً كبيراً من القسم الذي خصصه ابن شداد للجزيرة، وبالأخص ميافارقين، فقد ذكر تسميتها، بقوله:" ميا اسم الأودية، وفارقين: اسم امرأة بنتها، فكأنهم قالوا أودية فارقين"[2]، ثم ذكر ما جُدد منها من العمائر، وأورد حصار الروم لها، عندما قال:" وفي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة وردت الروم مع ملكها ابن سمسقيق ونزل على باب ميافارقين وحوصرت مدة"[3]، وأتى ابن شداد على ذكر من وليها سواء من المسلمين أو التتر، حتى انتهى إلى استيلاء التتر عليها وما لقيه أهلها من الشدة والحصار ويورد في ذلك كلاماً منه:" لما ملك التتر ميافارقين وجدوا بها من العوام ثلاثة وستين نفساً، ومن الأجناد اثنين وأربعين رجلاً، وبلغت الأسعار بالمدينة الخبز رطلٌ بستمائة درهم واللحم الرطل بستمائة درهم، وبيع رأس كلب، بستين درهما، وبلغت بهم الحال إلى أنه من قوي على صاحبه أكله"[4].

وهكذا يستوفي ابن شداد كلامه عن حلب ودمشق وجند الأردن وفلسطين ولبنان والجزيرة، وقد قام بتناول الأحداث السياسية بالأخص، مع تطرقه إلى بعض

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١،ص٣٧٨.
(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١،ص٢٦٠.
(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١،ص٣٠٥.
(٤) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق٢،ص٥٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فجاء كتابه مكتملا في تسجيل الأخبار التي كانت في تلك المناطق.

منهج ابن شداد وأسلوبه في كتاب الأعلاق الخطيرة:

تبين من خلال الدراسة السابقة للكتاب أن ابن شداد قد قسمه ثلاثة أقسام، ففي القسم الأول تكلم عن حلب مسقط رأسه، فأتى على جميع تفاصيلها من حيث التسمية وموضعها الجغرافي والولاة الذين ملكوها، وما تعلق بالأحداث التي جرت بها، وفعل كذلك مع مدينة دمشق ولبنان والأردن وفلسطين، وانتهى إلى الجزيرة، حيث استوعب جميع الأحداث التي حصلت في تلك المناطق، واعتمد على اختصار عدد كبير من الأخبار التي وردت في الكتب التي استند إليها في أغلب الأحيان لتدوين معلوماته، حيث إنه قام باستخلاص الجيد منها وترك الرديء، متبعا المنهج العلمي في كتابته مما يدلل على مدى اهتمامه بتقصي الحقائق والدقة في التوثيق، ومما يؤكد على ذلك أنه عندما جاء الكلام عن قلعة البيرة قال:"لم يتصل بعلمي شيء من أخبارها فيما طالعته من كتب التاريخ المصنفة في صدر الإسلام والذي احطت به علما"[1]، وعن حصن كيفا قال:" ولقد بالغت في التقصي عمن اختطه ومن عمرَه ونسب اليه وملكه فلم أعثر على شيء من ذلك"[2].

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٣،ق١،ص١٢٠.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٣،ق٢،ص٥٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ظهر من خلال الكتاب نقد ابن شداد للروايات الضعيفة في اسنادها مما لا يؤيده الدليل العقلي وذلك من خلال تشكيكه بالرواية وعدم تسليمه بها، ومثال ذلك ترفعه من الروايات التي ذكرها عن حران فقد وصف أصحابها بالزعم بقوله:" دخلها من الأنبياء فيما زعم أهل التواريخ القديمة نوح وإبراهيم ويعقوب وعيسى"(١)، وكان ينقل عن كثير من الموارد التاريخية في الحادثة الواحدة ليجعلها كلها بين يدي القارئ فقد اعتمد في تثبيت اسم حران على الجواليقي والطبري وصاحب كتاب ابتداء العمران(٢)، وفي ذكره للرها نقل عن محبوب ابن قسطنطين وعن ابن الكلبي والإدريسي وابن ابي يعقوب والواقدي(٣)، وكانت هذه طريقته في معظم نقولاته.

وقد اتصف اسلوبه بالأمانة العلمية والدقة في التحري والتوثيق المصدري لما ينقله ويورده في كتابه.

كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر:

وهو ما يسمى في كثير من المصادر التاريخية بتاريخ الملك الظاهر، أو حياة بيبرس، ولابد أولا من الإشارة إلى أن سيرة الملك الظاهر لم تصل كاملة كما يقول

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١،ص٤٥.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١،ص٤٣.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٣،ق١،ص٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

محققها أحمد حطيط، بل فقد الجزء الأول منها ولم يصل إلا الجزء الثاني[1]، ويأتي هذا الكتاب على حياة الملك الظاهر وجميع تحركاته في عصر شهدت المنطقة العربية فيه صراعاً مريراً بين المسلمين والفرنجيين من جهة وبين المسلمين والمغول من جهة أخرى[2].

مصادر كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر:

تكاد تكون المصادر التي اعتمد عليها ابن شداد في كتابه هي المشاهدات في غالبية الكتاب، وذلك بحكم مرافقته للسلطان بيبرس فترة طويلة من الزمن، فجاء نقله للأحداث دقيقاً ليس له مثيل في المصادر التاريخية الأخرى التي كتبت عن الملك الظاهر، وإذا لم يكن حاضراً على حادثة ما فكان يلجأ إلى مصدر ثانوي في نقلها كالسماع أو القراءة[3]، وفي حال إيراده لحادثة استند في نقلها على السماع أو القراءة فإنه يسمي المصدر الذي أخذ عنه هذه الحادثة، كقوله: "حكى لي (فلان)" أو "حكى لي من أثق به" أو "ما حكاه لي (فلان) "إلى غير ذلك من الألفاظ الدالة على أنه لم يكن مشاهداً لتلك الحادثة.

(١) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط،(د.م)،(د.ن)،(د.ت)،مقدمة التحقيق ص١٨، وسيشار إليه لاحقا: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر.

(٢) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٥١.

(٣) ابن شداد المصدر نفسه، ص١٩٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أهمية كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر:

قام ابن شداد في كتابه هذا بتسليط الضوء على مرحلة هامة ومفصلية من حياة دولة المماليك في عهد الظاهر بيبرس، أضف إلى ذلك الترجمة المفصلة للملك الظاهر وكثير من الأعلام والأعيان في تلك الفترة والذين ترجم لهم ابن شداد في ثنايا كتابه(١).

وبما أن الكتاب قد عنون "بسيرة الملك الظاهر" فمن الطبيعي أن يكون الكلام الأغلب فيه عن السلطان بيبرس، وهذا ما قام به المؤلف فعلاً حيث أنه رصد كافة تحركات السلطان بيبرس ونشاطاته سواء على الصعيد الداخلي أم الخارجي، أضف لذلك ما خصصه المؤلف من أبواب في ذكر سجاياه وأخلاقه، فعن عدل السلطان بيبرس وانقياده للشرع يذكر ابن شداد ذلك بقوله:" لما ملك – تغمده الله برحمته – اسبغ ملابس العدل على الرعايا، واستسن بسنة العمرين في جميع القضايا"(٢)، وعن عفوه وصفحه، يقول: " كان قد اتخذ عفوه عن المسيء إلى عفو الله سلما، وجعله ذخيرة عنده ليوم يقدم فيه مستسلما(٣)، ثم يذكر حوادث كثيرة، حصلت مع اناس كان

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، مقدمة المحقق،ص٢٦.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ص ٢٧٨

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بينهم وبين السلطان بيبرس منازعات قبل أن يتسلم المُلك فلما تسلم الملك استدعاهم وأكرمهم وعفا عنهم(١).

ويذكر أموراً كثيرة امتاز بها السلطان بيبرس كالمواهب والعطايا التي كان يمنحها للرعايا(٢)، وهيبته ومنزلته في قلوب رعيته لما كان له من أيد بيضاء اسبغها عليهم(٣)، إلى غير ذلك من الصفات الحسنة والطبائع السليمة التي امتاز بها السلطان بيبرس، وقد أوردها ابن شداد مفصلة مدللاً على كل صفة بحادثة أو واقعة تؤكد على صحة ما ذهب اليه.

وبالنسبة لتحركات الظاهر بيبرس، فقد قام ابن شداد بتسجيل الكثير منها، وكانت كلها في سبيل الدفاع عن حمى أرض الإسلام، فذكر توجهه إلى الشام مع الأمراء والخواص وكيف شن الغارات على عكا وهو في طريقه إلى دمشق، مما أدى إلى خروج الرسل منها يطلبون منه الموادعة والصلح(٤)، ويذكر ابن شداد توجه السلطان بيبرس إلى الكرك على إثر وقوع برج من أبراجها فأراد أن يكون شاهداً على إصلاحه(٥)، مما يدل على حرصه الشديد على تفقد أحوال مملكته والاهتمام بما مهما اتسعت.

---

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢٩٥.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٣٠٩.

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٣٣.

(٥) ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما وهناك زاوية مهمة أوردها ابن شداد ما قام به الملك الظاهر من عقوبات بحق من استباحوا الحرمات. حيث أن الملك بيبرس قد قام بشنق شخص يدعى الطوشي صدر الباز لما أقدم عليه من معاقرة الخمر بعد أن أصدر الملك أوامره بمنعها في البلاد(١). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صلاح عقيدة الملك الظاهر وإقامته لشرع الله في أرضه.

وعن التحركات التي قام بها الملك الظاهر من تسيير الجيوش واستئصال شأفة العدو، يذكر ابن شداد ما قام به الملك الظاهر من توجيه العساكر الى الشام وذلك بسبب ورود الأخبار بتحرك التتار باتجاه بلاد الشام، فأخرج العسكر ووضع الأمير شمس الدين سنقر جاه أميرا عليهم(٢)، ومن تلك التحركات توجه الملك الظاهر بجيشه لملاقاة الروم عند نهر جيحان، وما كان في تلك الواقعة من قتل في صفوف المسلمين والروم(٣)، ومن الأحداث المهمة في هذا الجانب تَوجه الملك الظاهر إلى الشام قاصداً مدينة سيس لتأديب الأرمن، وقد أعمل الملك فيهم السيف فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر خلقاً لا يحصى، وعاد جيشه غانمين البقر والغنم وغير ذلك(٤).

(١) ابن شداد، المصدر نفسه،ص١٣٣.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٥٤

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٧٢

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ص ١٠٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن انجازات الملك الظاهر في المجال الديني يورد ابن شداد الأعمال التي قام بها الملك كبناء الجوامع وكسوة الكعبة، فيذكر بناءه للجامع الذي بدير الطين ظاهر مصر[١]، وعن اهتمام الملك بقبلة المسلمين يقول ابن شداد:" سيّر الملك الظاهر الأمير عماد الدين يوسف بن أبي زكري بكسوة الكعبة، وكان ذلك سنة اربع وسبعين وستمائة[٢]، مما جعل رتبة الملك الظاهر أعلى من سلاطين البلاد الإسلامية الأخرى لحرصه على رفع لواء الإسلام.

وقد كان ابن شداد يذكر اثناء كلامه عن تحركات الملك الظاهر وتنقلاته حسب السنين، تراجم لأعلام كثر ممن وافتهم المنية، ويرتبهم على حروف المعجم، فيذكر ضمن من توفي سنة سبعين وستمائة أزدمر الأمير الكبير بدر الدين، ويتابع ترجمته حتى يأتي على غيره من توفي في تلك السنة ذاكرا تحركاتهم واتصالهم بالملك الظاهر، ويذكر كذلك وفيات سنة احدى وسبعين وستمائة[٣]، وسنة اثنتين وسبعين[٤]، وثلاث وسبعين[٥] واربع وسبعين[٦]، وخمس وسبعين[٧] إلى ان يصل إلى وفاة الملك الظاهر والتي كانت سنة ست وسبعين وستمائة فيذكر مرضه

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٧٤

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٣٧

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٦٤

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ص ٨٣

(٥) ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٠٩

(٦) ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٣٩

(٧) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأعراض التي انتابته بقوله: " لما كان يوم الخميس رابع عشر المحرم، جلس بالجوسعه كعادته لشرب الخمر وبات على هذه الحالة وحمله شدة السرور والفرح وحصول البغية والمقترح على أن زاد على نفسه، وتعدى القدر الذي يحصل للنفس غرضها، فأحس منها فتور التوعك صبيحة يوم الجمعة.. ولم يزل كذلك إلى أن جنحت الشمس للغروب فعاد للجوسق فلما أصبح اشتكى حرارة بطنه، فصنع له بعض خواصه دواء لم يكن عن رأي طبيب، ليسكن عنه ما به من لهيب فلم ينجح.. وضعفت قواه، فتخيل خواصه أن كبده تقطع، وأن ذلك كان عن سم سقيه فعولج بالجواهر.. ثم جهده المرض إلى أن قضى نحبه..."(١).

وبهذا يختم ابن شداد كتابه، مفصلا القول في سيرة ملك أظهر الحق في فترة عصيبة على الأمة الإسلامية، وقد انصف المؤلف الملك الظاهر وذكر ما كان منه سواءً الإحسان أو الإساءة.

منهج ابن شداد وأسلوبه في كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر:

لقد جارى ابن شداد في كتابه ما كان سائدا في عصره من أصول الكتابة بما أن الكتابة في ذاك العصر كانت تتخذ منهجين وهما التاريخ حسب السنين أو التاريخ حسب الموضوعات، فقد ظهر من خلال الكتاب أن ابن شداد قد اتخذ المنهجين عند كتابته لسيرة الملك الظاهر،فذكر الأحداث مرتبة حسب السنين، حيث كان يورد

(١) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السنة وما فيها من أحداث خاصة بالملك الظاهر، أو من كان لـــه علاقـــة بالملـــك الظاهر، فيذكر الحادثة مفصلة في السنة والشهر واليوم، وقد زاد على ذلك أنه كان يضع عنوان الحادثة كذلك و كان العنوان يتناول مضمون تلك الحادثة، مما ييســـر على الباحث المهمة في تناول أية حادثة.

أما أسلوبه فقد كان عاديا كغيرة من المؤرخين، وتظهر في الكتاب ســـيطرة المحسنات اللفظية على كثير من الجمل، مما جعلها جملا غيـــر طبيعيـــة وعديمـــة المعنى في بعض الأحيان، وبما أن ابن شداد كان واسع الثقافة فإنه كان غالبـــا مـــا يطيل الحديث عن أمر ما مستطردا إلى أمور أخرى غير داخلة في صلب الموضوع الأساسي الذي عنون له[1].

(١) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، مقدمة المحقق،ص٢٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابـــــن خلِّكـــــــان

سيرة ابن خلكان (٦٠٨هـ/١٢١١م-٦٨٩هـ/١١٩٣م)

ولد أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن بكر المعروف بابن خلكـان[١]، في مدينة إربيل بالمدرسة المظفرية، حيث كان والده يقطن فيها، وكانت العـادة أن المدرسين يقطنون في المدارس التي يُقرؤون بها. وكان مولده في الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة[٢]، فقد عُرفت أسرة ابن خلكان بالعلم والفقه والأدب، فهو يذكر أن جده أبا بكر كان من رواد حلقة الفقيه أبي اسحق الشيرازي وهـو أول شخص من هذه الأسرة يسير في اتجاه دراسة علم الفقه إلى أن توفي بحـدود سـنة (٥٢٥هـ/١١٣١م)، بعد أن عمر ما يقارب التسعين عاماً[٣].

وأما والد ابن خلكان فهو شهاب الدين محمد وقيل بهاء الدين محمـد[٤] ولـد بحدود سنة (٥٥٧هـ/١١٦٢م)، وقد أخذ الفقه عن العماد بـن يـونس بـن منعـة بالموصل، وابن فضلات ببغداد، وعين مدرساً بالمدرسة النظامية ببغداد، ثم عاد إلى الموصل ومن الموصل زار العراق والشام والحجاز ومصر، ونتيجة هذه الرحلات

---

(١) خلكان: قرية من عمل إربل، . الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم ت(٧٧٢هـ/١٣٧٧م)، طبقات الشافعية، تحقيق، عبد الله الجبوري، بغداد ، (د.ن)،ج١، ١٩٧٠م، ص٤٩٥. وسيشار إليه لاحقا: الأسنوي، طبقات الشافعية، الخوانساري، روضات الجنات، ص٨٧ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣٠٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص ط

(٤) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ص٣١١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العلمية تعرف على كثير من العلماء والفقهاء والأدباء والمؤرخين، نذكر منهم عز الدين ابن الأثير الجزري وأخوه ضياء الدين وبهاء الدين ابن شداد وغيرهم(١).

كما عمل عند صاحب إربل كوكيوري مفتياً، فضلاً عن عمله مدرساً بالمدرسة المظفرية، وكانت أم شمس الدين ابن خلكان من الموصل تدعى آمنة، وكان والدها شيخاً للطائفة الحنفية في الموصل يلقب شمس الدين(٢)، وكان لشمس الدين ابن خلكان أخوان الأول محمد الملقب بهاء الدين وكان مولده بإربل سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٧م)، وقد درس الفقه والأدب وتتلمذ على يدي كثير من العلماء منهم الشيخ أحمد بن منعه وغيرهم، وتولى قضاء بعلبك، وتوفي فيها سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م)(٣).

والأخ الثاني لشمس الدين ابن خلكان هو ضياء الدين عيسى الذي وُلد في إربل ونشأ فيها ودرس على شيوخها، ثم ارتحل إلى حلب لطلب العلم ودرس هناك على يد بهاء الدين ابن شداد، وتوفي سنة (٦٨٤هـ /١٢٨٥م) في بعلبك.

ثقافة شمس الدين ابن خلكان وشيوخه وتلاميذه:

في البداية تحدثنا عن مولده الذي كان في المدرسة المظفرية حيث كان يقطن والده، وبالتالي فإن مولده كان في بيئة علمية صرفة، فالمدرسة تشتمل على العلماء

(١) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١،ص٤٩٦.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، المقدمة، ص ط.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣،ص٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والفقهاء من ذوي التخصصات المختلفة، وبالتالي انعكس ذلك في ثقافته. وبعد وفاة أبيه وكان عمره آنذاك سنتين، رعاه واخوته أصدقاء والده من المدرسين، كما نالوا قسطاً وافراً من اهتمام الملك المظفر كوكيوري، وقد ذكر ذلك شمس الدين ابن خلكان في ترجمته للملك كوكيوري في تاريخه: "..وليعذر الواقف على هذه الترجمة، ففيها تطويل، لم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا تقدر على القيام بشكر بعضها، ولو عملنا مهما عملنا، وشكر المنعم واجب، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، فكم له علينا من الأيادي، ولأسلافه على أسلافنا من الأنعام، والإنسان صنيعة الإحسان، ومع الاعتراف بجميله، فلم أذكر عنه شيئاً على سبيل المبالغة، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان"(١).

وبالتالي فإن هذه الرعاية انعكست على مواصلة شمس الدين ابن خلكان على مواصلة علمه، فتردد إلى حلقة الشيخ كمال الدين أحمد بن منعة ت(٦٣١هـ/١٢٣٤م)(٢) وحضر دروسه في المدرسة المظفرية، وهنا يقول شمس الدين ابن خلكان: "وكنت أحضر دروسه وأنا صغير وما سمعت أحداً يلقي الدروس مثله"(٣).

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤،ص١٢٠

(٢) شرف الدين أبو الفضل أحمد كمال الدين بن منعه بن مالك بن قيس بن إبراهيم الإربلي من بيت الرياسة والفضل والمقدمين بإربل، تولى التدريس بالمدرسة المظفرية بإربل. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص١٠٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص١٠٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما تتلمذ على الشيخ أبي البركات شرف الدين بن المستوفي [1] وسمع "صحيح البخاري" على الشيخ أبي جعفر محمد بن هبة الله بن مكرم الصوفي البغدادي[2].كما سمع عن الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري، يقول شمس الدين ابن خلكان: " ولقد جاءنا الشيخ أثير الدين من الموصل إلى إربل في ست وعشرين وستمائة وقبلها في خمس وعشرين وستمائه ونزل بدار الحديث، وكنت اشتغل بشيء من الخلاف[3]، كما التقى بعدد من اللغويين والنحويين والشعراء، وكان من جملة من التقى بهم الشاعر الأيوبي ابن عنين الذي التقاه وهو في سن الخامسة عشرة ولكنه لم يأخذ عنه لقصر المدة التي قضاها هذا الشاعر في إربل[4].

كما التقى في سنة ٦٢٣هـ، بالشيخ عبد الرحمن الواسطي وبالشيخ جمال الدين ابن السنينيرة الشاعر، وبالشيخ أبي الخطاب ابن دحية[5]. وفي سن الثامنة عشر ارتحل شمس الدين ابن خلكان الى حلب لطلب العلم، وقد ذكر الصفدي

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص١٤٧-١٤٩.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٦، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٣٠٨، الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١١٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الوفيات، ج٥،ص٣١٣.

(٤) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٥،ص١٥

(٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج١،ص٢١٥،ص٢١١-٢١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والسبكي والكتبي أن شمس الدين ابن خلكان تفقه على شيخ حلب الكمال ابن يونس[١] إلا أنه نفى ذلك بقوله: "ولم يتفق لي الأخذ عنه"[٢].

كما ذكر شمس الدين ابن خلكان أنه كان يتشوق للقاء صديق والده واحد كبراء علماء حلب ضياء الدين ابن الأثير أخو عز الدين ابن الأثير المؤرخ المعروف، والذي صنّف كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وكتباً أخرى، ولكنه لم يوفق في لقائه[٣]. وقد وصف شمس الدين ابن خلكان حلب آنذاك بقوله: "أم البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين"[٤] كما وصفها بأنها مقصد للفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة كثر الجمع بها[٥].

وفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) توجه شمس الدين ابن خلكان إلى حلب قاصداً صديقيّ والده قاضي حلب بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن شداد، والمؤرخ المعروف عز الدين ابن الأثير حاملاً توصية من الملك المظفر كوكيوري مفاده: "أن تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين، وأنهما ولدا أخي وولدا أخيك، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد الوصية.."[٦] ويذكر ابن الأثير أن القاضي أبو المحاسن بن شداد تلقاهم

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣٠٨، الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١١٠، السبكي، طبقات الشافعية، ج٥،ص١٤.

(٢) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥،ص٣١١.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥،ص٣٩١

(٤) ابن خلكان، المصدر السابق،ج٧،ص٤٨.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٩٠.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالقبول والإكرام وأنزلهم في مدرسته ورتب لهم أعلى الوظائف والحقهم بالكبار مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتعال[1] وكان برفقة شمس الدين ابن خلكان أخوه بهاء الدين محمد. ويذكر شمس الدين ابن خلكان ان ابن شداد كان طاعناً في السن ورغم ذلك فقد سمع عليه الحديث.

كما قرأ وأخيه على آخرين في مدرسة ابن شداد كالشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني، الذي استمر في القراءة عليه حتى مماته في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة[2].

كما درس شمس الدين على الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن علي المعروف بإبن الخباز الموصلي الفقيه الإمام [3]، وكان يدرس في المدرسة السيفية، وقد قرأ عليه من أول كتاب الوجيز للغزالي إلى الأقدار[4].

والتقى شمس الدين ابن خلكان بالمؤرخ الكبير عز الدين ابن الأثير الذي كان يقيم ضيفاً عند الطواشي شهاب الدين ابي سعيد طغرل أتابك الملك العزيز محمد بن عبد الملك الظاهر غازي ويقول ابن خلكان عن ذلك: "واجتمعت به، فوجدته رجلاً مكملاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع. فلازمت الترداد إليه وكان بينه

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٧،ص٩٠-٩١.

(٢) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٤،ص٢٥٣،ج٧،ص٩٠.

(٣) الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ابن علي المعروف بابن الخباز ولد بالموصل سنة ٥٥٥هـ وتوفي في حلب سنة ٦٣١ هـ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص١٠٠.

(٤) ابن خلكان، المصدر السابق،ج٧،ص٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبين الوالد مؤانسة أكيدة. فكان بسببها يبالغ في الرعاية والإكرام، ثم أنه سافر إلى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين، ثم عاد إلى حلب في أثناء سنة ثمانٍ وعشرين فجريت معه على عادة التردد والملازمة، وأقام قليلاً ثم توجه إلى الموصل"[1]، ويعد ابن خلكان عز الدين ابن الأثير من شيوخه.

ودرس شمس الدين ابن خلكان على الفقيه عبد اللطيف موفق الدين البغدادي الذي نزل حلب سنة ست وعشرين وستمائة ودرّس في جامعها الكبير[2] كما درس على الشيخ موفق الدين ابن يعيش بن علي النحوي المعروف بابن الصايغ[3].

وبعد وفاة القاضي ابن شداد ارتحل ابن خلكان إلى دمشق التي كانت هي الأخرى منارة من منارات العلم آنذاك، والتقى بمفتيها التقي ابن الصلاح الشهرزوري الدمشقي، وكان يدرس الحديث في المدرسة الأشرفية، وقد لازمه ابن خلكان لمدة سنة ونصف ويعده ابن خلكان بأنه أحد شيوخه.

وبعد أن قضى بدمشق سنة كاملة عاد إلى مدينة حلب والتقى شمس الدين ابن خلكان باللغوي عون الدين ابو الربيع سليمان العجمي وأخذ عنه وكان ينعته بعبارة

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٤٩. الشميساني، شمس الدين ابن خلكان، ، ص٤٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨، ج٦،ص٧٦، وانظر الشميساني، ابن خلكان، ص٤٦.

(٣) الشيخ موفق الدين ابن يعيش بن علي النحوي ت(٦٤٣هـ)، وله شرح كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٤٦-٤٩،ج٧،ص٥٢. السبكي، طبقات الشافعية، ج٥،ص١٤، الشميساني، ابن خلكان، ص٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"صاحبنا ورفيقنا بالاشتغال"[1]، وكذلك التقى بأبي المحاسن شهاب الدين الشوّاء، ويقول شمس الدين ابن خلكان عن علاقته بأبي المحاسن: "وكان بيني وبين الشهاب الشوّاء صداقة أكيدة ومؤانسة كثيرة، ولنا اجتماعات في مجالس نتذاكر فيها الأدب...، وأنشدني كثيراً من شعره"[2]، وقد اشتهر شهاب الدين الشوّاء بعلمه بفن العروض والقوافي، وكان شاعراً مبدعاً[3]، أخذ عنه ابن خلكان كثيراً في هذا المجال.

كما التقى في حلب صديقه كمال الدين ابن الشعار وأنشده القصيدة التي قالها في مدح الملك الكامل صاحب دمشق وكان إنشاده لها في جمادى الآخرة من سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)[4]. كما تعرف بحلب على الشاعر الملقب بشيطان الشام واسمه ابو العز يوسف بن النفيس الإربلي، وقامت بينهما مودة وصداقة، كذلك نجد ابن خلكان يدعوه"صاحبنا"[5].

وفي سنة ٦٣٥هـ، ارتحل ابن خلكان إلى القاهرة كما يذكر في ترجمة شيخه ابن شداد[6] ولكن بروكلمان يذكر أنه ذهب إلى القاهرة عام (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)،

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص٢٥١.

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٧،ص٢٣١-٢٣٢.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق ص٢٣١.

(٤) شميساني، ابن خلكان، ص٥٢

(٥) ابو العز يوسف بن النفيس الإربلي ولد بإربل سنة ٥٨٦هـ وتوفي بالموصل سنة ٦٣٨هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤،ص١٥١.

(٦) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٧،ص١٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وصار هناك نائباً لقاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن بن علي المعروف بقاضي سنجار المتوفى سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) بالقاهرة[١].

والتقى بمصر بالعلماء والأدباء ومنهم الشاعر بهاء الدين زهير بن محمد المهلبي، واجتمع به وأنشده البهاء كثيراً من شعره، وأجازه رواية ديوانه[٢]، كما التقى بالقاهرة بالشيخ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري صاحب كتاب التكملة لوفيات النقلة " وسمع منه وقرأ عليه[٣]، وأفاد ابن خلكان من كتابه في تحديد سنة وفاة بعض الذين ترجم لهم[٤]، كما لقي ابن خلكان بمصر كثيراً من أصحاب ابن بري العالم المشهور في النحو واللغة والرواية، وأخذ عنهم رواية وإجازة دون أن يسمي أحداً منهم[٥]، ولقي أيضا ابن بركات الخشوعي الذي أجازه جميع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٢٧٥.

(٢) أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين المهلبي، العتكي الملقب بهاء الدين الكاتب، من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وحظاً ومن أكبرهم مروءة توفي سنة ٦٥٦ هـ بالقاهرة، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص٢٧٧-٢٨٢.

(٣) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعيد الحافظ الإمام زكي الدين ابو محمد المنذري المصري الشافعي ولد سنة ٥٨١هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ بالقاهرة، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص١٢٢، الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٦٦-٣٦٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢١٢.

(٤) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج١، ص١٢٢.

(٥) ابن بري، ابو محمد عبد الله بن ابي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل، المصري، الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية، ولد بمصر سنة ٤٩٩هـ وتوفي فيها سنة ٥٨٢هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣،ص٨٩-٩٠.

مسموعاته وإجازاته من أبيه بركات[1] كما يذكر ابن خلكان أنه اجتمع بجماعة من أصحاب ابن الظاهر المذكور وسمع عليهم وأجازوه[2].

وفي بعض شهور سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، ارتحل إلى الإسكندرية ومكث فيها مدة خمسة شهور[3]، وفيها لقي أحد الحساب وشرح له قضية الشطرنج[4].

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، نجد أن ابن خلكان في القاهرة حينما دخلها الملك الصالح الأيوبي بن الملك الكامل وبرفقته الملك الناصر صاحب الكرك[5]، وفي أوائل سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) قدم إلى مصر جمال الدين يحيى بن عيسى بن مطروح، الذي عيّنه السلطان الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل الأيوبي ناظراً في الخزانة، وجرت بينه وبين ابن خلكان مودة ومكاتبات، ومجالس جرت فيها مذاكرات أدبية، وأنشده ابن مطروح أكثر ديوان شعره[6].

© Arabic Digital Library Yarmouk University

(١) بركات الخشوعي، ابو الطاهر ابن الشيخ ابي اسحق إبراهيم ابن الشيخ ابي الفضل طاهر بن بركات بن إبراهيم الخشوعي، كانت له سماعات عالية، وإجازات تفرد بها، وكان مولده بدمشق سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٨بدمشق. ابن خلكان، المصدر نفسه، ج١،ص٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ص٢٦٣.

(٣) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص١٣٣.

(٤) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص٣٥٨.

(٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص٣٣١.

(٦) ابن مطروح، ابو الحسن يحيى عيسى بن إبراهيم بن مطروح الملقب جمال الدين، من أهل صعيد مصر، اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أيوب، وكانت بينه وبين بهاء الدين زهير صحبةقديمة حتى كانا كالأخوين، وقد توفي سنة ٦٤٩هـ بمصر وقيل سنة ٦٥٠هـ، وقيل سنة ٦٥٤هـ، ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٥،ص٢١٦-٢٢٣.

وتزوج ابن خلكان بالقاهرة، ورزق بابن سمّاه موسى[1]، وكان مولد موسى في بكرة يوم السبت حادي عشر صفر سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) بالقاهرة، وقد سمّاه هذا الاسم تيمناً باسم استاذه كمال الدين موسى بن يونس بن منعه، ويقول ابن خلكان أن موسى ولده الأكبر، ممّا يدل على أنه رزق أولاداً آخرين ولكن لا توجد معلومات عنهم[2].

وفي سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م)، توجه ابن خلكان برفقة السلطان الظاهر بيبرس إلى دمشق، وبعد وصولهم دمشق بشهر عزل السلطان قاضي قضاة الديار الشامية نجم الدين أبي بكر بن أحمد بن شمس الدين بن هبة الله بن سني الدولة ت(٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، وأمره السلطان بالسفر إلى مصر، وكان حاكماً جائراً فاجراً، ظالماً متعدياً فاستراح منه العباد والبلاد[3] وتولى القضاء شمس الدين ابن خلكان[4] حيث قرئ بالشباك الكمالي بجامع دمشق يوم الجمعة تقليد القضاء لابن خلكان والذي يتضمن تفويضه بالحكم في جميع بلاد الشام من العريش إلى سلمية يستنيب فيها من يراه، كما فوض إليه النظر في أوقاف الجامع والمصالح والبيمارستان والمدارس

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٥،ص٣١٧.
(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص٢٥٨.
(٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج٥،ص٣٢٧.
(٤) اليونيني، مرآة الزمان، ص١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وغيرها مما كان تحت يد الحاكم المعزول، وفوض إليه تدريس سبع مدارس وهي: العذراوية والعادلية والناصرية والفلكية والركنية والإقبالية والبهنسية [١].

وبدأ ابن خلكان بممارسة ما فوض إليه من مهام كثيرة، من تعيين نواب له في البلاد[٢]، وضبط للأوقاف، وتعيين معيدين في المدارس، وتنظيم الدوائر والإدارة والبيمارستان النوري[٣] والتواصل مع الأعيان والعلماء والتعرف عليهم[٤].

وبالنسبة للمدارس السبع التي فوض التدريس فيها فقد عين لها المدرسين، نظراً لعدم قدرته التدريس في جميع هذه المدارس وأول مدرسة عين لها مدرساً نائباً عنه هي المدرسة الركنية وهو الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة المتوفى سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، وكان ابن خلكان من المستمعين إلى درسه الأول وكان من مختصر المزني[٥]. كذلك عين ابن خلكان بدر الدين المراغي المعروف بالطويل مدرساً في المدرسة العادلية السيفية وكفل له الإقامة بها، ولكن مدته فيها لم تطُل إذ توفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)[٦].

---

(١) أبو شامة، المصدر السابق، ص٣٢٨.

(٢) عُرف من هؤلاء النواب على القضاء، النائب علي بن محمود الشهرزوري الكردي الملقب شمس الدين ت(٦٧٥هـ)، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١،ص٤٤١.

(٣) النعيمي، المصدر السابق، ج١،ص١٩٢.

(٤) اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، ج٢،ص١٦٥.

(٥) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج٥،ص٣٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٥.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤،ص٢٥٧-٢٥٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كما عين ابن خلكان الشيخ محيي الدين اللوادي مدرساً في المدرسة الركنية الجوانية الشافعية، وفي المدرسة الناصرية الجوانية الشافعية وبقي في وظيفته حتى سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م)[١].

وفي عام (٦٦٤هـ/١٢٦٦م)، أجرى الملك الظاهر بيبرس تغييراً في نظام القضاء بدمشق، وصار لكل مذهب قاضٍ، وأصدر مرسوماً بأن يكون ابن خلكان قاضي قضاة الشافعية[٢].

وظل ابن خلكان يمارس القضاء، ويمارس التدريس في المدرسة العادلية الكبرى التي سكن بها، حتى سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م) حيث عُزل عن القضاء وولي مكانه القاضي عز الدين أبا المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصاري. المعروف بابن الصائغ. وقد قيل في سبب عزله أن وزير الملك الظاهر بيبرس بهاء الدين بن حنا كان يخشى تولي ابن خلكان الوزارة بسبب قيامه بتأليف كتاب تاريخي لسلالة الظاهر ونسبه، وقد أعجب به الملك الظاهر وقال أن ابن خلكان يصلح أن يكون وزيراً، مما أثار حفيظة ابن حنا،وسعى إلى عزل ابن خلكان وتم له ذلك سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م) وبعد عزل ابن خلكان عن القضاء، عاد إلى القاهرة في شهر ذي القعدة من سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م)، وأخذ يبحث عن مصدر للرزق فدرس في

(١) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١،ص١٦١

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤٦، ابو شامة، الذيل على الروضتين، ج٥،ص٣٥٦-٣٥٧.
الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٣٠٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المدرسة الفخرية بعد أن عانى من ضائقة مالية كبيرة تحدثت عنها معظم المصادر التي ترجمت له[١]

وفي سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، انفرج الغم عن ابن خلكان بعد أن كتب تقليده بقضاء دمشق وأعمالها من العريش إلى سلمية وحضر عن السلطان الملك السعيد الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه الملك الظاهر بيبرس لابساً للخلعة، ثم توجه إلى دمشق ودخلها سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، وبعد عزل دام سبع سنين ، واستقبل فيها استقبال الحكام، وجلس في منصبه، وهنأته الشعراء بعدة قصائد[٢].

وشهد ابن خلكان سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، افتتاح المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك السعيد وسماها باسم والده الملك الظاهر بيبرس، وكانت المدرسة وقفاً على أصحاب الشافعية والحنفية، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين إسماعيل الفارقي صديق ابن خلكان وقد حضر ابن خلكان وابنه موسى درسه، أما مدرس الحنفية فكان صدر الدين سليمان الحنفي[٣].

(١) الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١١٢، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣١١. ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، مكة المكرمة، منشورات جامعة أم القرى، ج٢، ١٩٧٩م،ص٩٠-٩١، وسيشار إليه لاحقا : ابن تغري بردي ،المنهل الصافي.

(٢) الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١١١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣٠٩، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢،ص٩١، والنجوم الزاهرة، ج٧،ص٣٥٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٢٨٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي ذي القعدة من سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، فتحت المدرسة النجيبية، ودّرس فيها ابن خلكان ثم نزل عنها لابنه كمال الدين موسى، وكان صاحب المدرسة الخانقاه، قد جعل النظر في أوقافها إلى ابن خلكان[١]، وبقي ابن خلكان يسير الأمور دون منغصات قرابة الثلاث سنوات، إلى أن حدثت فتنة سنقر الأشقر.

وخلاصة فتنة سنقر الأشقر أن الأخير تولى نيابة السلطنة بدمشق بعد عز الدين أيدمر سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م)، ثم ادعى لنفسه الاستقلال بالسلطنة، وتلقب بالملك الكامل وبايعه القضاة والأعيان، وقد شجعه على الاستغلال اضطراب الأوضاع بمصر نتيجة خلع الملك السعيد، وتولية أخيه الملك العادل سلامش وكان عمره يومئذ سبع سنوات، ثم عزله ومبايعة قلاوون الصالحي، فلم يرض ذلك سنقر الأشقر وأراد الاستقلال بالسلطنة، وعندئذ أرسل إليه المنصور قلاوون جيشاً بقيادة علم الدين سنجر الحلبي، فكانت الهزيمة حليفة سنقر الأشقر[٢].

ومن ضمن الذين بايعوا سنقر الأشقر ابن خلكان، وقد أضاف سنقر الأشقر إلى ابن خلكان في مطلع سنة (٦٧٩هـ/١٢٣٠م) مكافأة له على مبايعته البلاد الحلبية، وولاه التدريس بالمدرسة الأمينية بعد أن انتزعها من القاضي نجم الدين ابن سني الدولة [٣].

---

(١) ابن كثير، المصدر نفسه، ص٢٨٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣) ابن كثير، المصدر نفسه، ص٢٩٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولمّا هُزم سنقر الحلبي ودخل دمشق سنجر الحلبي، اعتقل ابن خلكان، وعزله، وعين مكانه القاضي ابن سني الدولة، وأجبره سنجر بأن يتحول من المدرسة العادلية ليسكنها ابن سني الدول ثم جاء البريد بكتاب من السلطان قلاوون يصفح فيه عن ابن خلكان ويشكره ويثني عليه، ففرح الناس بعودته إلى القضاء، والصفح عنه[1]، وفي ذي الحجة من سنة تسع وسبعين وستمائة جاء تقليد سلطاني آخر بإضافة البلاد الحلبية إليه[2].

وفي التاسع عشر من المحرم من عام (٦٨٠هـ/١٢٨١م)، قدم السلطان قلاوون إلى دمشق لغزو التتار في حمص، وفي التاسع والعشرين من محرم من العام نفسه عزل ابن خلكان عن القضاء وعين القاضي عز الدين بن الصائغ مكانه [3]، وبقي ابن خلكان يدرس في المدرسة الأمينية والنجيبية، ثم تخلى عن النجيبية لأبنه موسى وبقي يدرس في المدرسة الأمينية، وقيل أنه كان يتقاضى راتبا شهريا مقداره ثلاثمائة درهم[4]، وظل كذلك حتى ابتداء مرضه يوم ٢٢ رجب

(١) ابن كثير، المصدر نفسه، ص٢٩٠-٢٩١ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١٧٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ٢٩٢.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية، ج٥،،ص١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٣٠١ الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١١١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣١٠.

(٤) الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١١١، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥،ص٣٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سنة(٦٨١هـ/١٢٨٢م)، ولم يطل عليه المرض أكثر من أربعة أيام حتى أدركته الوفاة[١].

أما بالنسبة لتلاميذه فلم تذكر المصادر التي ترجمت لابن خلكان أسماء محددة مشهورة، لذلك لم يتم ذكر ذلك في هذه الدراسة.

ومن خلال ما تقدم نجد أن ابن خلكان تأثر بالشيوخ والعلماء المعاصرين له كعز الدين ابن الأثير ت(٦٣٠هـ/١٢٣٣م) في التاريخ والأنساب وبهاء الدين ابن شداد ت(٦٣٢هـ/١٢٣٥م) في الحديث والفقه والتاريخ وتقي الدين ابن الصلاح ت(٦٤٣هـ/١٢٤٥م) في الفقه والتفسير والحديث وبالموفق بن الصايغ ت(٦٤٣هـ/١٢٤٥م) بالنحو والأدب، وقد ظهر إتقانه لهذه العلوم في كتابه " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، كما شهدت له المصادر بالعلم والمعرفة كما سنذكر في رأي العلماء فيه لاحقا.

كان ابن خلكان شاعراً مميزاً ومحبا كثيرا للشعر ونظم الشعر[٢] ، وقيل أنه أعرف الناس في عصره بديوان المتنبي[٣]، ويذكر أن ابن خلكان كان يحفظ

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٩٣-٣٠١، السبكي، طبقات الشافعية، ج٥،ص١٤، ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب ت(٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، مطبعة دار الكتب،ج١، ١٩٧٦،ص٧٤.وسيشار إليه لاحقا: ابن حبيب، تذكرة النبيه.

(٢) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١،ص١٩٣.

(٣) ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، ص٢١١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

سبعةعشر ديوانا من الشعر[١]، وقد كان لصداقاته وعلاقاته مع كبار الشعراء من أمثال أبي المحاسن الشوا[٢] وابن مطروح[٣] وابن الخيمي[٤] والبهاء زهير[٥] أثر في حبه للشعر ونظمه.

وابن خلكان ليس ناظماً للشعر فحسب بل ناقداً أيضاً ولديه أحكاما نقديةً كثيرة في متون كتابه، فهو يعلق على شعر البحتري بقوله: "وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع، فلله دره! ما أسلس قياده، وأعذب الفاظه، وأحسن سبكه، وألطف مقاصده، وليس فيه من الحشو شيء، بل جميعه نخب، وديوانه موجود، وشعره سائر[٦].

وقال في ابن عنين: "كان خاتمة الشعراء، لم يأت بعده مثله، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به، ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل تفنن فيه "[٧].

كذلك أعجب بشعر مروان بن أبي حفصة، وخاصة قصيدته اللامية التي مدح فيها معن بن زائد الشيباني، وقصيدته هذه تقارب الستين بيتاً ومنها:

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٥٤.
(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٧،ص٢٣١-٢٣٢
(٣) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٦.
(٤) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٢،ص١٠٦، ٣٤٢.
(٥) العيني، عقد الجمان، ص١٨٧.
(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص٢٦ .
(٧) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٥،ص١٤،ص١٥،ص١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بنـــو مطر يـــوم اللقـــاء كأنهم اسود لهـم فـــي بطن خفان أشـبلُ
هـــم قوم أن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أصابوا وأجزلـوا

وعلق ابن خلكان عليها بقوله: "هذا لعمري هو السحر الحـلال المـنقح لفظـاً ومعنى، وحقّه أن يفضل على جميع شعراء عصره وغيرهم"(١)، كما نجده يردّ انتقاد المعري لشعر ابن هانئ حين وصف شعره بأنه يشبه رحى تطحن قرونـا، لأجـل القعقعة التي في الفاظه(٢) بقوله: "ولعمري ما أنصفه في هذا المقال وما حمله علـى هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي"(٣).

كما نجده يثني على الشاعر سبط ابن التعاويذي بقوله: "جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة، وفيما اعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه، ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل، فـإن هذا يختلف بميل الطباع"(٤).

منزلته العلمية وآراء العلماء فيه:

كان شمس الدين بن خلكان أديبا وشاعرا وناقدا بصيراً بالعربية، عالما فـي الفقه وأصوله والحديث والتاريخ والأدب نثرا وشعرا، فقد قال عنـه ابـن حبيـب:

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه ، ج٥،ص١٩٠-١٩١.
(٢)ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص٤٢٤.
(٣) ابن خلكان، المصدر نفسه، ص٦٦٦.
(٤) ابن خلكان، المصدر نفسه، ص.٤٦٦٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"علامّة خبيراً بأيام الناس والعرب وأخبارهم ووقائعهم، منفرداً في علم التاريخ "[١]، وقد روى عنه المزي والبرزالي[٢].

وشهد لابن خلكان المؤرخون فقال فيه ابن كثير: "أحد الأئمة الفضلاء، والسادة العلماء، والصدور الرؤساء"[٣] وقال فيه الصفدي: "وكان فاضلا بارعا متفننا عارفا بالمذهب، حسن الفتاوي، حسن القريحة، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة، فيه رياسة كبيرة"[٤].

وقال فيه ابن شاكر الكتبي" :وكان فاضلا بارعا متقنا، عارفا بالمنصب، حسن الفتاوي، بصيرا بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر المرحة "[٥].

ووصفه ابن تغري بردي: "بالإمام العلامة"[٦]، كما وصفه أيضا: "قاضي قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها"[٧]، كما قال عنه في موضع آخر في كتابه المنهل

(١) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١،ص٧٤.
(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣٠٨، الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١١٠.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص٣٠١.
(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣٠٨
(٥) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١١٠.
(٦) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢،ص٨٩.
(٧) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٧،ص٣٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصافي: "وحصل من كل علم طرفا جيدا، وبرع في الفقه والأصول والعربية وغير ذلك"(١).

كما قال فيه أيضا ابن تغري بردى: "وذكره الحافظ قطب الدين في تاريخه قال: كان إماما، عالما، أديبا بارعا، وحاكما عادلا، ومؤرخا جامعا، وذكره أيضا الحافظ ابو محمد البرازالي في معجمه وقال فيه : أحد علماء عصره المشهورين وسيد أدباء دهره المذكورين، جمع بين علوم جمة، فقه، وعربية، وتاريخ، ولغة، وغير ذلك... له يد طولى في علم اللغة، لم ير في وقته من يعرف ديوان المتنبي كمعرفته، وكان بمجلسه كثير الفوائد والتحقيق والبحث، لا يوجد فيه غير ذلك"(٢).

وقال فيه المقري صاحب نفح الطيب: "العالم الكبير"(٣) وقال فيه الزركلي صاحب الأعلام: "المؤرخ الحجة، والأديب الماهر"(٤) كما ذكره ابن العماد بقوله: "جمع حسن الصورة، وفصاحة المنطق، وغزارة الفضل، وثبات الجأش، ونزاهة النفس، وآخر الحرمة من سرورات الناس، كريما جوادا ممدحا، ومن محاسنة أنه كان لا يجسر أحد أن يذكر عنده أحدا بغيبة"(٥).

(١) ابن تغري بردى، المنهل الصافي، ج٢،ص٩٠

(٢) ابن تغري بردى، المصدر نفسه، ج٢،ص٩٢.

(٣) المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢٦.

(٤) الزركلي، الاعلام، ج١،ص٢٢٠.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥،ص٣٧١-٣٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أشهر مؤلفات ابن خلكان ومحتواها:

يعتبر كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل، او السماع، او اثبته العيان" المصنف الوحيد الذي صنفه ابن خلكان إلى جانب "مجاميع أدبية" ذكرها بعض المؤرخين الذين ترجموا لابن خلكان، فقال الصفدي: "له كتاب وفيات الأعيان.. وله مجاميع أدبية"[١] وقال الكتبي: "وصنف كتاب وفيات الأعيان.. وله مجاميع أدبية"[٢]، كما ذكروا أيضاً ان ابن خلكان الف كتابا في سيرة الظاهر بيبرس واوصل نسبه بجنكيز خان[٣].

وقد ابتدأ ابن خلكان كتابه " وفيات الأعيان " بخطبة وجيزة للتبرك بها ، بدأها بالحمد والثناء وهذا نهج سائر لدى معظم مؤرخي ذلك العصر، فقال: "يقول العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان، الشافعي، رحمه الله تعالى: بعد حمد الله الذي تفرد بالبقاء، وحكم على عباده بالموت والفناء، وكتب لكل نفس أجلا لا تجاوزه عند الانقضاء وسوى فيه بين الشريف والمشرف والأقوياء والضعفاء،..."[٤].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧،ص٣٠٨.

(٢) الكتبي، فوات الوفيات، ج١،ص١١٠.

(٣) الصفدي، المصدر السابق،ص١١٢، الكتبي، المصدر السابق،ص٣١١.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويذكر ابن خلكان السبب الذي جعله يؤلف هذا الكتاب بقوله: "هذا مختصر في التاريخ، دعاني الى جمعه اني كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم، ومن جمع منهم كل عصر، فوقع لي منه شيء حملني على الإستزادة وكثرة التتبع، فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن... وجعلته تذكرة لنفسي"(١).

عنوان الكتاب يدل على محتوياته، ففي البداية يذكر ابن خلكان انه كان ينوي تأليف كتاب كبير في التاريخ على شاكلة كتاب استاذه عز الدين ابن الأثير والمسمى كتاب "الكامل في التاريخ"، ولكنه ونظرا لانشغاله بوظيفة القضاء لم يستطع ان يكتب كتاب "التاريخ الكبير"، فاكتفى بكتاب وفيات الأعيان الذين اشتهروا حتى عصره(٢).

أما الخطوط العامة لمنهج الكتاب فيمكن إجمالها بالنقاط التالية

- رتب ابن خلكان كتابه على حروف المعجم، لأنه ايسر معه على السنين، والتزم فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة ثم من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها على غيره، فقدم إبراهيم على أحمد؛ لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء، واستمر بذلك إلى نهاية الكتاب، ليكون أسهل

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ص١٩-٢٠.

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٢،ص١٢٤، ج٥،ص٣٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للتناول، وإن كان يفضي إلى تأخير المتقدم، وتقديم المتأخر في العصر، وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين، وذلك لأن المصلحة أحوجت إليه.

- لم يذكر في كتابه أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا من التابعين رضي الله عنهم إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثيرة من الناس الى معرفة أحوالهم، وكذلك لم يذكر أحدا من الخلفاء اكتفاءً بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب(١).

- ذكر ابن خلكان جماعة ممن شاهدهم ونقل عنهم، وكذلك ممن كانوا في زمنه ولم يشاهدهم(٢).

- لم يقتصر ابن خلكان ترجمته لطائفة مخصوصة مثل العلماء، أو الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء أو الشعراء، بل تناول كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه مع الايجاز كيلا يطول الكتاب، وقد ذكر ابن خلكان انه حاول اثبات مولد ووفاة هؤلاء الأعيان أن قدر على ذلك، بالإضافة الى رفع نسبهم إن ظفر به(٣).

---

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه،ص٢٠.

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه،ص٢١.

(٣) ابن خلكان، المصدر نفسه،ص٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

-ذكر ابن خلكان في مقدمته أنه سيضبط الألفاظ التي يخشى تصحيفها والتي ترد في الترجمة للأعلام، أو النسب، أو الأماكن، وهذا بالتأكيد يغني الباحثين عن الرجوع إلى كثير من المصادر بضبطها(١).

-سجل ابن خلكان محاسن الأعيان الذين ترجم لهم، بالإضافة على ما يليق بهم من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكّه به متأمّله، ولا يراه مقصورا على أسلوب واحد فيمله (٢).

أما عن بدايات ابن خلكان في تأليفه لهذا الكتاب فيذكر في خطبة كتابه أنه ابتدأ به سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) بالقاهرة(٣)، ثم توقف عن الكتابة بسبب توليه للقضاء في دمشق سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م)، وكان قد وصل في الكتابه الى آخر ترجمة يحيى بن خالد بن برمك، ولما عُزل عن القضاء سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م)، عاد إلى القاهرة وأتم الكتاب بهذه الصورة وذلك سنة ٦٧٢هـ(٤).

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه،ص٢٣

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه،ص٢٣.

(٣) ابن خلكان، المصدر نفسه،ص٢١.

(٤) ابن خلكان، المصدر نفسه،ج٧،ص٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن خلكان، فنذكر انه اعتمد على نوعين من المصادر:

١- الكتب القديمة، وهنا يقول ابن خلكان: "فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن"(١).

٢- ما سمعه او شاهده بنفسه، وهنا يقول ابن خلكان: "وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم أجده في كتاب"(٢)، كما يقول: "...لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم.."(٣).

واذا تحدثنا عن النوع الأول من مصادر ابن خلكان، فإننا نجد أن الكتب التي رجع إليها كثيرة جدا، وقد ناهزت الأربعمائة كتاب، وأبرز هذه الكتب هي:

- جمهرة النسب لأبن الكلبي.
- الكامل في التاريخ وكتاب اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين ابن الأثير.
- النساب للسمعاني.
- الأعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام وكتاب الحماسة للبياسي.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- تاريخ بغداد لابن النجار.

---

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج١،ص١٩.

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج١،ص١٩.

(٣) ابن خلكان، المصدر نفسه،ج١،ص٢٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- تاريخ اربل لابن المستوفي .
- تاريخ دمشق لابن عساكر.
- تاريخ الأمم والملوك للطبري .
- سيرة صلاح الدين لابن شداد .
- ألاغاني لابي الفرج الأصفهاني.
- الحماسة لابي تمام .
- خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد.
- المعارف لابن قتيبة .
- يتيمة الدهر للثعالبي .
- الصحاح للجوهري.
- طبقات الفقهاء للشيرازي.
- جذوة المقتبس، للحميدي .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني.
- بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم.
- اخبرا قضاة مصر لابن زولاق.
- التاريخ الكبير، لابن ابي الطي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- طبقات الشعراء لدعبل .
- مروج الذهب للمسعودي.
- المطرب من اشعار اهل المغرب لابن دحية .
- المغرب في اشعار المغرب لابن سعيد المغربي .
- الدولة المنقطعة للأزدي.
- الجمع والبيان في أخبار القيروان، لعبد العزيز بن شداد.
- المقتبس في أخبار النحويين للمرزباني.

أما المصدر الثاني لابن خلكان وهو السماع والمشاهدة الشخصية فنجد ذلك في ثنايا كتابه بشكل واضح.

وقد بذل ابن خلكان جهدا كبيرا في تأليفه لهذا الكتاب وقد عبر عن هذه المشقة بقوله: "فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خللا فهو المثاب في إصلاحه بعد التثبت فيه، فإني بذلت الجهد في التقاطه من مضان الصحة، ولم أتساهل في نقله ممن لا يوثق به، بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة اليه"(١) ويقول في الخاتمة: "فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم، ورأى فيه شيئا من

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج١،ص٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخلل، فلا يعجل بالمؤاخذه فيه، فإني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي، لكن هـذا الجهد المقل، وبذل الاستطاعة وما يكلف الإنسان إلا ما تصل قدرته إليه"[1].

ونال هذا الكتاب "وفيات الأعيان" اهتمام وعناية المؤرخين والبـاحثين، فقـد اقبلوا على دراسته فاستدرك عليه البعض، واختصره اخرون، وذيل عليه الـبعض الاخر، فمن الذين استدركو عليه، نذكر:

- المؤرخ صلاح الدين خليل ابن ايبك المشهور بالصفدي ت(٧٦٤هـ/١٣٧٠م) في كتابه الوافي بالوفيات.
- محمد بن شاكر الكتبي ت (٧٦٤هـ/١٣٧٠م) في كتابه فوات الوفيات.

ومن المؤرخين الذين ذيّلو عليه نذكر:

- تاج الدين عبد الباقي عبد المجيد المخزومي المكـي ت(٧٤٣هـ/١٣٤٢م) بنحو ثلاثين ترجمة[2].
- زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت(٨٠٦هـ/١٤٠٤م) بنحو ثلاثين ترجمة[3]

(١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٧،ص٢٥٩.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢ ، ص٢٠١٨.

(٣) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ص٢٠١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- بدر الدين محمد بهادر بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي ت(٧٩٤هـ/١٣٩٢م)، وسماه "عقود الجمان في وفيات الأعيان"[١].

ومن الذين اختصروا كتابه نذكر:

- شمس الدين محمد بن احمد التركماني ت(٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وسماه: "الجنان في مختصرات وفيات الأعيان لابن خلكان"[٢].

- بدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي ت(٧٧٩هـ/١٣٩٥م) وسماه: معاني اهل البيان من وفيات ابن خلكان"[٣]

- ابراهيم بن مصطفى بن محمد الفرطي الشهير بوجدي السرومي ت(٥٢٠هـ/١١٢٦هـ)، وسماه التجريد بعون الرب المجيد"[٤].

كما نشير إلى أن هناك ثلاثة كتب تحمل الأسم نفسه وهي : كتاب " وفيات الأعيان " لمحمد بن علي الزملكاني [٥]، وكذلك كتاب " وفيات الأعيان " لأحمد بن

(١) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ص٢٠١٨.

(٢) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ص٢٠١٨.

(٣) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ص٢٠١٨.

(٤) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ص٢٠١٨.

(٥) البغدادي، اسماعيل باشا، إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون، عن اسامي الكتب والفنون،استانبول، (د.بن)،ج٢، ١٩٤٥-١٩٤٧، ص٧١٣، وسيشار إليه لاحقا: البغدادي، ايضاح المكنون.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حسن بن منقذ القسطميني[1] و "وفيات الأعيان من مذهب أبي حنيفة النعمان" لنجم الدين ابرهيم بن علي الطرسوسي، ت(٧٥٨هـ/١٣٥٦م)[2].

أما المآخذ التي أخذت على "وفيات الأعيان" لابن خلكان فهي:

- استطراده إلى حكايات ليست لها علاقة بالترجمة[3]
- اضطرابه في ترتيب الأشخاص حسب الأحرف الأبجدية، فقدم من أسمه "عبد الملك" على "عبد السلام"، و"عبد الصمد" على "عبد القاهر" و"عبد الكريم" على "عبد الجبار" و"عبد الوهاب" على "عبد الغني"[4].
- استخدامه لجملة الآتي ذكره" لبعض الأشخاص الذي يمر عليهم، بمعنى أنه ستأتي ترجمته، ثم لا تجد له ترجمة ومثال على ذلك عندما ذكر ابي بكر محمد بن علي بن احمد المعروف بالماذرائي، وزير خمارويه بن احمد بن طولون[5].
- قوله في ترجمة يحيى بن عبد الوهاب جده ابي عبد الله محمد"[6] ولم يرد شيء في ترجمة جده محمد بن يحيى بن عبد الوهاب منذه[7].

---

(١) البغدادي، ايضاح المكلون، ج٢،ص٧١٣.

(٢) حاجي خليفة، المصدر السابق، ج٢،ص٢٠١٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص٥٥٢-٥٥٨، ج٥،ص١١٩-١٣٦،ص٤٢٨-٤٣٣

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١،ص١٢

(٥) ابن خلكان،المصدر نفسه، ص١٢

(٦) ابن خلكان، المصدر نفسه، ص١٢

(٧) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٤،ص١١١-١١٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الرابع

© Yarmouk University

الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي

- أنواع الكتابة التاريخية
- منهج تصنيف المؤلفات التاريخية
- أساليب الكتابة التاريخية

أنواع الكتابة التاريخية

لقد قام مؤرخو القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي بتدوين الأحداث التاريخية ضمن أنواع متعددة من الكتابة ، فمنهم من كتب في التاريخ العام فتناول تاريخ البشرية منذ بدء الخلق مروراً بالأحداث التاريخية الكبرى وصولاً إلى التاريخ الإسلامي، حيث كان يتم التركيز عليه في أغلب الأحيان، ومنه من تناول تاريخ إقليم معين أو مدينة بعينها، ومنهم من تطرق إلى كتابة تاريخ بعض الدول الإسلامية، أو إلى سيرة ملك أو سلطان، أو ترجمة للأعلام والمشاهير، وهناك من جمع منهم بين هذه الأنواع فكتب في التاريخ العام وتاريخ الدول والسير.

علماً أن هذا التقسيم لم يكن مُلتزماً بشكل عام في أي نوع من أنواع الكتابة، فكتب التاريخ العام اشتملت على كثير من أنواع الكتابة التاريخية الأخرى، فتطرقت للتراجم مثلا وأرخت للمدن والدول والحكام، فهذا التقسيم إنما يكون لغرض تصنيف المؤلفات التاريخية كل ضمن حقله ليسهل تناوله ومعرفته ضمن إطار معين، وقد جاءت الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري ضمن الأنواع الآتية:

التاريخ العام أو العالمي:

اهتم مؤرخو بلاد الشام في القرن السابع الهجري بكتابة التاريخ العام، وقد بنيت منطلقاتهم في هذا النوع من الكتابة على الرؤية الإسلامية، لأنهم نظروا إلى الأمم السابقة وبالأخص بني اسرائيل وعرب الجاهلية من منظار إسلامي صرف،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد كانت الفترات السابقة للإسلام نوعاً من استكمال المعرفة وسد الفراغ بين مبدأ الخلق وظهور البعثة النبوية[١].

وفي هذا النوع من الكتابة التاريخية يبدأ المؤرخ كتابه بالحديث عن تاريخ العالم منذ بدء الخلق ثم يتوالى حديثه عن أمم ما قبل الإسلام بما في ذلك أمة العرب ذاكرا الأحداث الكبرى التي مرت في تاريخ البشرية، ثم يتابع أخبار العالم الإسلامي إلى عصره[٢]، ومن مؤرخي القرن السابع الهجري الذين كتبوا في التاريخ العام سبط ابن الجوزي شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي ت(٦٥٤هـ/١٢٥٦م) في كتابه " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان"، وهذا الكتاب يعد من أكبر التواريخ العامة الإسلامية حيث إنه يمتد من أول الزمان حتى سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، ومعظم الكتاب لا يزال مخطوطاً في مكتبات العالم.

وهناك كتب أخرى ألفت على نسق التاريخ العام في فترة الدراسة، إلاّ أنها لم تصل إلينا، فهناك كتاب "الدول"، الذي كتبه ياقوت الحموي وهذا الكتاب ضائع[٣]، وكذلك كتابي "معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم" و "المختار من عيون التاريخ" لأحمد

(١) مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج١،ص٨٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٤،ص٥٠٠.

(٣) البغدادي، هدية العارفين ، ص٥١٣..

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أصيبعة ت(٦٦٨هـ/١٢٦٩م)[١] وهما ضائعان كذلك[٢]، وكتاب "التاريخ على السنين" لجمال الدين علي بن يوسف القفطي ت(٦٤٦هـ/١٢٤٣م)[٣].

ويمكن القول بأنه كانت هناك دواعٍ لظهور هذا النوع من الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري ولعل أهمّها:

١. أن العرب كانوا قبل الإسلام لا يعرفون الوحدة السياسية أو الاجتماع تحت لواء دولة واحدة تجمع شملهم، ولكن بعد الاسلام توحد العرب وقويت شوكتهم واستفادوا من خبرات الأمم الأخرى في السياسة والإدارة، فأحست الأمة عند ذلك بحاجتها إلى معرفة تاريخها وتاريخ غيرها من الأمم.

٢. أن أغلبية المؤرخين كانوا أصحاب توجهات دينية، فقد كان هناك عدد لا بأس به من الفقهاء الذين كتبوا في التاريخ العام[٤]، مما يعزز ما جاء في القرآن الكريم

---

(١) هو أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي موفق الدين أبو العباس بن أبي اصيبعة ولد في الشام، كان طبيبا، مؤرخا، وله كتاب في الطب اسماه" عيون الأنباء في طبقات الأطباء" توفي في صرفد من بلاد الشام سنة ٦٦٨هـ، ابن كثير البداية والنهاية، ج١٣،ص٢٥٧، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٧،ص٢٢٩.

(٢) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١،ص٤١٣.

(٣) هو علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ابو الحسن جمال الدين، كان وزيرا مؤرخا، ولد في قفطه، من صعيد مصر، سكن حلب وتسلم فيها أمور القضاء زمن الملك الظاهر ثم تسلم الوزارة أيام العزيز وأطلق عليه لقب الوزير الأكرم ، توفي سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) في حلب أنظر : الحموي ، معجم الأدباء،ج٥،ص٤٧٧، الكتبي، فوات الوفيات، ج٢،ص٩٦.

(٤) أنظر : مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢١٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

من الاتعاظ بالأمم السابقة، كقوله تعالى :" لقد كان في قصصهم عبـرة لأولـي الألباب"(١).

٣. أفواج الغزو المغولي والفرنجي التي أنقضت على الأمة الإسلامية وبـالأخص على بلاد الشام، والتي أدت إلى خلق الزعزعة الداخلية والخارجية، فجاءت هذه التواريخ العامة أو العالمية لتكون بمثابة تعبير عن شعور الشام وارتباطها بالعالم الإسلامي وارتباطه بها، وعن اتصالهما بماضي الإسلام كله في الوقـت الـذي تدافع فيه عن حاضرها(٢).

والذي يظهر من خلال العرض السابق لهذا النوع من الكتابة التاريخيـة أن مصطلح التاريخ العام أو العالمي يقصد به أن يبدأ المؤلف كتابه في أغلب الأحيـان بالكلام عن تاريخ العالم منذ بدء الخليقة، ثم قصة آدم وأخبار الأنبيـاء والأحـداث التاريخية الكبرى وفي العادة يتناول المؤرخ تاريخ الفرس والـروم واليهنـود قبـل الإسلام وتاريخ هذه الأمم في كثير من الأحيان يأخذ طابعا ثقافيا لقلة الأخبار الواردة عن تاريخهم السياسي (٣).

ولكن الملاحظ أن هذا النوع من الكتابة التاريخية يطلق على هذه المؤلفـات شيء من التجاوز وفي هذا يقول بعض الباحثين:" وكتب أولئك المؤرخون بإيجاز أو

---

(١) القرآن الكريم سورة يوسف، آية رقم (١١١).

(٢) مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج١،ص٣٥٣.

(٣) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين،ص١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بإسهاب تاريخ العالم بادئين به منذ الخليقة وجاعلين ذلك مقدمة للتاريخ الإسلامي، غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن ماكتبه المؤرخون عن تاريخ العالم ليس تاريخا بالمعنى الذي يدل عليه المفهوم الحديث لذلك العلم، لأنه ما أن يبدأ المؤرخ بتدوين الحوادث التي تعود لتاريخ الإسلام حتى يهمل كل شيء سواه يتعلق بتاريخ الأمم الأخرى.."[1].

(١) التاريخ الإقليمي أو المحلي :

تعدُّ الكتابة في تاريخ إقليم بعينه أو عدة أقاليم مجتمعة تعبيراً صادقاً عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بأمته، وفي هذا النوع من الكتابة يقتصر المؤرخ في كتابه على أخبار اقليم معين أو مدينة بعينها، وإن كان هذا الاقتصار لم يُلتزم حرفيا على الدوام، بل غالباً ما ألمَّ المؤرخون المحليون بتواريخ مناطق ومدن أخرى وبخاصة القريبة من مدنهم ومناطقهم، بل إن بعض التواريخ الإقليمية (المحلية) كان يتحول إلى تاريخ عام للعالم الإسلامي منظورا إليه من المدينة أو القطر صاحب التاريخ وربما كان هذا دليلا على عدم وجود تناقض بين الأحساس بوحدة دار الإسلام من ناحية والانتماء لقطر معين من ناحية أخرى لدى المؤرخ المسلم[2].

(١) نور الدين حاطوم، وآخرون، المدخل إلى التاريخ،دمشق، مطبعة الإنشاء ، ١٩٦٤م،ص٢٨٤، وسيشار إليه لاحقا، حاطوم، المدخل إلى التاريخ.

(٢) عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب،ص١٠٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد عبر كل من السلامي وابن الربيع القيرواني عن ضرورة اهتمام المؤرخ بكتابة تاريخ لإقليمه وأرضه قبل أي اعتبار آخر، فيذكر المؤرخ أبو علي الحسين السلامي (ت٣٧٤هـ/٩٨٤م) في كتابه "أخبار ولاة خراسان" أن "الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أبنائها، ويحفظ أيام أمرائها، لا شيء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه ولعله يطلب أخبار غيرها، ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل"(١).

كذلك يعيب أبو علي الحسن بن محمد بن الربيع القيرواني على مؤرخي الأندلس تقصيرهم في الكتابة عن بلدهم، وذلك في رسالة وجهها لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ت(٤٥٦هـ/١٢٣١م) قال فيها: "ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل أن علماء الامصار، دونوا فضائل امصارهم، وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم، وأخبار الملوك والأمراء، والكتاب والوزراء، والقضاة والعلماء، فأبقوا لهم ذكراً في الغابرين، يتجدد على مر الأيام والليالي، ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام، وعلماؤهم مع استظهارهم على العلوم، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح، وراتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف أن صنف أن يعنف، وإن ألف أن يخالف ولا يؤالف، أو تخطفه الطير أو تهوي به

(١) روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص٤٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الريح في مكان سحيق، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده، ولم يستعمل خاطرة في تفاخر ملوكه، ولا سود قرطاساً بمحاسن قضاته وعلمائه"[1].

ولعل أول ظهور لهذا النوع من الكتابة التاريخية يرجع إلى كتاب "وصف البصرة" الذي ألفه زياد ابن ابيه وكتاب عن فتوح مصر لأبي قبيل المصري (ت١٢٨هـ/٧٤٥م) وكتاب تاريخ بغداد لأحمد بن ابي طاهر طيفور (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م)[2] ويمكن أن تنسب كتب فضائل المدن لهذا النوع من الكتابة لأنه يرد فيها حديث عن أمجاد المدن التاريخية وما فيها من مقامات للصحابة والأولياء، وتوالت بعد ذلك كتب تواريخ الأقاليم والمدن ففي بلاد الشام وجد من كتب في التاريخ الأقليمي في القرن السادس الهجري أمثال أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي المعروف بأبن القلانسي ت(٥٥٥هـ/١١٦٠م) فقد خصص تاريخه لمدينة دمشق وما يدور حولها من أخبار[3].

أما في فترة الدراسة وهي القرن السابع للهجرة فقد وجدت عدة كتب تناولت هذا النوع بالكتابة ومن أمثال ذلك:

- كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" لكمال الدين ابن العديم (٥٨٨هـ/١١٩٣م-٦٦٠هـ/١٢٦٢م):

(١) المقري، نفح الطيب ،ص١٥٢.

(٢) عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٠٥.

(٣) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص٢٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيث أرّخ كمال الدين ابن العديم في هذا الكتاب لأخبار مدينة حلب الجغرافية والسياسية والاجتماعية والثقافية من أول ظهورها في التاريخ حتى وفاته سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[١].

- **كتاب " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة " لعز الدين بن شداد(٦١٣هـ/ ١٢١٦م- ٦٨٤ هـ/١٢٨٥م):**

حيث اقتصر فيه المؤلف على تناول الأوضاع السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية التي تخص أقاليم معينة وهي الجزيرة الفراتية وأخبار دمشق ولبنان وفلسطين والأردن[٢].

(٢) التأريخ للدول :

لقد وجد الكثير من المؤرخين ممن كان يؤثر الكتابة التاريخية في بعض الأسرات الحاكمة أو الدول أو العهود، ويتميز هذا النوع من الكتابة التاريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية والإدارية، ويعدُّ هذا النوع من الكتابة التاريخية مختصاً بكتابة تاريخ دولة واحدة أو أكثر من دولة في عصر معين، حيث يقوم

(١) للمزيد حول هذا الموضوع انظر الفصل الثاني .

(٢) للمزيد حول هذا الموضوع انظر الفصل الثاني .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المؤرخ أثناء كتابته باستعراض الكثير من الأحداث التي يرى أنه من المناسب تسجيلها [1] .

ومن الكتب التي ألفت ضمن هذا النوع في القرن السابع الهجري:

- كتاب " الروضتين في أخبار الدولتين النورية والزنكية " لأبي شامة المقدسي(٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م-٦٦٥هـ/١٢٦٧م):

لقد تناول أبو شامة في هذا الكتاب تاريخ فترة هامة من فترات العصور الوسطى الإسلامية وهي فترة الحروب الفرنجية، وقد وجه اهتمامه إلى تاريخ ثلاثة من أهم أعلام المسلمين في تلك الفترة وهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وصلاح الدين يوسف الأيوبي وذلك لأنهم بذلوا جهودا جبارة لتوحيد بلاد الشام والجزيرة والعراق ومصر وقد اعتبر المؤرخون جهود الأمراء الثلاثة هؤلاء مجهوداً واحدا متصلاً كان الهدف من ورائه وحدة العرب والمسلمين في هذه المنطقة التي اعتبرت آنذاك قلب العالم الإسلامي وذلك لصدّ الخطر الفرنجي المداهم الذي أفاد من الفوضى التي شملت تلك المنطقة فأسس الإمارات اللاتينية، لذلك فالمجال الزمني لكتاب الروضتين هو تاريخ الدولتين الزنكية والأيوبية[2].

(١) مصطفى شاكر،التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٢٠.

(٢) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ص١١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- كتاب " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " لابن واصل الحموي ت(٦٩٧هـ/١٢٩٨م)[١]:

عمل ابن واصل في ذلك الكتاب على الاتيان بتاريخ الدولة الأيوبية منذ نشأتها مستعرضا الانجازات التي قاموا فيها على كافة المستويات سواء الحربية أو الإدارية أو السياسية مع التفصيل في ذكر الولاة الأيوبيين وأمرائهم وبيان كافة التفاصيل التي تتعلق بتحركات الجيوش اثناء مجابهة الغزو الفرنجي والمغولي[٢].

(٣) السير والمذكرات[٣]

يعد هذا النوع من الكتابة التاريخية تعبيراً عن مدى الاحترام والتقدير الذي يكنه المؤرخ للمؤرخ عنه، فمعاصرة المؤرخ لأحداث زمانه تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة في الكتابة، فالمؤرخ الذي يعيش في زمن قريب من الزمن الذي دارت فيه الأحداث التي يقوم بتأريخها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين

---

(١) هو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل ابو عبد الله المازني التميمي الحموي جمال الدين، ولد في حماة سنة ٦٠٤هـ، كان مؤرخا عالما بالمنطق الهندسة وعلم الأصول، من فقهاء الشافعية، كان إماما لمدة طويلة في مصر، واتصل بالملك الظاهر بيبرس فارسله في سفارة عنه إلى ملك صقلية، صنف مصنفات كثيرة منها رسالة في المنطق، ومن مؤلفاته الأكثر شهرة " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، وهو أفضل الكتب التي ألفت في تاريخ بني أيوب، وقد لقب بقاضي القضاة وشيخ الشيوخ، وقد كانت وفاته سنة ٦٩٧هـ، في حماة، انظر في ترجمته : السيوطي، بغية الوعاة، ج١،ص١٠٨، ابن الوردي،زين الدين عمر بن المظفر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي،النجف، المطبعة الحيدرية، ج٢ ،١٩٦٩م، ص٢٤٤،وسيشار إليه لاحقا: تاريخ ابن الوردي، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣،ص٨٥.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب ، مقدمة التحقيق، ج١.

(٣) أنظر : دائرة المعارف الإسلامية، ج٤،ص٥١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على تصويرها بألوانها الحقيقية، ذلك لأن الكتابة المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة، والمعاينة والتحقيق يجنبان المؤرخ من الوقوع في الأخطاء(١).

وكما أن للمعاصرة فضل في الكشف عن الحقيقة التاريخية لدى كاتبي السير فإنها تكون في بعض الأحيان حاجبا يمنع المؤرخ عن تصوير الحقيقة إما بسبب الرهبة من السلطان أو رغبة في التزلف اليه ومجاملته، فكثيرا ما يعمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوب السلطان خوفا من بطشه أو درءاً لغضبه عليه إذا صرّح بهذه العيوب، وقد يعمد المؤرخ في كثير من الأحيان إلى الإسراف في ذكر محاسن السلطان وامتداحه بغية الظفر بمنصب(٢).

أما بالنسبة لأقدم السير في التراث التاريخي العربي هي التي دونها كعب الأحبار (ت١٣٢هـ) عن "سيرة الاسكندر وما فيها من العجائب والغرائب"، ثم دون أبو مخنف الأزدي ت(١٤٧هـ/٧٦٤م) "سيرة الحسين"(٣)، وجاء بعد ذلك محمد ابن اسحاق ت(١٥١هـ/٧٦٨م) الذي دوّن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي قام بتهذيبها "ابن هشام" ت(٢١٨هـ/٨٣٣م)، إلى جانب ذلك توالى التأليف في سير

(١) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون،ج١،ص٣٦٥

(٢)عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٢٤

(٣) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج١،ج٢،١٩٧٧م، ص١٢١، وسيشار إليه لاحقا: فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآخرين[1]، ويمكن اعتبار الكتب التي تحمل اسم "المناقب" من كتب السير، حيث إنها توجهت لتكريم العلماء والاعيان في المجتمع الإسلامي، فقد قام مؤلفو هذه الكتب بتنصيب من ألفوا عنهم نماذج للمسلم الكامل وللأسوة الحسنة.[2]

وفي عصر الحروب الفرنجية في القرن السابع الهجري مارس المؤرخون نشاطهم في ميدان السير والمذكرات[3] وظهرت هناك بعض الكتب على هذه الشاكلة، ومن الكتب التي أُلفت في هذا النوع ضمن فترة الدراسة:

- كتاب " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين بن شداد (٥٣٩ هـ/١١٤٥م- ٦٣٢هـ-١٢٣٣م):

وهذا الكتاب لا يعتبر سيرة كاملة لحياة صلاح الدين الأيوبي بل هو عبارة عن مقتطفات من حياته ساعدت كثيرا على تكوين صورة لملامح شخصية هذا القائد، فابن شداد تناول سيرة صلاح الدين الشاب والسلطان والفارس والكهل ولم يتناول حياة صلاح الدين في طفولته وصباه، ولم يتطرق كذلك إلى الحديث عن جو الأسرة وظروف النشأة والبيئة التي احتوته.

(١) عمار،جمال ، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام، ط١، القاهرة، دار القاهرة،٢٠٠١،ص٢٤٧، وسيشار إليه لاحقا: جمال عمار، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام.

(٢) مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١،ص٣٦٥.

(٣) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين ، ص١٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"سيرة الظاهر بيبرس" لعز الدين محمد بن شداد(٦١٣هـ/ ١٢١٦م-٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

وقد تناول عز الدين بن شداد في هذا الكتاب حياة السلطان بيبرس في الفترة الواقعة ما بين (٦٧٠-٦٧٦ هـ) وما تيسر من أمور دفنه وما وُقِف عن روحه، وينتهي ببيان خصال السلطان وانجازاته وأوصافه الحسنى.

(٤) التراجم[١]:

لقد اهتم هذا النوع من الكتابة التاريخية بتدوين أخبار حياة مشاهير الأعلام وأهم ما قاموا به من أعمال دون التعرض لطبقاتهم، فهي في الواقع معاجم تراجم للعلماء ومشاهير الرجال سواءً الذين نشئوا في مدينة واحدة أم في إقليم واحد، أو دون الاهتمام بالبلد الذي ينتمي إليه المترجم له، وقد اعتنت هذه الكتب بصورة عامة بطريقة الإسناد كما أرخت الحوادث وخاصة تاريخ الوفاة وسائر ما يتعلق بحياة المتَرجم له، مع الإشارة إلى الكتب التي ألفها المتَرجم له اذا كان مؤلفا، ومقتطفات من شعره إن كان شاعرا[٢]. وعلى سبيل المثال فإن تراجم علماء الدين أكثر ما تحويه هو الكلام عن تربيتهم والشيوخ الذي درسوا عليهم والأماكن التي زاروها والأحاديث التي رووها، أما تراجم الشعراء والأدباء فتهتم بالقصص الطريفة عن

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٤، ص٥٠٢.

(٢) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حياتهم ومنجزاتهم الشعرية والأدبية وتكاد التراجم كافة تشترك بصفة بارزة في وصف الخصائص الخلقية والعقلية للشخص المترجم له، وتذكر هذه الخصائص إما بصورة صريحة أو عن طريق إيراد قصص وحكايات توضحها(١).

ويعد التأليف في التراجم من المصادر الأساسية للتأريخ الإسلامي، ومن المؤكد أن لهذا النوع من الكتابة التاريخية صلة وثيقة بعلوم الحديث التي كانت السبب المباشر في انتشار الكتابة للرجال، فقد اضطر المحدثون منذ وقت مبكر إلى البحث في الرجال وأحوالهم لتوثيق عدالة الرواة وضبطهم، وما لبثت هذه الدراسات أن توسعت وشملت العلماء في ميادين مختلفة والأدباء والشعراء والمؤرخين(٢).

أما بالنسبة لبداية هذا النوع من الكتابة التاريخية فإنها تعود إلى نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث على يد مؤرخ هام هو عبدوس الجهشياري ت(٣٣١هـ/٩٤٢م) وهو صاحب كتاب "تاريخ الوزراء والكتاب" كما كتب في هذا النوع من الكتابة التاريخية هلال الصابئ ت(٤٤٨هـ/١١٩١م)، وعلي بن منجب الصيرفي ت(٥٤٢هـ/١١٤٨م) صاحب كتاب "تاريخ وزراء الدولة الفاطمية"، إلا أن بدء اهتمام المؤرخين بالترجمة للبيوت الحاكمة كان خطوة بالغة الضرر، وذلك لأن الحكام اخذوا يتدخلون في كتابة تاريخ عصرهم، وبدأوا يتحكمون بكتابة

(١) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين، ص١٤١.

(٢) العمد ،هاني، دراسات في كتب التراجم والسير، ط١،عمان ،(د.ن)،١٩٨١،ص٨١، وسيشار إليه لاحقا: هاني العمد ، دراسات في كتب التراجم والسير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التواريخ ويشرفون عليها مستهدفين ستر نقائصهم وإظهار محاسنهم[1]، ومن كتب التراجم التي ألفت في القرن السابع الهجري:

- كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان:

وقد عمل المؤلف على جمع معلوماته التي ضمنها كتابه كما أسلفنا من عدة مصادر كان منها ما صنف قبله من الكتب، وما أخذه عن مشايخه وما شاهده بنفسه من حوادث.

-كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي:

جمع ياقوت في هذا الكتاب ما وصل إليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين والوراقين والكتاب المعروفين وأصحاب الرسائل وكل من صنف في الأدب أو ألف فيه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) حاطوم ، المدخل الى التاريخ ،ص٢٧٦

مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية:

لقد سلك مؤرخو القرن السابع الهجري في كتاباتهم منهجين:

أولاً: منهج الحوليات أو (حسب السنين):

الحول في اللغة : السنة بأسرها[١] ومؤرخو الحوليات: "هم جماعة من المؤرخين ابتدعت في كتابة التاريخ أسلوباً يقوم على أساس جمع أحداثه سنة بعد أخرى"[٢].

وقد خضعت فيه المادة التاريخية في هذا المنهج لتعاقب السنين المفـــردة[٣]، فكانت معظم الحوادث تدون في كل سنة بعناوين خاصة مثل" في سنة كذا" أو " ثـــم جاء في سنة كذا"، وكان المؤرخون يوضحون الصلة بين الحوادث المتعـــددة التـــي تحدث في السنة نفسها بإضافة جملة مثل " وفيها (أي وفي السنة نفسها)[٤]، وكـــان المؤرخ كذلك هو الذي يقرر مدى التفاصيل في وصف الحوادث[٥].

---

(١) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط،ط٣ ،القاهرة ، المطبعة المصرية ١٩٣٣، مادة (ح و ل)، وسيشار إليه لاحقا: الفيروز أبادي ، القاموس المحيط .

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة المصطلحات التاريخية، الدورة ٤٥ ، وسيشار إليه لاحقا: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة المصطلحات التاريخية.

(٣) ماجد، عبد المنعم، الخبر التاريخي عند مؤرخي المسلمين، المؤرخ العربي، مج ١٣، عدد ٣٧، ص،١٧٣ وسيشار إليه لاحقا: عبد المنعم ماجد، الخبر التاريخي عند مؤرخي المسلمين .

(٤) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين،ص١٠١.

(٥) خضر ، عبد العليم عبد الرحمن،المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ،هيرندن،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣م، ص٢٠٣، وسيشار إليه لاحقا : عبد العليم عبد الرحمن خضر ،المسلمون وكتابة التاريخ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعيب هذا المنهج التاريخي أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين، فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحولي فيها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في السنة الثانية والثالثة، ذكرها متفرقة ممزقة في جملة أحداث كل سنة[1].

وممن انتقد هذا المنهج الحولي عز الدين ابن الأثير ت(٦٣٠هـ/١٢٣٣م) في مقدمة كتابه الكامل، حيث قال: "ورأيتهم[2] يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة، لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان نظر، فجمعت أنا الحادثة الواحدة في موضع واحد، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت فأتت متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها، فأما الحوادث الصغيرة التي لا يتحمل منها كل شيء ترجمة فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة، فأقول: ذكر عدة حوادث، وإذا ذكرت بعضاً من تبع وملَكَ في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فإني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند إبتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يُعرف للجهل به، وذكرت في آخر كل سنة من توفي بها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء، وضبطت الأسماء المشتبهة

(١) عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب،ص٨٢.

(٢) يقصد من كتب على المنهج الحولي، امثال العبري، وابن القلانسي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المؤتلفه في الخط المختلفة في اللفظ، الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الإشكال، ويُغني عن الانقاط والأشكال"[١].

ومن المؤرخين الذين ابتدأوا هذا المنهج في القرنين الثاني والثالث الهجري عبد الله بن أحمد بن أبي بكرت (١٣٠هـ/٧٤٨م)[٢]، وموسى بن عقبة (ت١٤١هـ/٧٥٩م)[٣] والهيثم بن عدي(ت٢٠٧هـ) ومحمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)[٤]، ومحمد بن يزداد له كتاب على المنهج الحولي أكمله ابنه عبد الله حتى سنة ٣٠٠هـ[٥]، ثم جاء بعدهم محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ/٩٢٢م) الذي ألف كتابه "تاريخ الأمم والملوك" والمعروف بتاريخ الطبري على المنهج الحولي وهو من أقدم المصادر الكاملة للتاريخ العربي وقد بدأه بالخليقة وانتهى فيه إلى سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) واتبع في روايته للأخبار والحوادث طريقة الإسناد، أي اسناد الرواية إلى سلسلة من الرواة توثيقا للأخبار التي يرويها[٦].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١،ص٤.

(٢) الغزاوي ،عبد الرحمن ، المنهجية التاريخية في العراق إلى القرن الرابع الهجري، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٩،ص١٩٠، وسيشار إليه لاحقا : عبد الرحمن الغزاوي ، المنهجية التاريخية في العراق إلى القرن الرابع الهجري.

(٣) عبد الرحمن العزاوي، المرجع نفسه، ص١٩١.

(٤) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين،ص١٠٣ وما بعدها.

(٥) روزنثال، المرجع نفسه، ص١٠٢.

(٦) عبد العزيز الدوري، نشأت علم التاريخ عند المسلمين،ص٥٥.

ولكن السؤال الذي يرد في هذا المجال هو: هل كان التاريخ على المنهج الحولي منهجاً ابتكره المسلمون، أم أنه كان منهجاً سبقهم إليه غيرهم واقتبسه المسلمون؟.

في الحقيقة إن الكتابة التاريخية نشأت نشأة عربية خالصة، لا يد فيها للفرس أو اليونان، وكان أوائل المؤرخين عربا سواء من الجنوب أو من الشمال، ولكن هذه الحركة العربية ما لبثت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس، حتى صار غالبية المؤرخين في أواخر القرن الثاني الهجري من الموالي(١). ويؤكد هذا أن ما اقتبسه العرب من اليونان والفرس وغيرهم لم يكن في التاريخ بل كان في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والجغرافيا على الأغلب(٢).

أما بالنسبة لرأي فرانز روزنثال حول جذور منهج الكتابة الحولية فهو ينفي بداية أن يكون هناك تأثير فارسي على المؤرخين المسلمين،حيث يقول: "أن الشيء المؤكد هو ما يلي: ليس هناك ما يمكننا من الاقتناع بأن الفرس استخدموا الترتيب على السنين، وكل الأدلة تشير إلى عدم استعمالهم أياه... وأن عدم وجود حقبة مستمرة قد يؤدي إلى صعوبة كتابة كتب تاريخية شاملة لفترات طويلة"(٣).

---

(١) نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي، بيروت، منشورات اقرأ، ١٩٨٠،ص٧٣،وسيشار إليه لاحقا: حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي.

(٢) كاشف، سيدة، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٦، ص٥٠، وسيشار إليه لاحقا: سيدة كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي.

(٣) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين،ص١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما موقف روزنثال من التأثير اليوناني أو الروماني على المؤرخين المسلمين فيبدو مضطربا إذ ينفيه حيناً ويثبته حيناً آخر، فهو يقول: "...وكذلك ليست لدينا معلومات صريحة عن وجود تراجم كاملة للحوليات البيزنطية، وأن القوانين التي تحكمت بالترجمة من الإغريق إلى العربية لا يجعلنا نؤمل عكس ذلك، فقد كانت التآليف التاريخية مثارا لارتياب علماء المسلمين أكثر بكثير من التأليف في العلوم"(١).

ثم يعقب بعد ذلك بقوله: "وتشير الأدلة السابقة كافة إلى أن العلماء المسلمين توفرت لديهم معرفة عن علم التاريخ الإغريقي السرياني، غير أنه لا يعني أنه قد ثبت أن المعرفة التي جاءت المسلمين بهذه الطريقة قد وصلت مبكرة لدرجة تكفي لإلهامهم باستعمال أشكال التاريخ على ترتيب السنين، وفي نهاية المطاف يظهر روزنثال دور النصارى المتعلمين في نقل هذا المنهج إلى المسلمين بقوله: "ولكن فكرة الترتيب على السنين جاءت إلى العلماء المسلمين الأولى عن طريق الاتصال بالنصارى المتعلمين"(٢).

ويرى روزنثال أنه ليس من الضروري أن يكون هناك كتابٌ معينٌ أوحى بفكرة المنهج الحولي إلى المؤرخين العرب، لأن هذه الفكرة من السهل انتقالها

(١) روزنثال، المرجع نفسه،ص١٠٧.

(٢) روزنثال، المرجع نفسه،ص١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بمجرد اطلاع سطحي على تاريخ مكتوب على المنهج الحولي أو مرتباً على السنين، أو من مجرد مناقشة عرضية بين مؤرخ نصراني ومؤرخ مسلم(١).

وخلاصة القول أن مؤرخي العرب- في نظر روزنثال – قد استلهموا المنهج الحولي في الكتابة التاريخية من مؤرخي الإغريق والسريان(٢) وهذا بعيد عن الصحة لأن الكتابة السريانية أو الإغريقية لم يكن لها تأثير على مؤرخي العرب، وأن ما اقتبسه العرب منهم يقتصر على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والكيمياء والطب والحشائش والعقاقير، والعرب هم الذين أبدعوا هذا المنهج التاريخي وطوروه وتقدموا فيه تقدماً كبيراً ساعدهم على سهولة عرض المادة التاريخية(٣)، وبهذا يظهر بأن المنهج الحولي في الكتابة التاريخية هو منهج عربي أصيل.

وممن اتبع هذا المنهج في فترة الدراسة ابو شامة في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين"، فقد رتب الحوادث التي تعرض لها في كتابه طبقاً لتقديره الخاصة لأهميتها دون التقيد بالترتيب الذي وردت فيه بالأصل الذي ينقل عنه، فتراه يتبع

(١) روزنثال، المرجع نفسه،ص١٠٥.

(٢) روزنثال، المرجع نفسه،ص١١٥.

(٣) أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٢،ص٧، وسيشار إليه لاحقا:أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحادثة المعينة بتطوراتها المختلفة حتى يقف بها عند بداية سنة جديدة ثم يعود إلى غيرها ليعالجها بنفس الطريقة وكل ذلك داخل المنهج الحولي العام[1].

ولا بد من إيراد مثال للتطبيق على ما سبق وذلك عن طريق تقرير أبي يعلى ابن القلانسي ت(٥٥٥هـ/١١٦٠م) صاحب كتاب "ذيل تاريخ دمشق" عن سنة ٥٤٨هـ، وقد كان هذا الكتاب أحد مصادر أبو شامة في كتابه الروضتين، فالموضوعات في هذه السنة طبقا لتقرير أبي يعلى هي على التوالي[2].

١- مقتل ابن السلار.

٢- حصار الفرنج مدينة عسقلان والتحالف الفاشل بين حلب ودمشق لمواجهة الموقف.

٣- اضطرابات داخلية في دمشق .

٤- سقوط عسقلان بين الفرنج ووصول ابن القيسراني الشاعر إلى دمشق ووفاته.

٥- وفاة الفقيه برهان الدين البلخي.

٦- تطور الاضطرابات.

٧- اعدام حيدر وزير دمشق.

٨- اعتقال نائب الحاكم بدمشق ومقتله.

---

(١) فرغلي، ابراهيم ، المؤرخ السوري أبو شامة،القاهرة،مطبعة العربي،١٩٩٨م، ص٨٠، وسيشار إليه لاحقا: ابراهيم فرغلي، المؤرخ السوري أبو شامة.

(٢) القلانسي، ذيل تاريخ دمشق،ص٣١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما هذه الموضوعات فقد وردت عند أبي شامة بترتيب آخر مختلف فقد إبتدأ كالتالي:

١- حصار الفرنج مدينة عسقلان والتحالف الفاشل بين حلب ودمشق لمواجهة الموقف.

٢- سقوط عسقلان بيد الفرنج.

٣- اضطرابات داخلية في دمشق.

٤- تطور هذه الاضطرابات.

٥- اعدام حيدر وزير دمشق.

٦- اعتقال نائب الحاكم بدمشق ومقتله.

٧- مقتل ابن السلار.

٨- وفاة الفقيه برهان الدين البلخي ووصول ابن القيسراني الشاعر لدمشق ووفاته(١).

فأبو يعلى كان يقطع تقريره عن حادثة معينة بانتهاء الشهر الذي بدأت فيه وذلك للتحدث عن أخرى حدثت في نفس الشهر، ثم يستأنف ما قطعه في الشهر التالي، ولكن ابو شامة عندما يقتبس من أبي يعلى لا يرض عن هذه الطريقة بل إنه

(١) أبو شامة، الروضتين، ج١،ص٩١،٩٠،٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتبع الحادثة المعنية بجميع تطوراتها داخل نطاق السنة الواحدة[١]، ويلاحظ أن الاختلاف بين ابي شامة وأبي يعلى هنا، ربما يرجع إلى أن أبا شامة لم يكن مؤرخا معاصراً لهذه الأحداث ولذلك كان يذكرها حسب الأهمية كما تقدم[٢]. وهناك كتاب ثالث رتب الأخبار على السنين الا وهو كتاب "زبدة الحلب من تاريخ حلب" لابن العديم، حيث رتبه على السنين منذ أقدم العصور إلى زمانه ذاكرا جميع الأمم التي مرت على حلب منذ ظهورها في التاريخ إلى يومه[٣].وكذلك كتاب "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي حيث نظمه المؤلف على أساس حولي[٤].

ثانياً: التأريخ حسب الموضوعات

إن موضوع الخبر عنوانه الوارد في سنة أو على امتداد سنوات يختلف حسب الاهتمامات الكبرى الجاذبة للمؤرخ فالمؤرخون العرب لجأوا إلى ترتيب المادة التاريخية وفقاً لموضوعات متعددة[٥]، وقد التزم بعض مؤرخي القرن السابع الهجري في بلاد الشام منهج التاريخ إما للدول أو لعهود الحكام والخلفاء وإما للسير

(١) ابراهيم فرغلي، المؤرخ السوري أبو شامة، ص٨٠.

(٢) ابراهيم فرغلي، المرجع نفسه،ص٨٢.

(٣) هاني العمد، دراسات في كتب التراجم والسير، ص١٠١.

(٤) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون،ج٢،ص٢٦١.

(٥) وجيه كوثراني، التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب، ج١، بيروت،الأحوال والأزمنة للنشر ، ٢٠٠١،ص٦٧، وسيشار إليه لاحقا: وجيه كوثراني، التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أو الطبقات، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص وبالأخص أشخاص الخلفاء والحكام والسلاطين[١]، وبيان هذا المنهج في الكتابة التاريخية كالآتي:

أ. التاريخ على أساس تعاقب الدول (الخلفاء والسلاطين):

لقد جرى التدوين التاريخي في معظم كتب التاريخ القديمة على أساس تعاقب الحكام، فقد وجد جمع من المؤرخين العرب من أتبع هذا المنهج، وكان يجري تخصيص لترجمة خاصة لحاكم معين (ولادته، صفاته،، تنقلاته، وفاته) وكما يجري ذكر لنسائه وأولاده وأحيانا ذكر لموظفي إدارته ثم لأهم الأحداث في عصره كما وتميز هذا المنهج في الكتابة التاريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية والإدارية[٢].

ومن أقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في الدول وعهود الحكام اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) حيث أفرد القسم الثاني من تاريخه للإسلام ورتبه حسب الخلفاء مع مراعاة تسلسل الأحداث على السنين، فبدأه بمولد الرسول ومغازيه حتى وفاته ثم تتبع تاريخ الخلفاء حتى المعتمد العباسي[٣].

---

(١) عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب،ص٩١.

(٢) طه،عبد الواحد ، اصول البحث التاريخي،الموصل، منشورات جامعة الموصل،١٩٩٠،ص٦٧، وسيشار إليه لاحقا: عبد الواحد طه، اصول البحث التاريخي.

(٣) الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب،ص٥١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن الكتب القديمة التي تناولت تاريخ الدول والحكام "الأخبار الطوال للدينوري" و"أنساب الأشراف" للبلاذري، ومن الكتب التاريخية التي تناولت هذا الموضوع في القرن السابع الهجري كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة، وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني ايوب" لابن واصل.

ب. التاريخ حسب الطبقات

لقد ظهر في التاريخ الإسلامي كتب تهتم بالطبقات، ويقصد بها الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة "معينة" من المحدثين أو الفقهاء أو القضاة أو الصحابة أو الأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم، جيلا بعد جيل، إلا أن كتب الطبقات كان الهدف الأساسي منها هو خدمة الحديث النبوي لمعرفة الرجال ومن ثم الحكم على الحديث[1].

وكان أول من ألف في طبقات الصحابة الإمام البخاري في "التاريخ الكبير" وابن سعد في "طبقاته" وسرعان ما اتجهت كتب الطبقات وجهة أخرى لتخدم أغراضها غير العلوم الإسلامية، فكانت كتب طبقات الشعراء والنحاة واللغويين والقضاة والفقهاء والمفسرين والقراء والحفاظ والمتصوفة والفلاسفة، ولعل كتاب ابن سلام الجمحي "طبقات الشعراء" أول كتاب في هذا الفن يخرج عن نطاق العلوم

(١) هاني العمد، دراسات في كتب التراجم والسير،ص٩١،وجيه كوثراني، وجيه كوثراني، التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب،ص٦٨، عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب،ص١٧٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الإسلامية، ولكنه ظل مرتبطاً بها من حيث استعمال طريقة رجال الحديث في السند والرواية والجرح والتعديل[1].

ومن كتب الطبقات التي أُلفت في القرن السابع الهجري في بلاد الشام كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة[2]، وهو يبين كتب الفلاسفة الأطباء ورجال الحكمة، ويقع الكتاب في خمسة عشر باباً، وقد ألفه ابن ابي أصيبعة خدمة لخزانة المولى الصاحب الوزير العالم العادل أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد، وقد خصص الباب الأول وهو في خمسة أقسام للحديث عن كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها، ثم يبدأ الترجمة للأطباء، وكان عندما يترجم للطبيب يذكر نظريته في الطب وأسلوبه في المعالجة[3].

وقد أورد ابن أبي اصيبعة ترجمة لحوالي أربعمائة طبيب في مختلف العصور حيث ابتدأ بترجمة الأطباء اليونانيين وغيرهم ثم يتجه للكلام عن الأطباء

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) دائرة المعارف الإسلامية،ج١٥،ص٧٦.

(٢) ابن أبي أصيبعة هو ابو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي، ولد سنة ٦٠٠هـ، في دمشق لوالد من أمهر الكحالين (أطباء العيون)، وانصرف إلى تلقي الطب عن والده، ثم سافر إلى القاهرة والتحق فيها بالمارستان الناصري يدرس ويتمرن ويلتحق بخدمة الدولة، وقد اشتهر بمهارته للدرجة التي استدعاه فيها امير بلدته (صرخد) الأيوبي، فرحل إليه وأعجبه مناخ البلد فبقي فيها حتى وفاته سنة (٦٦٨هـ) وله مصنفات أشهرها " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " و" المختار عن عيون التاريخ" أنظر : مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج٢،ص٢٦٨.

(٣) هاني العمد، دراسات في كتب التراجم والسير،ص٩٧.

العرب والعجم والهنود وأطباء المغرب ومصر والشام، ذاكرا كل قطر على حده[1].

وقد اعتبر هذا الكتاب مصدراً مهماً من مصادر تاريخ الثقافة الإسلامية[2].

أساليب الكتابة التاريخية:

- حذف الإسناد:

لقد امتازت المادة التاريخية في القرن السابع الهجري بتطور نوعي من ناحية الأسلوب، فقد تحرر جل المؤرخين في هذه الفترة من ذكر الأسانيد التي تثقل الخبر التاريخي، ولا يُنكر أن التدوين التاريخي قد استفاد الكثير من مسألة الإسناد، فكما أن عالم الحديث قد تحرى سلسلة الإسناد ومدى مصداقية الراوي في حفظ ونقل أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وأعمل النقد في الرواة وروايتهم فإن المؤرخين الأوائل حتى القرن الرابع الهجري قد قاموا بتطبيق هذه المنهجية نفسها في الأخبار المتناقلة والمتداولة في مرحلة التدوين لمرحلة ما بعد الإسلام وليس أدل على ذلك مما قام به الطبري في تاريخه[3].

ولكن وجد في القرن السابع الهجري من اهتم بالإسناد أيما اهتمام من مؤرخي هذه الفترة، وأظهر تشدداً في السند، وامتلأ كتابه بالأسانيد، وكان إذا افتقد الرواية الشفهية واضطر إلى النقل عن الكتب المخطوطة فتراه يوثق ذلك النقل بدقة

---

(١) مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمرخون،ج٢،ص٢٦٩.

(٢) هاني العمد، المرجع السابق،ص٩٨.

(٣) وجيه كوثراني، التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب، ص٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

متناهية، فتجده يذكر اسم الكتاب كاملاً واسم صاحبه بأكمله، ويزيد على ذلك وصف الكتاب المخطوط ومكان وجوده وفي بعض الأحيان اسم ناسخه واسم من يملك الكتاب أو من أهداه[1] ومن الأمثلة على ما سبق بعض ما ورد في كتاب "بغية الطلب" حيث يقول: "قرأت الحكاية (حكاية عن الأعسر الكلابي الفارس مع سيف الدولة) في مجموع قديم مكتوب في أيام سيف الدولة أو قريب من عصره وشاهدتُها في المجموع على الصورة التي ذكرها بخط بعض الإخباريين في جزء وقفت عليه في وقف الإمام الناصر أبي العباس بالخلاطة في الجانب الغربي من بغداد.."[2]، أو تجده يكتب" وجدت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب في أثناء مجموع من تعليقه في دار وقف القرآن بسنجر ما صورته، أنشدني.."[3].

- **توثيق المادة التاريخية**

وبالنسبة لتوثيق المعلومات في مؤلفات القرن السابع الهجري، فقد قام مؤلفو الكتب التاريخية بذكر المصادر التي استقوا من خلالها مادة كتبهم وقد اتخذ توثيق المصادر شكلين هما:

(١) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١،ص٣٧٨.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج٣،ورقة ٢٥٠، نقلا عن مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج١،ص٣٧٩.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب،ج٨،ورقة ١٦٢،نقلا عن مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج١،ص٣٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- أن يقوم المؤرخ بذكر مصادره في مقدمة كتابه، وقد سار على هذا النهج ياقوت الحموي في مؤلفاته، ففي كتابه " معجم البلدان "، يذكر أنه قد رجع إلى المصادر التي أُلفت في أسماء الأماكن من المتقدمين عليه أمثال فيثاغورس وبطليموس وكتبهم سُميت بالجغرافيا، وكذلك أخذ عن ابن خرداذبة وأبي اسحق الاصطخري، وابن حوقل، وابن ابي عدن البغدادي وغيرهم، وكذلك نقل عن دواوين العرب وتواريخ أهل الأدب والمحدثين، والمشاهدات التي شاهدها أثناء اسفاره، وما سمعه من أفواه الرواة [١].

وفي كتابه "معجم الأدباء" يورد ياقوت الحموي مصادره بقوله: " فأما من لقيته أولقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره، مالا أترك لك بعده تشوفا إلى شيء من خبره، وأما من تقدم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة إليه ووقفني النقل عليه في ترددي إلى البلاد ومخالطتي للعباد"[٢].

وكذلك سار على هذا النهج المؤرخ أبو شامة في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين"، فقد ذكر مصادره في مقدمة كتابه وهي تاريخ دمشق لابن عساكر ت(٥٧١هـ/١١٧٦م) ، وذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى ابن القلانسي ت(٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، وتاريخ الأتابكة لعز الدين ابن الأثير ت(٦٣٠هـ/١٢٣٣م) والفتح القسي في الفتح القدسي والبرق الشامي للعماد الاصفهاني، والنوادر السلطانية

(١) الحموي ، معجم البلدان، المقدمة.

(٢) الحموي ،المصدر نفسه، المقدمة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين ابن شداد ت(٦٣٢هـ/١٢٣٥م) ورسائل القاضي الفاضل[١].

٢- أن يعمد المؤرخ إلى ذكر مصادره في ثنايا كتابه، وذلك من خلال إسناد كل حادثة إلى مصدرها، وفي بعض الأحيان كان المؤرخون يأتون بالمصادر كلها متتالية في حال تعددها، ومن المؤرخين الذي اتبعوا هذا النهج في توثيق المادة التاريخية كمال الدين ابن العديم ت (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، في كتابه "بغية الطلب" حيث كان يذكر جميع مصادره سواء السماعية منها أو المقروءة والأمثلة على ذلك كثيرة عنده وهي في الجملة لا تخرج عن عبارات مثل "أنبأنا فلان[٢] و"أخبرنا فلان"[٣] "وقرأت في تاريخ كذا[٤]" و"وجدت في كتاب كذا[٥] و"قرأت بخط فلان"[٦] وكذلك فعل ابن شداد صاحب كتاب "النوادر السلطانية" فتجده يقول مثلا: "وقد سمعت من صاحب ديوانه يقصد ديوان صلاح الدين – يقول لي"[٧]، أو "هكذا بلغني على ألسنة جماعة لأني لم أحضر هذه الواقعة"[٨] .

(١) الحموي ، معجم البلدان، المقدمة.
(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج١،ص٣٨٨.
(٣) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٣،ص١١٢٠.
(٤) ابن العديم ،المصدر نفسه، ج٤،ص١٥٠٠.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٤،ص١٥٦٢.
(٦) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٤،ص١٥٦٧.
(٧) ابن شداد، النوادر السلطانية،ص١٤.
(٨) المصدر نفسه، ص٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا كله يعني أن مؤرخي القرن السابع الهجري لم يهملوا التوثيق، بل تحروا الدقة في النقل ونهجوا كذلك طرائقه الخاصة، إلا أنه وجد في هذه الفترة من لم يذكر مصادره التي حصل من خلالها على الحادثة التاريخية، ويكاد يكون عز الدين ابن الأثير الجزري ت(٦٣٢هـ/١٢٣٥م) من الأمثلة النادرة في هذا الباب، إذ إنه أهمل ذكر مصادره في تاريخه (الكامل)، فقد نقل المادة التاريخية في كتابه من أولها إلى سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م) من المؤرخ الكبير محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكان غالبا ما يشير إليه و "قال" دون ذكر اسمه صراحة ولكنه كان يعني بذلك الطبري[١]" ورغم ذلك لم تغب مصادره عن الباحثين حيث بلغت خمسة وثلاثين مصدرا[٢].

- **اللغة المستخدمة في عرض المادة التاريخية**

وعند الانتقال إلى طرق تعبير المؤرخين الأدبية أثناء كتابتهم للأحداث يظهر هناك أسلوب أدبي بارز وهو الأسلوب المرسل حيث يقوم المؤرخ أثناء تناوله للحادثة التاريخية بكتابتها بطريقة سهلة سلسة دون تعقيد ولا سجع وقد يتخلل الكتابة الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث نبوي أو مثل شائع أو أبيات من الشعر سواء من المؤرخ نفسه أو للمترجم له و ممن كتب بهذا الأسلوب المؤرخ ابن الأثير في كتابه

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١،ص٣٢٣، ٥٠٢، ٤٨٣.

(٢) مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج١،ص٣٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"الكامل"[١]، وسبط ابن الجوزي في كتابه "مرآة الزمان " [٢] "، وأبو شامة في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين"[٣].

- النقد التاريخي عند مؤرخي فترة الدراسة في الكتابة التاريخية

هناك ظاهرة برزت في أساليب الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري ألا وهي ظاهرة النقد التاريخي الذي يوجهه المؤرخ للروايات التي يذكرها في كتابه ومثال ذلك يتبدى عند عز الدين بن الأثير ت(٦٣٢هـ/١٢٣٥م) في كتابه "الكامل" فهو رغم إعجابه بالمؤرخ الطبري وثنائه عليه لم يمانع في نقد بعض روايات التاريخ وإظهار مواطن الضعف فيها، فعند كلامه على الليل والنهار في بداية تاريخه الكامل يقول: "..وروى أبو جعفر ها هنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في خلق الشمس والقمر وسيرهما... فإنهما على عجلتين، لكل عجلة منه ثلاث وستون عروة يجرها بعددها الملائكة.. وإنهما يسقطان عن العجلتين "إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها.. فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح ومثل هذا الأمر عظيم لا يجوز فيه أن يسرد في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف"[٤].

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق،ج١،ص٢٥١،٢٢٢،١٧٧،ج٣،ص٢٠٤،١١٣،٩٢،٤٧.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١،ص٩٥ ،١٠٥، ١١٧ ،١٣٠.

(٣) أبو شامة الروضتين، ج١،ص٣٧ ،٤٥، ٤٧، ٨٨، ١٥٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١،ص١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويدخل في نقده كذلك عدم قبول أقوال العلماء بعضهم ببعض دون تمحيص، فقد نقل ما قاله أبو الفرج الجوزي في السمعاني من مطاعن، ثم علق على ذلك بقوله" : هذا بارد جدا.. وقال: أي حاجة به إلى هذا التدليس البارد، إنما ذنبه عند ابن الجوزي أنه شافعي(١).

وقام أبو شامة في كتابه الروضتين بنقد بعض الروايات والأخبار التي لم تثبت صحتها لديه، ومثال ذلك ما فعله عندما نقل خبرا عن ابن الأثير مفاده الأعمال الخيرية التي كان يقوم بها نور الدين، وذلك في قوله: "إن أعظم البيمارستانات التي أنشأها، ذلك الموجود بدمشق فإنه عظيم كثير الخرج، بلغني أنه لم يجعله وقفا على الفقراء فحسب، بل على كافة المسلمين من غني وفقير.."(٢).

وهذا الخبر نقلا عن ابن الأثير، فترى أبا شامة يعلق على هذا الخبر الذي نقله بقوله :" وقد وقفت على كتاب وقفه، فلم أجده مشعرا بذلك، وإنما هذا كلام شاع على السنة العامة وإنما صرّح بأن ما يعز وجوده من الأدوية الكبار وغيرها، لا يمنع عنه من احتاج إليه من الاغنياء والفقراء"(٣).

وفعل أبو شامة الأمر نفسه عندما نقل عن العماد الأصفهاني في أثناء الحديث عن المعارك التي دارت قرب مدينة قيساريه ومفاده أنهم قاموا بزيارة قبر أبي

(١) ابن الأثير المصدر نفسه، ج١،ص١٣.
(٢) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ص٩.
(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هريرة الواقع في مدينة (تبنى) من أعمال دمشق، فقد علق على ذلك بقوله: "واعتمد العماد في هذا على ما اشتهر به عند العامة عن ذلك، أما أهل العلم المصنفون في أخبار الصحابة، كابن سعد وغيره، فذكروا أن أبا هريرة توفي بالمدينة ولم يذكروا غيره"(١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) المصدر السابق، ج٢،ص١٩١.

الفصل الخامس

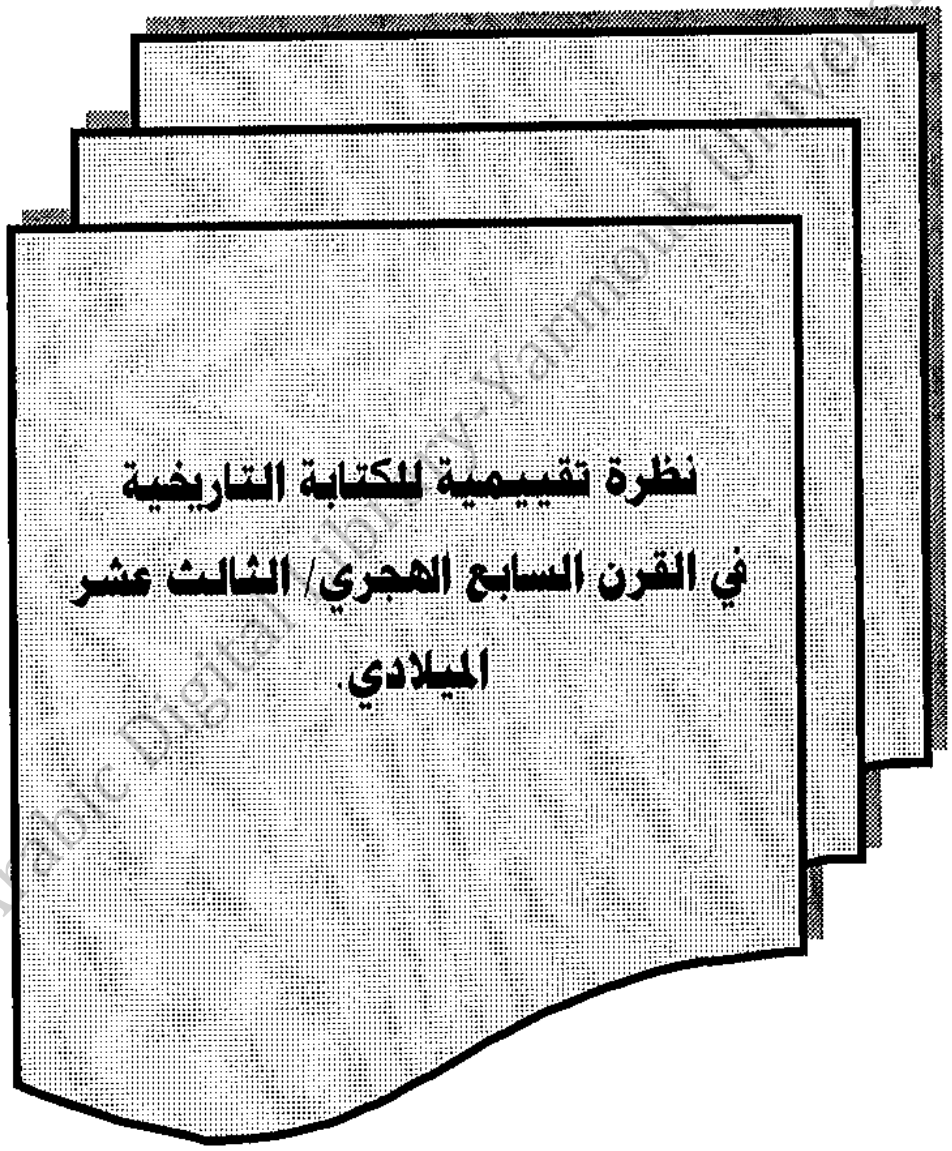

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تقييم انواع الكتابة التاريخية

لقد تبين من خلال ما سبق في الفصول المتقدمة أن إنتاج مدرسة الشام التاريخية* في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي قد جاء شاملا ومغطيا لجميع أنواع الكتابة التاريخية التي كانت سائدة في الأقاليم الإسلامية آنذاك، فقد احتل التاريخ في ثقافة ذلك العصر موقعا مهما ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أمرين هما:

أولا: كثرة التحديات الأجنبية التي تعرضت لها بلاد الشام، حيث أنها كانت مستهدفة من قوتين عدائيتين كبيرتين هما العدو المغولي القادم من الشرق، والعدو الفرنجي القادم من الغرب، وكان لموقع بلاد الشام الجغرافي الأثر الكبير في ازدياد حدة هذه التحديات(١)، وقد أدت هذه التحديات إلى رد فعل عملي تمثل بظهور عدد من المؤرخين تعبيراً عن حاجة العصر، من أجل تدوين ماضي الأمة وحاضرها المعاش.

---

* ان استخدام كلمة مدرسة في هذا الموطن هو بالمعنى المجازي الجغرافي للكلمة وبيانا لبعض الحدود الاقليمية التي تخدم هدف الدراسة، فمن الواضح أنه لم يكن ثمة هناك مدارس تاريخية بالمعنى الحرفي لكلمة مدرسة، فالملاحظ أن المناهج والأساليب والطرق في تناول المادة التاريخية كانت متشابهة إلى حد بعيد بين مؤرخي الأقاليم الإسلامية، ولكن الباحث يجد أن هناك بعض الاختلافات العرضية التي تميز اساليب ومناهج مؤرخي اقليم معين عن غيره من الأقاليم، ومدرسة الشام في تركيبتها العامة تعتبر مثالا واضحا على ما تتصف به غالبية المدارس التاريخية الإسلامية، وهي كذلك مثالا على بعض الفروقات فيما بين المدارس التاريخية.

(١) أنظر الفصل الأول: الاوضاع السياسية.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثانيا: اهتمام الحكام الزنكيين والأيوبيين ببلاد الشام حيث شهدت بلاد الشام في تلك الفترة تغييراً في الأوضاع العامة[1]، نتج عنه ظهور أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء والمؤرخين، حيث أصبحت بلاد الشام محور اهتمام إسلامي شامل.

وتبرز في هذا المقام حقيقة لا بد من ذكرها ألا وهي أن مؤرخي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي قد جاءت كتاباتهم التاريخية على غرار ما كانت عليه الكتابات التاريخية في الفترة السابقة من حيث إنهم ساروا على نفس خطى المؤرخين السابقين عليهم في تناول الأحداث السابقة على عصرهم والأحداث التي عاصروها فيما كانوا يرون أنه من المناسب تدوينها، ثم إن معالجة الفترات التاريخية البعيدة عن عصر المؤرخ كانت تأتي بشكل مختصر خلاف الأحداث التي عاصرها المؤرخ والتي اتسمت بشيء من التفصيل.

وحتى يتسنى الوقوف على نظرة تعليمية لكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي فلا بد من إطلالة على المؤرخين ومؤلفاتهم في الفترة السابقة على فترة الدراسة، ولعل من أهم المؤرخين في هذه الفترة المؤرخ حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن القلانسي (ت٥٥٥هـ)[2] وهو من

---

(١) أنظر الفصل الأول الاوضاع الثقافية.

(٢) نشأ ابن القلانسي على ثقافة دينية أدبية، فقد سمع الحديث النبوي وشيئا من الأدب كان من أعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين، ولّي رياسة ديوانها مرتين، وهو مؤرخ ثقة وله إنشاء جيد وشعر حسن، وكتابه الأكثر شهرة هو " المذيل في تاريخ دمشق، توفي سنة (٥٥٥هـ) في دمشق،الحموي، معجم الأدباء، ج١٠،ص٢٧٨-٢٨٠، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٦،ص٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مؤرخي مدينة دمشق بلدته ومسقط رأسه وموطن أجداده، فأسرته تعد من العائلات الأصلية في بلاد الشام، ولتنوع ثقافة ابن القلانسي وسعة اطلاعه كانت الظروف مواتية له في تسلم منصب كاتب الديوان الحكومي في دمشق آنذاك ومن ثم منصب عميد الديوان، وقد ألف ابن القلانسي كتابا في التاريخ هو "المذيل في تاريخ دمشق" وهو المشهور خطأ بذيل تاريخ دمشق، ويعتبر هذا الكتاب تكملة لكتاب ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابئ ت(٣٨٤هـ/٩٩٤م)[١]، إلا أن كتاب الصابئ كان في التاريخ العام بينما كان كتاب ابن القلانسي في التاريخ الإقليمي، وقد بني ابن القلانسي كتابه على السنة التي انتهى عندها الصابئ وبسبب عدم إيفاء الصابئ دمشق حقها من التدوين قرر ابن القلانسي أن يجعل النصيب الأكبر من كتابه في تاريخ دمشق[٢].

ويعدُّ الكتاب خاصاً في تاريخ دمشق فقد سجل أخبار دمشق وما يتصل بتاريخها وقد التزم ابن القلانسي في كتابه الترتيب الحولي إذ أورد الحوادث على السنين[٣]، وتكمن أهمية "المذيل في تاريخ دمشق" في أنه المصدر الأصلي لكل المؤرخين المسلمين الذين كتبوا بعده عن الحروب الفرنجية الأولى، ولقد استخدمه

(١) هو هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابئ الحراني، مؤرخ وكاتب من أهل بغداد كان ابوه وجده من الصابئة واسلم هو في أواخر عمره، ولي ديوان الانشاء في بغداد زمنا، من كتبه، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء " توفي في بغداد سنة (٤٤٨هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢،ص٥٢.

(٢) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٣٦.

(٣) ابن القلانسي ، المذيل في تاريخ دمشق، ص٢٠، ٣٢،٤١، ٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بشكل تفصيلي كل من سبط ابن الجوزي في كتابه "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" وابن الأثير الجزري في كتابه "الكامل في التاريخ" وأبي شامة المقدسي في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين"(١).

وهناك مؤرخ آخر لا يقل مكانة عن ابن القلانسي وهو المؤرخ الفقه علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر ت(٥٧٢هـ/١١٧٧م)، ولابن عساكر كتاب في التاريخ الاقليمي المحلي هو "تاريخ دمشق" وقد خصص ابن عساكر القسم الأول من كتابه لذكر فضائل دمشق ودراسة خططها ومساجدها وحماماتها وابنيتها وكنائسها، حيث كان هذا كالمقدمة لكتابه الكبير، ثم اخذ يترجم لكل من نبغ من أبنائها أو سكن فيها، أو دخلها واجتازها من غير أبنائها من الخلفاء والعلماء والقضاة والشعراء والنحاة، وقد تتسع حلقة دمشق في منهج ابن عساكر لتشمل الشام أحيانا فيترجم لمن كان في المناطق الأخرى كصيدا وحلب والرملة، وكما اتسعت لديه دائرة المكان اتسعت دائرة الزمان، فامتدت من زمن أقدم الأنبياء والمرسلين إلى عصر المصنف(٢).

وقد اتبع ابن عساكر في كتابه منهج المحدثين، حيث اعتمد في الرواية على السند مهما طال أو تعدد فلا يذكر خبراً إلا ويسبقه إسناده، وقد يكرر الخبر الواحد

(١) البزاوي، فتحية،علم التاريخ ودراسة في مناهج البحث،القاهرة، دار الآفاق العربية، ط٢،١٩٩٦،ص١٠٦،وسيشار إليه لاحقا: فتحية البزاوي، علم التاريخ ودراسة في مناهج البحث.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، مقدمة التحقيق،ج١، بيروت، دار الفكر،١٩٩٥، وسيشار إليه لاحقا: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما دامت هناك فائدة من زيادة أو توضيح، واتبع في التراجم التنظيم الألفبائي المعروف مراعياً في ذلك أسماء الآباء بعد أسماء المترجمين، لكنه بدأ التراجم بمن اسمه أحمد، وبعد أن فرغ من التراجم المرتبة أسماؤها ترتيب المعجم، أورد من عرف من الرجال بكنيته فقط مراعيا في ذلك الترتيب الألفبائي، وقد اعتمد ابن عساكر في جمع حوادث كتابه على السماع والمكاتبة، ومؤلفات السابقين(١).

وهناك مؤرخ آخر وهو القاضي الفاضل أبو علي محي الدين عبد الرحيم بن علي بن محمد اللخمي العسقلاني ت(٥٩٦هـ/١٢٠٠م)(٢)، وقد رافق القاضي الفاضل صلاح الدين وتنقل معه بين القاهرة ودمشق وحضر المؤتمرات السياسية مع أمراء المسلمين كما أنه اشترك في أغلب الحملات العسكرية ضد الفرنجيين، وقد دون القاضي الفاضل مشاهداته كلها في تاريخه المعروف الذي اتخذ شكل المياومات، حيث سجل فيه القاضي الفاضل المكاتبات الصادرة من الديوان أو المتبادلة بينه وبين السلطان صلاح الدين الأيوبي في كل يوم(٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون،ج٢،ص٢٤٠.

(٢) ولد القاضي الفاضل في عسقلان سنة (٥٢٩هـ/١١٣٥م) وتولى أبوه القضاء في بيسان وأرسله إلى ديوان الانشاء بالقاهرة أواخر العهد الفاطمي فاشتغل بالأدب حفظ القرآن الكريم، وأظهر نبوغه في ادارة ديوان لإنشاء وتنظيمه فأسند إليه توفي سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٣م) في القاهرة، أنظر: ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج٢،ص٣٤، ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٤،ص٣٢٥.

(٣) سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، ص٣٤.

ومن مؤرخي هذه الفترة كذلك العماد الكاتب عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠٢م)[١]، واتصل العماد الكاتب بصلاح الدين الأيوبي وتعرف خلالها على القاضي الفاضل، وكان لعمل العماد الكاتب مع صلاح الدين أثر كبير في اطلاعه على كثير من الوثائق الرسمية بما رجع على كتاباته بالأهمية الكبيرة، وقد كان لأعماله التاريخية أهمية بالغة بالفترة في التاريخ وخاصة زمن الحروب ضد العدوان الفرنجي، ومن أهم كتبه "نصرة القطرة وعصرة الفطرة" حيث خصصه العماد في تاريخ السلاجقة ووزرائهم[٢]، وله كتاب آخر هو "البرق الشامي" تكلم فيه عن حياته ونشأته ورحلته من العراق إلى الشام وما حدث فيه أثناء خدمته للسلطان نور الدين والسلطان صلاح الدين، وذكر بعض فتوحاتهما في الشام وأطرافها[٣].

فهذه كوكبة من المؤرخين الذين سبقوا فترة الدراسة وقد جاءت اتجاهاتهم في كتابة التاريخ متنوعة حسب اهتمامات كل مؤرخ منهم، ولا ينكر أحدٌ أن مؤلفات هؤلاء المؤرخين قد كانت من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها مؤرخو القرن

---

(١) ولد العماد الكاتب في أصفهان سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م) كان فقيها شافعيا نفقة في المدرسة النظامية واتقن الأدب ونشأ بأصفهان وقدم بغداد في حداثته وسمع الحديث، وتسلم منصب نائب الوزير ابن هبري في البصرة وله مؤلفات كثيرة منها :" تاريخ آل سلجوق" "البرق الشامي "و"الفتح القسي" توفي سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م)أنظر : ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٩،ص١١،ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥،ص١٤٧.

(٢) مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٤٦.

(٣) سعداوي، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي،ص٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي، فقد أفادوا منها فائدة عظيمة وخاصة فيما يتعلق بزمن الحروب الفرنجية الأولى لأنهم من الذين عاصروا أحداثها ومجرياتها.

ويلاحظ أن المؤلفات التاريخية في فترة الدراسة قد جاءت شاملة لأنواع الكتابة التاريخية، حيث نجد أن التاريخ العام قد فُقد في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي بينما ظهر في فترة الدراسة كتاب هو "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ظروف بلاد الشام السياسية وتعرضها للعدوان أكثر من الفترة السابقة ووقوفها في وجهه مما أدى بإحساس عارم بالكيان الإسلامي العام ووحدة الأمة في مواجهة الخطر الخارجي ومحاولة استيحاء تاريخها الطويل وتجاربه، وربما هناك سبب آخر إلى جانب ما ذكر ألا وهو انقسام الدولة الأيوبية الموحدة بعد صلاح الدين إلى دويلات وحكام ومقاطعات ومدن لكل منهم حاشيته التي عادة ما يأمر حاكمها أحد مؤرخيها أو يطلب منه أن يكتب شيئا معينا، أو يتطوع المؤرخ من تلقاء نفسه بتأليف كتاب تاريخي وإهدائه للأمير شاملا التاريخ الإسلامي إلى عصره بغرض الاستفادة من تجارب الماضيين والاعتبار بها[1].

إلا أن كتاب التاريخ العام (أو العالمي) في القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي ورغم أنهم قد كتبوا تاريخا عالميا إلا أنهم قد تطرقوا إلى الأمم

(١) مصطفى شاكر التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأخرى بشكل موجز، وبالمقابل كان تركيزهم على محل الصراع في مصر والشام والجزيرة وتلاشى اهتمامهم بباقي أجزاء العالم الإسلامي، وقد أولت هذه الكتب الأحداث السياسية جل اهتمامها، إلا أنها كانت تلتفت أحيانا إلى الجوانب الحضارية فتقدم إلى حد ما صورة للحياة الاقتصادية والظروف الحضارية للفترات أو المواطن التي تتحدث عنها.

أما على مستوى كتب التاريخ الإقليمي فنجد منها في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، كتابين هما "المذيل في تاريخ دمشق" لابن القلانسي و"تاريخ دمشق لابن عساكر، ونجد في فترة الدراسة كتاب" بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين بن العديم، ويمكن القول بأن السبب في ظهور مؤرخين محليين اهتموا اهتماما خاصا بتاريخ مدن الشام يرجع إلى ما تتمتع به هذه البلاد من موقع جغرافي وإداري وأرضية حضارية عميقة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ، حيث تهيأت لهم مادة تاريخية كبيرة في كتابة تاريخ مدينة معينة أو إقليم معين، فما توانوا عن ذلك لما فيه من التأكيد على إثبات الشخصية، إلى جانب ما يفرضه ذلك من عناصر الفخر والاعتزاز.

ويمكن إيجاد أوجه تشابه بين كتاب "تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وكتاب" بغية الطلب في تاريخ حلب "لكمال الدين بن العديم فابن عساكر في بداية كتابه تحدث عن فضائل مدينة دمشق وأورد الأحاديث النبوية التي جاءت فيها وأنها أرض

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مباركة[١] ثم اتبع ذلك بذكر مساجدها وكنائسها وأنهارها[٢] ثم ترجم لمن سكن أو مر منها[٣] وكذلك فعل كمال الدين بن العديم في كتابه" بغية الطلب في تاريخ حلب" فقد ابتدأ بذكر فضائل حلب وما ورد فيها من أخبار ثم ذكر مساجدها وكنائسها وجبالها وأنهارها وترجم بعد ذلك لسكانها أو من جاورها ومر فيها.

ثم إن كلا المؤرخين قد امتلأ كتابه بالأسانيد التي أثقلت الكتاب وذلك نابع من أن كليهما قد اهتم بعلم الحديث، فلا يكاد القارئ لكتابيهما أن يقف على صفحة تخلو من الأسانيد، أو الخبر بأكثر من رواية في نفس الموطن . ويلاحظ على الكاتبين أنهما لم يقتصرا على الترجمة لمن كان في نفس المدينة التي أرخ لها بل كانت نظرتهم في ذلك أوسع من إقليمهم، وذلك لما تحتله بلاد الشام من موقع جغرافي يسمح لها بالانفتاح على الجهات الأربع[٤].

فاشتمال هذه الكتب على تراجم المشاهير والأعيان من مختلف والأقاليم الإسلامية يعبر عن روح الوحدة الإسلامية التي كانت الأمة تسعى إليها وتطمح في تحقيقها.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١،ص١١٩، وما بعدها .

(٢) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٢،ص٢٣٦.

(٣) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج٣،ص٣.

(٤) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣،ص٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعلى صعيد الكتب التي ألفت في تاريخ الدول، فقد وجد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي من صنف في هذا النوع من الكتابة، وقد تمثل ذلك في كتاب "نصرة الفطرة وعصرة القطرة" وهو في تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الكاتب الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) وهو كما تقدم خاص بتاريخ الدولة السلجوقية ووزرائها، أما الكتب التي تناولت تاريخ الدول في فترة الدراسة فقد تمثلت بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي، وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل الحموي الذي جمع فيه المؤلف تاريخ بني أيوب منذ أصولهم الأولى حتى عهده.

وقد جاءت هذه الكتب لتسلط الضوء على مسيرة تلك الدول وبيان الدور التاريخي الذي لعبته في التصدي لأشكال العدوان التي تعرضت لها البلاد في فترات وجودهم وجهود الحكام فيها للحفاظ على وحدة الأمة وسلامة كيانها.

وبالنسبة لكتب التراجم التي وجدت في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي فيمثلها كتاب "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر حيث ضم مئات التراجم للمشاهير والأعيان وهو وان كان في التاريخ المحلي (الاقليمي) إلا أنه تضمن جانبا كبيرا من التراجم ولم توجد في تلك الفترة كتب مستقلة في التراجم كالتي وجدت في فترة الدراسة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي فترة الدراسة ظهرت كتب التراجم بشكلها الموسوعي، حيث وجد كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان، وكذلك طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، وقد خضعت طرق انتقاء هذه التراجم لثقافة المؤرخ وطبيعة اهتماماته، وقد غطت هذه الكتب جميع أوجه النشاط الثقافي والاجتماعي في أزمان الأشخاص المترجم لهم، وتناولت هذه المؤلفات تراجم المشهورين والأعيان كالأمراء والسلاطين والقضاة والأدباء والعلماء والأطباء والفلاسفة.

تقييم مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية:

جاءت مناهج تصنيف المادة التاريخية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي متقاربة الى حد بعيد مع ما كانت عليه مناهج التصنيف في الفترة السابقة، فقد وجد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي من رتب مادته التاريخية على المنهج الحولي (حسب السنين) وهو ابن القلانسي في كتابه "المذيل في تاريخ دمشق" ومثال ذلك: سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة حتى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة فتجده يذكر:

سنة احدى وثلاثين وخمسمائة[1]

في ذي القعدة ظهور متملك الروم كالياني من القسطنطينية .

في رجب نهض الأمير بزواج في فريق وافر من العسكر

(١) ابن القلانسي، المذيل في تاريخ دمشق، ص٢٥٨، ٢٦٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في شعبان ورد الخبر بان عماد الدين اتابك توجه في عسكر من ناحية الموصل ووصل إلى حمص

في رمضان ورد الخبر بأن الامام ابن المسرشد كان قد فصل عن الموصل قاصدا مراغة .

في شوال تقررت المهادنة بين عماد الدين وبين شهاب الدين صاحب دمشق

سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة[1]

في محرم وصل الحاجب حسن الذي كان ارسل إلى متملك الروم

في السنة نفسها نقض الافرنج الهدنة

وفيها شتى السلطان مسعود ببغداد

وفي شعبان خلع شهاب الدين على الأمير معين الدين

وفي رجب ورد الخبر بوفاة القاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري .

(١) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص٢٦٣-٢٦٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة [1]

في محرم اجتمع الأمير عماد الدين اتابك بالخاتون صفوة الملك والدة الأمير شهاب الدين

في صفر جاءت في دمشق زلزلة هائلة

في شعبان جاء رعد هائل مختلف من عدة جهات

في شوال وردت الأخبار من ناحية مصر بالحادثة الكائنة بمصر بين الأجناد

وفي رمضان ورد الخبر بأن الأمير رضوان بين ولخشي صاحب مصر خرج منها لأمر خاف منه .وفيها توفي النقيب الإمام جمال الإسلام ابو الحسن علي بن محمد بن الفتح السلمي .

فقد سار ابن القلانسي أثناء تصنيفه للمادة التاريخية في كتابه على المنهج الحولي من أول الكتاب إلى أن انتهى منه وهذا المنهج ما قام بانتهاجه سبط ابن الجزري في كتابه "مرآة الزمان" حيث إنهما اتبعا في ترتيب المادة التاريخية المنهج الحولي.

(١) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص٢٦٧ - ٢٧٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبالنسبة لتصنيف المادة التاريخية حسب الموضوعات، فقد وجد من صنف كتابه حسب موضوع خاص امثال القاضي الفاضل الذي كتب على شكل المذكرات اليومية اثناء عمله في ديوان الإنشاء عند صلاح الدين الأيوبي والعماد الكاتب اللأصفهاني في كتابه "البرق الشامي الذي كان أشبه بسيرة فردية، وكتابه" تاريخ دولة آل سلجوق" الذي جاء ضمن موضوع التأليف في تاريخ الدول.

تقييم أساليب الكتابة التاريخية

الإسناد في الخبر التأريخي:

رغم أن المؤرخين في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي قد تحرروا من مسألة الإسناد في الخبر التاريخي في هذه الفترة إلا أن مؤرخا واحدا قد أولى مسألة الإسناد العناية الفائقة وهو المؤرخ الفقيه ابن عساكر في كتابه "تاريخ مدينة دمشق"[1]، أما باقي المؤرخين في هذه الفترة فلم يعطوا الإسناد في تدوين الخبر التاريخي أهمية بالغة كما فعل ابن عساكر.

وفي فترة الدراسة فقد وجد من اتبع نفس الطريقة في توثيق الخبر التاريخي من حيث الاهتمام بالإسناد، وهو المؤرخ كمال الدين ابن العديم في كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب"، وبالمقابل هناك من أسقط أهمية الأسناد في هذه الفترة.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١،ص٧، ١٧، ٢٥، ٣١، ٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توثيق الخبر التاريخي:

لقد عمل مؤرخو القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي على ذكر المصادر التي حصلوا من خلالها على مادتهم التاريخية، فابن عساكر قام بتوثيق مادته التاريخية في كتابه "تاريخ مدينة دمشق" من خلال ايراده للاسناد الذي كان يسوقه قبل الحادثة التاريخية أو الخبر التاريخي حيث أنه اعتمد في كتابه على مصادر متعددة هي السماع من الشيوخ ثم المكاتبة معهم ثم الكتب المؤلفة التي وجدها في عصره(١).

اما ابن القلانسي في كتابه "المذيل في تاريخ دمشق" فقد اعتمد في الدرجة الأولى على الوثائق التي كان يوردها في كتابه، ويظهر ذلك في إيراده لنصوص وثائقية طويلة قد تمتد إلى صفحات في بعض الأحيان منها: رسالة طويلة من الحضرة الفاطمية بالقاهرة إلى القائد الفاطمي بالشام أنو شتكين الدزبري(٢)، وكتاب فتح قلعة "شاه ذر"(٣)، وكذلك قام ابن القلانسي بإيراد بعض المؤلفات السابقة التي اتخذها كمصادر لمادته التاريخية ولكنها جاءت قليلة ومثال ذلك قوله: "وقد شرح الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في أخبار أهل بغداد ما قال فيه(٤)

---

(١) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون،ج٢،ص٢٤٢.

(٢) ابن القلانسي، المذيل في تاريخ دمشق، ص٧٦-٧٧.

(٣) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص١٥٢-١٥٦.

(٤) ابن القلانسي، المصدر نفسه،ص٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أضف لذلك المصادر السماعية التي اعتمد عليها اعتمادا كبيرا في تدوين الأحداث التي عاصرها.

اما العماد الكاتب فقد كان يورد ما يدلل على توثيقه للخبر التاريخي الذي يدوّنه، مثال ذلك ما كان يذكره من الكلمات التي تدل على سماعة للخبر كقوله: "سمعت من والدي"(١)، وقوله" :حكى زين الدين المظفر ابن سيدي الزنجاني"(٢)، وغيرها هذه الألفاظ.

وعلى نفس هذا النهج عمل المؤرخون في فترة الدراسة فقد قاموا بذكر مصادرهم التي استقوا فيها مادتهم التاريخية، حيث توزعت المصادر إلى الكتب المؤلفة أو السماع أو المشاهدات.

فمن خلال هذا العرض للكتابة التاريخية في الفترة السابقة على فترة الدراسة يمكن القول إن انواع الكتابة التاريخية ومناهج تصنيف المؤلفات التاريخية وأساليبها قد جاءت متقاربة إلى حد بعيد ولم توجد فروقات جوهرية في الكتابة التاريخية.

(١) الأصفهاني، عمادالدين محمد بن محمد الكاتب ت(٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، تاريخ دولة آل سلجوق،ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٠، ص١٢٣،وسيشار إليه لاحقا: الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق .

(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص١٤٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الخاتمـــــــــــــــة

لقد أدت الأوضاع السياسية الداخلية في بلاد الشام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي قبيل الغزو الفرنجي الى تسهيل احتلال المدن والقلاع الشـــامية مما نتج عنه زيادة تمزق الجبهة الاسلامية الممزقة أصلاً، ثم إن الغـــزو المغـــولي الهمجي قد أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من العلماء والمفكرين إلى بلاد الشام مما كان له الأثر الكبير في بروز نهضة علمية تمثلت بانتاج الأعداد الكبيرة مـــن المؤلفـــات التاريخية وغيرها.

وبالنسبة للأوضاع الاجتماعية فقد أدى تعدد العناصر الســـكانية واخـــتلاف الثقافات وتباين الآراء الدينية إلى تنوع محتويات الانتاج الثقافي وتنـــوع الأمـــاكن التعليمية، أما الأوضاع الاقتصادية فقد كان لها أبعاداً متعددة منها خلق طبقـــة مـــن أهل الغنى والثراء ساعدت على توفير العمل لعامة الناس وكثرت أوقافها على وجوه الخير ومن ضمنها المؤسسات التعليمية مما كان له الأثر الواضح على نشر الـــوعي الثقافي والعلمي بين فئات المجتمع المختلفة.

أما الأوضاع الثقافية فقد ازدهرت خلال فترة الدراسة، حيث كانـــت أمـــاكن التعليم في بلاد الشام مناطق جذب للعلماء والفقهاء والطلاب من كافة أقطار العـــالم الإسلامي، وكان هناك أعداد كبيرة من المدارس ولقي العلماء رعايةً واهتماماً مـــن الحكام، وكان الحكام يكثرون من الاعطيات والهدايا والهبات لهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكل هذه الأوضاع السابقة ساهمت في ظهور عدد من المؤرخين الذين كانت لهم الأيادي البيضاء في تدوين التاريخ وهم:

- المؤرخ بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد (٥٣٩هـ/١١٤٥م-٦٣٢هـ/١٢٣٥م) صاحب كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" الذي وضح فيه مسيرة صلاح الدين الأيوبي وكفاحه المرير الذي مارسه لتشييد بناء الدولة الأيوبية، فتتبع ابن شداد اساليب صلاح الدين القيادية في جميع مراحل جهاده ضد الحملات الفرنجية وقد عُدّ الكتاب من أفضل كتب السيرة التي ألفت في صلاح الدين كما عدّ الكتاب من أوثق المراجع في هذا الباب، وهناك كتب أخرى لبهاء الدين بن شداد منها "دلائل الأحكام"، و"ملجأ الحكام عند التباس الأحكام" وكتاب "العصا" و"فضائل الجهاد".
- ياقوت الحموي (٥٧٤هـ/١١٧٩م -٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، ومن أهم مؤلفاته "معجم البلدان"، فهو أهم ما صنف في التراث الجغرافي العربي، حيث اشتمل على ذكر أسماء البلدان والجبال والمياه والقرى والمدن وغيرها، وتضمن أسماء لكثير من الرجال وجملة من الآداب والأشعار والاشتقاقات ومعاني الكلمات، والكتاب الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقه هو "معجم الأدباء" الذي جمع فيه أخبار النحويين واللغويين، والنسابين، والقرّاء، المشهورين، والإخباريين، والمؤرخين، والورّاقين، والكتاب وكل من صنف في الأدب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- كمال الدين ابن العديم (٥٨٨هـ/١١٩٢م ـ ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) صاحب كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب"، وهو من أهم الكتب التي ألفت في تاريخ مدينة حلب، حيث قام ابن العديم بإيراد فضائل بلاد الشام مع وصفها الجغرافي وبالتحديد مدينة حلب، وذكر ثغور الشام، وجبالها، وبحارها، وأنهارها، ومزاراتها، ثم ترجم لمن سكن حلب أو نشأ فيها أو مر فيها ولابن العديم مؤلفات أخرى منها "الأخبار المستفادة من ذكر بني جرادة" و "الدراري في ذكر الذراري" وغيرها من الكتب.
- أبو شامة المقدسي (٥٩٩هـ/١٢٠٣م- ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) صاحب كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، واشتمل هذا الكتاب على تاريخ الفترة الزمنية الممتدة بين مطلع عهد السلطان نور الدين زنكي حوالي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) إلى زمن وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)، فجمع أبو شامة في كتابه تاريخ تلكم الدولتين على أكمل وجه، ولأبي شامة مؤلفات أخرى منها "الذيل على الروضتين" و "الباعث إلى إنكار البدع والحوادث" و "المقاصد السنية في شرح القصائد النبوية" وغير ذلك.
- ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) صاحب كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" واشتمل هذا الكتاب على صناعة الطب وأول حدوثها وتراجم لكثير من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأطباء ونظرياتهم وأساليبهم في المعالجة، ويعتبر هذا الكتاب مصدراً مهما من مصادر تاريخ الثقافة الإسلامية.

- ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب تراجم الأعلام والمشاهير من الناس الذين سبقوه والذين عاصرهم ذاكرا كل شيء يتعلق بالشخص المترجم له من حيث مكان ولادته، ونسبة، وثقافته، وتنقلاته، وأعماله السياسية أو الثقافية، وسنة وفاته، وهو من أضخم الكتب التي احتوت على الأعيان والمشاهير.
- عز الدين محمد بن علي بن شداد (٦١٣هـ/١٢١٦م - ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) صاحب كتاب "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"، وقد اشتمل الكتاب على تاريخ حلب ودمشق وأخبار لبنان والأردن وفلسطين، وجزيرة العرب، وهناك كتاب آخر لعز الدين بن شداد وهو "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" أو ما يسمى بـ" تاريخ الملك الظاهر بيبرس"، وقد حوى هذا الكتاب بين دفتيه سيرة الملك الظاهر بيبرس وجميع تحركاته: جلها وصغيرها.
- جمال الدين بن واصل الحموي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) صاحب كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" الذي عمل فيه المؤلف على تدوين تاريخ الدولة الأيوبية منذ نشأتها الأولى مرورا بانجازاتها وأحوالها على كافة الأصعدة السياسة، والثقافية، والإدارية، وانتهاءً بتلاشيها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تعددت أنواع الكتابة التاريخية في فترة الدراسة فكان هناك التواريخ العامة أمثال كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، وكتاب " مرآة الزمان " لسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وهناك التاريخ الاقليمي (المحلي) ومن كتبه، كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" لكمال الدين بن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، وكتاب "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لعز الدين بن شداد (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، وهناك الكتب التي أرخت للدول مثل كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل الحموي ت(٦٩٧هـ/١٢٩٨م).

ووجدت كذلك كتب في السير والمذكرات أمثال كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين بن شداد ت(٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، وكتاب "سيرة الملك الظاهر بيبرس" لعز الدين بن شداد (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥).

وظهرت في فترة الدراسة كتب في التراجم أمثال كتاب، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وكتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، كما واشتمل كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب " لابن العديم (ت٦٦٠هـ) على تراجم لمئات الأشخاص.

أما مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية فقد جاءت على ضربين، فهناك كتب اتبعت المنهج الحولي (الترتيب حسب السنين)، وهناك كتب أخرى آثرت التصنيف حسب الموضوعات (السير ، والتراجم ، والدول ، والأقاليم ، والمذكرات).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجاءت أساليب الكتابة التاريخية متطورة إلى حد بعيد، حيث تم التخلي عن مسألة الإسناد في الخبر التاريخي في فترة الدراسة، واكتفى المؤرخون بتوثيق المادة من خلال ايرادهم لمصادر الخبر التاريخي أو الحادثة التاريخية، إما في مقدمة الكتاب أو في ثنايا الكتاب، وبرزت مسألة نقد الخبر التاريخي الذي كان يوجهه المؤرخون للروايات التي يذكرونها في كتاباتهم، وبالنسبة للغة الكتابة من الناحية الأدبية فجاءت سهلة ليست بالمسجوعة، ولا المصطنعة، فمعظم مؤرخي فترة الدراسة كانت لغتهم أثناء الكتابة هي اللغة المتداولة بين المؤرخين والمؤلفين دون تجاوز في ذلك، فلم يكونوا يكتبون باللغة العامية، ولا كانوا يستخدمون الألفاظ التي تشكل على القارئ.

وبمقارنة الانتاج التاريخي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي مع الفترة السابقة عليه تبين أنه جاء متقارباً إلى حد بعيد، سواءً من حيث أنواع الكتابة أو مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية، أو أساليبها، إلا أنها في الفترة السابقة على فترة الدراسة جاءت قليلة وذلك لما شهدت المنطقة من أزمات سياسية، والسبب في زيادة الانتاج التاريخي في فترة الدراسة يرجع إلى اهتمام الحكام الأيوبيين ومن بعدهم سلاطين المماليك بالتعليم ونشر الوعي الثقافي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ملخـــــــص

لقد شهدت بلاد الشام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حالات من التمزق السياسي في البيت الأيوبي أضف لذلك الحملات الفرنجية التي استهدفت المنطقة ومن بعدها الغزو المغولي الذي دمر البلاد، مما أدى بالتالي إلى تنوع العناصر السكانية في المنطقة واختلاف طبقات الناس الاجتماعية، كما أن الأحوال الاقتصادية كانت متردية في كثير من الأحيان، إلا أن ذلك لم يوقف عجلة الحركة الثقافية التي ازدهرت في تلك الفترة.

وقد عملت هذه الدراسة على تناول حركة التأليف التاريخي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، من حيث دراسة سير المؤرخين ومؤلفاتهم: وهم بهاء الدين بن شداد ت(٦٣٢هـ/١٢٣٥م) صاحب كتاب" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، وياقوت الحموي ت(٦٢٦هـ) صاحب كتاب" معجم البلدان"، وكتاب " معجم الأدباء"، وكمال الدين بن العديم ت(٦٦٠هـ/١٢٦٢م) صاحب كتاب " بغية الطلب في تاريخ حلب" وأبو شامة المقدسي ت(٦٦٥هـ/١٢٦٧م) صاحب كتاب " الروضتين في أخبار الدولتين"، وابن خلكان ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م) صاحب كتاب" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، وعز الدين بن شداد صاحب كتاب" الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة".

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثم قام الباحث بتتبع أنواع الكتابة التاريخية في مناهج تصنيف المؤلفات التاريخية وأساليب الكتابة التاريخية في فترة الدراسة، وذلك من خلال المؤلفات التي وجدت في تلك الفترة .

وفي نهاية الدراسة، عمل الباحث على تقييم الكتابة التاريخية من جميع جوانبها مقارنة مع الفترة السابقة على القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Bilad Ash-sham (Greater Syria) witnessed during the 7th Century A.H. (13th Century A.D.) political turbulences under the Ayyubid reign. These turbulences were further aggravated by the Crusade Campaigns which targeted the region, and the following Mongolian Expeditions which destroyed the country. As a result, diverse indigenous nationalities of different social ranks and classes inhabited the country. Despite the fact that the overall economic situation was deteriorated, this, nonetheless, could not stop or hinder the prosperity of the cultural movement which flourished during that period.

This study aims at addressing the historic publication process which took place during he 7th Century A.H. (13th Century A.D.) by means of focusing on the life of some notable historians and the works they produced. For the purpose of this study, these include:

- *Baha' Eddin Bin Shaddad (died 632 A.H.) who wrote Al-Nawader Al-Sultaniyyah Wal-Mahasen Al-Yousifieh.*
- *Yaqut Al-Hamawi (died 626 A.H.) who wrote Mu'jam Al-Buldan and Mu'jam Al-'Udaba'.*
- *Kamal Eddin Bin al-'Adeem (died 660 A.H.) who wrote Bughiat Al-Talab Fi Tareekh Halab.*

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- *Abu Shama Al-Maqdisi (died 665 A.H.) who wrote Al-Rawdatain Fi Akhbar Al-Dawlatain.*
- *Ibn Khulkan (died 681 A.H.) who wrote Wafiat Al-A'yan Wa 'Anba' Abna' Al-Zaman.*
- *Izz Eddin Bin Shaddad who wrote Al-A'laq Al-Khateera Fi Thiker 'Umara' Ash-Sham Wal-Jazeerah.*

The paper traces the diverse forms and types of historic writings and publications during that period in an attempt to arrive at a classification for these writing in accordance with the subject matter and writing style and methodology.

The study wraps up with a comprehensive assessment of these historic writings during the period of study as they stand in comparison with the preceding period.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

المصـــادر:

- القرآن الكريم.

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمـد الجـزري ت(٦٣٠هـ/١٢٢٣م)،** الكامل في التاريخ، بيروت، طبعة بولاق،١٢٩٠هـ /١٨٧٣م.

- **ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمـد الحنفـي ت(٩٣٠هـ/١٥٢٤م)،** بدائع الزهور في وقائع الدهور،ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي،٢٠٠٥.

- **ابن تغـرى بـردي، جمـال الـدين أبـو المحاسـن يوسـف الأتـابكي ت(٨٧٤هـ/١٤٦٩م):**

  - الدليل الشافي على المنهل الصافي، مكة المكرمة، منشورات جامعة أم القرى، ١٩٧٩م.

  - النجوم الزاهرة في ملوك مصـر والقـاهرة، القـاهرة، دار الكتـب المصرية، ١٣٤٨هـ- ١٣٧٥هـ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي ت(٥٩٧هـ/١٢٠١م)**، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٧-١٣٥٩هـ.

- **ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب ت(٧٧٩هـ/١٣٧٧م)**، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٦.

- **ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل أحمد بن علي العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)**،

  - لسان الميزان، حيدر آباد الركن، ١٣٣١هـ/١٩١٣م.
  - الإصابة في تميز الصحابة، باعتناء عبد الله هاشم اليماني المدني، القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م .

- **ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م)**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧.

- **الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان ت(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**:

  - تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، دار المعارف، ١٩٦٨م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنـــؤوط ، بيـــروت، مؤسســـة الرسالة،ج١٩٨١،٤م .

• العبر في خبر من غبر،تحقيق محمد سعيد أبو هـــاجر، بيـــروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٥م.

- **ابن رجب، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشـــقي الحنبلي ت(٧٩٥هـــ/١٣٩٢م)**، الذيل على طبقات الحنابلة، تصحيح محمـــد بن حامد الفقي، مصر، مطبعة السنة المجهرية، ١٣٧٢هـــ/١٩٩٢م.

- **ابن الشحنة،صغير أبو الفضل محمد بن محمد ت(٨٩٠هـــ/١٤٨٥م)**، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م.

- **ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم ت (٥٨٩هـــ/١١٩٣م):**

• تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط،(د.م)،(د،ن)،(د،ت).

• النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط١،القاهرة، الدار المصـــرية للتأليف والنشر، ١٩٦٤.

- **ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم الحلبـــي ت (٦٨٤هـــ)**، الاعـــلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق دومينيك سورويل، دمشـــق،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٩٥٣،وتحقيق سامي الدهان، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٩٥٦م.

- **ابن الشعار، المبارك بن أحمد**، قلائد الجمان،ط١،فرانكفورت، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٩٠.

- **ابن العبري، ابو الفرج بن غريغورس بن أهرون**، تاريخ مختصر الدول، بيروت، دار المسيرة، (د.ت).

- **ابن عساكر،أبو القاسم علي بن الحسين ت (٤٤٩هـ/١٥٧م)** تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي،بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥.

- **ابن طولون، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين، ت(٩٥٣هـ/١٥٤٧م)**، رسالة أنباء الأمراء بأنباء الوزراء، القاهرة، دار التمدن، ١٩٥٧.

- **ابن العديم، كمال الدين ابو القاسم عمر بن أحمد ت(٦٦٠هـ/١٢٦٢م):**

  - بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار، دمشق، (د.ن)، ١٩٨٨م.

  - زبدة الحلب من تاريخ حلب،دمشق،المعهد الفرنسي للدراسات العربية،١٩٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• الدراري في ذكر الذراري، ط١،تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، (د.م)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،١٩٨٤م.

- **ابن العماد الحنبلي،أبو الفرج عبد الحي بن احمد بن محمد الصالحي، ت(١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)**،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٥٠هـ- ١٣٥١ هـ.

- **ابن الفرات**، تاريخ الدول والملوك،ط١، تحقيق نجلاء عز الدين رزيق، بيروت، ١٩٣٩.

- **ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني الحنبلي ت(٧٢٣هـ/١٣٢٣م)**، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الفرات، (١٣٥١هـ/١٩٣٣م)

- **ابن قطلوبغا، زين الدين ابو العدل قاسم السوداني**، تاج التراجم في طبقات الحنفية، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٢م.

- **ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي ت(٥٥٥هـ/١١٦٠م)** ، ذيل تاريخ دمشق،بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين ،١٩٠٨.

- **ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي ت(٧٧٤هـ/١٢٧٢م)** البداية والنهاية،ط١،مصر، مطبعة السعادة، ١٩٣٢م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل**

ت(٦٩٧هـ/١٢٩٨م)،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. ، الكتاب في خمسة أجزاء:

- **الجزء الأول، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول،١٩٥٣**
- **الجزء الثاني، تحقيق: جمال الدين الشيال،**القاهرة، المطبعة الأميرية،١٩٥٧.
- **الجزء الثالث، تحقيق: جمال الدين الشيال،**القاهرة، دار القلم،١٩٦٠.
- **الجزء الرابع، تحقيق: حسنين محمد ربيع و سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٢.**
- **الجزء الخامس، تحقيق: حسنين محمد ربيع و سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٧..**

- **ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر بن الوردي** ،تاريخ ابن الوردي،النجف المطبعة الحيدرية ١٩٦٩م .

- **ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي ت(٦٦٥هـ/١٢٦٧م):**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• الباعث على إنكار البدع والحوادث، ط١، تحقيق بشير محمد عيون، دمشق، مكتبة المؤيد، ١٩٩١.

• الذيل على الروضتين (تراجم القرنين السادس والسابع الهجري)،ط٢، عُني بنشره عزت العطار الحسيني، بيروت، دار الجيل،١٩٧٤.

• الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، دار الجيل،(د.ت).

- **أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ت(٧٣٢هـ/١٣٣٢م)**،المختصر في أخبار البشر ،ط١،بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٧م.

- **الأربلي، أبو البركات بن أحمد المستوفي ت(٦٩٣هـ/١٢٩٤م)**، تاريخ إربل، تحقيق سامي الصقار، بغداد،(د.ن)،١٩٨٠.

- **الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم ت(٧٧٢هـ/١٣٧٧م)**، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد،(د.ن)، ١٩٧٠.

- **الأصبهاني، عماد الدين الكاتب محمد بن محمد بن حامد،ت(٥٩٧هـ/١٢٠٠م)**،تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار ابو الفتح البنداري،ط٣،بيروت، تحقيق ونشر دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م

- **البغدادي،اسماعيل باشا بن محمد الباباني ت(١٣٣٨هـ/١٩٢٠م):**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- إيضاح المكنون، في الذيل على كشف الظنون، عن اسأمي الكتب والفنون،استانبول، (د.ن) ، ١٩٤٥-١٩٤٧.

- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون،بغداد، مكتبة المثنى،١٩٥٣.

- **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، ت(١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)**، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتناء محمد شرف الدين بالتقية و رفعت بيلكة الكليسي، استنبول، وكالة المعارف التركية، ١٩٤١م.

- **الحموي،ياقوت شهاب الدين ابو عبد الله ت (٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

- المشترك وضعاً والمفترق صقعا، ط١،(د.م)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٨٦م

- معجم الأدباء، القاهرة، مطبعة دار المأمون،١٩٣٦م.

- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٨٦ .

- **الخطيب البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- **الخوانساري،الميرزا محمد باقر الموسوي ت(١٣١٣هـ/١٨٩٥م)**، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، طهران،(د.ن)، ١٣٤٧هـ.

- **سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي ت(٦٥٤هـ/١٢٥٦م)**، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٠-١٣٧١هـ/١٩٥١-١٩٥٢م.

- **السبكي، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت(٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)**، طبقات الشافعية الكبرى، ،ط١١، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٤هـ.

- **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمود ت (٩٠٣هـ/١٤٩٦م)** ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، مطبعة العاني، بغداد،١٩٦٣.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري ت(٩١١هـ/١٥٠٥م)** ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،ط١، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، مطبعة عيسى البابي، ١٩٦٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت(٧٦٤هـ/١١٣٦م)، الوافي** بالوفيات ، تحقيق رمزي بعلبكي و فرانزشتانير، بيروت،(د.ن) ،١٩٨٣م.

- **العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن العميد ت(٨٨٥هـ/١٤٥١م)**، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، دار الكتب المصرية،١٩٨٧.

- **الفيروز أبادي** ، قاموس المحيط،ط٣ ،القاهرة ، المطبعة المصرية، ١٩٣٣.

- **القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف ت(٦٤٦هـ/١٢٤٨م)**، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٣.

- **القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي ت(٨٢١هـ/١٤١٨م)**، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ط١، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٤.

- **الكتبي،محمد بن شاكر ت(٧٦٤هـ/١٣٧٢م)** فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت،دار الثقافة، ١٩٧٣م.

- **المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)**، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر،(د.ت).

- **المقريزي، تقي الدين احمد بن علي ت(٨٤٥هـ/١٤٤١م):**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• إغاثة الأمة بكشف الغمة،(د.م)، مؤسسة ناصر للثقافة،(د.ت).

• السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة،لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٦.

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، المعروف بالخطط المقريزية،طبعة بولاق،(د.م)،دار التحرير للطبع والنشر،١٢٧٠هـ.

- **النعيمي،محي الدين ابو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي ت(٩٢٧هـ/١٥٢٠م)**، الدارس في تاريخ المدارس،تحقيق جعفر الحسيني، دمشق، مطبعة المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقي،١٩٤٨.

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،(٧٣٣هـ)**، نهاية الأرب في فنون الأدب، مركز تحقيق التراث، تحقيق محمد زيادة، ١٩٩٠.

- **اليافعي، عبد الله بن سعد اليمني المكي ت(٧٦٨هـ/١٣٦٦م)**، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٠م.

- **اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي ت(٧٢٦هـ/١٣٢٦م)**، ذيل مرآة الزمان، حيدر أباد،دائرة المعارف، (د.ت).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجـــــع

- **أوليري**، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة تمام حسان، القاهرة، علم الكتب ٢٠٠٢.

- **بروكلمان**، تاريخ الأدب العربي، ترجمة يعقوب بكر، ورمضان عبد التـــواب، (د.م)،الهيئة المصرية، ١٩٩٣.

- **البزاوي،فتحية**، علم التاريخ ودراسة في مناهج البحث،ط٢، القاهرة،دار الآفاق العربية،١٩٩٦.

- **جبران، نعمان محمود**، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، اربد، مؤسســـة حمادة، ٢٠٠٠م.

- **حاطوم،نور الدين** ، المدخل إلى التاريخ،دمشق،مطبعة الانشاء،١٩٦٤.

- **حطيط،أحمد**، سيرة الظاهر بيبرس لعز الدين محمد بـــن علـــي بـــن شـــداد، ط ١،بيروت،(د.ن)، ١٩٨٧.

- **خضر،عبد العليم عبد الرحمن** ، المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ،فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٣.

- **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، نشـــر جهـــان تران بوذ جمري،(د.م)،(د.ن)، (د.ت).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الدوري،عبد العزيز**، بحث في نشأت علم التاريخ عند العرب،بيروت، دار المشرق،١٩٨٣م.

- **روزنثال،فرانز**، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي،بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣.

- **الزركلي، خير الدين ت(١٩٧٦م)** ،الأعلام، القاهرة، مطبعة كونستانوس، ١٩٥٤م.

- **الزيات،حبيب**، في تاريخ مملكة حلب، المشرق، العدد ٣٢ ،١٩٣٤.

- **زيدان، جرجي**، تاريخ آداب اللغة العربية، ، (د.م)، دار الهلال، (د. ت).

- **السامر،فيصل**، ابن الأثير،بغداد، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٦م.

- **سالم، السيد عبد العزيز**، التاريخ والمؤرخون العرب،الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ،١٩٩٧،

- **سزكين، فؤاد، محمود فهمي حجازي**، تاريخ التراث العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

- **سعداوي، نظير حسان**، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي،(د.م)، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **السيد عبد العزيز سالم**، التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،١٩٩٧.

- **شميساني،حسين**، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ط١،بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣.

- **الطباخ، محمد راغب**، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء،دمشق،دار القلم العربي،١٩٨٨م.

- **طه، عبد الواحد** ، أصول البحث التاريخي،الموصل،منشورات جامعة الموصل،١٩٩٠.

- **عاشور، سعيد** :

  - الحركة الصليبية، ط٣، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦.
  - مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك،(د.م)،(د.ن)،١٩٨٨م.

- **عاصي،حسين**، المؤرخ أبو شامة،ط١،بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

- **عبد الرحمن الغزاوي**، المنهجية التاريخية في العراق إلى القرن الرابع الهجري، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٩.

- **عبد القادر ،بدران الشيخ** ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير،ط٢،بيروت،دار المسيرة، ١٩٧٩م .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- **عمار،جمال** ، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام،ط١،القاهرة، دار القاهرة، ٢٠٠٠م.

- **فرغلي، ابراهيم**، المؤرخ السوري أبو شامة،القاهرة،مطبعة العربي،١٩٩٨م.

- **كاشف ،سيدة** ، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٧٦.

- **كحالة، عمر رضا**، معجم المؤلفين، ، دمشق مطبعة الترقي، ١٩٥٧م.

- **كراتشكوفسكي**، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم،(د.م)،(د.ن)،١٩٨٥.

- **كرد علي،محمد**، خطط الشام،ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٩.

- **كوثراني، وجيه**، التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب،بيروت،الأحوال والأزمنة للنشر، ٢٠٠١.

- **نصار،حسين**، نشأة التدوين التاريخي، بيروت، منشورات اقرأ،١٩٨٠.

- **نظير سعداوي**، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي،القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢.

- **ليسترنج، كي**، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **مصطفى،شاكر**، التاريخ العربي والمؤرخون، ط١، بيروت، دار العلم للملايين،١٩٧٩.

- **هاني العمد** ، دراسات في كتب التراجم والسير ،عمان،(د،ن)، ١٩٨١.

- **يوسف، جوزيف نسيم**، العدوان الفرنجي على بلاد الشام ،بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨٤.

- <u>الدوريات والمجلات:</u>

- **الحلبي، داود**، مقالة عن كتاب تحفة العجائب، مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد٢٣، دمشق، ١٩٤٨.

- **الزركاني، خليل:**

  - تطور الإقطاع العسكري وانتقاله وأثره في بلاد الشام حتى نهاية الدولة الأيوبية(٦٤٨هـ/١٣٥٠م)، المؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام ، تشرين ثاني، ٢٠٠١

  - العلاقات الاقتصادية في الحروب الفرنجية، مؤتمر بلاد الشام في فترة النزاع الإسلامي الفرنجي ٤٩١-٦٩٠هـ ، جامعة اليرموك،تحرير سليمان الخرابشة وآخرون، مطبعة جامعة اليرموك، ٢٠٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **زياده، نقولا**، الحياة العلمية في بلاد الشام أيام المماليك،دمشق، مجلة التراث العربي، عدد ٥٥، ١٩٩٤.

- **الكيالي، سامي**،ابن العديم،مجلة العربي،عدد ٧٣، ١٩٦٤.

- **لبيب، صبحي**، التجارة الكارمية وتجار مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مج٤،عدد١٩٥١،٢م.

- **ماجد، عبد المنعم**، الخبر التاريخي عند مؤرخي المسلمين، المؤرخ العربي، مج ١٣، عدد٣٧، ١٩٨٨م.

- **نبهان،عبد الإله**، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد، عالم الكتب، مجلد١٣، العدد ١٤، المحرم – صفر ١٤١٣هـ/ يوليو – اغسطس ١٩٩٢.

- **نصر، سوسن محمد**، بنو أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك في شمال الشام والجزيرة، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مج ٣٠، ١٩٨٣.

- **وند، صادق آئينه** ، الحياة الفكرية في العصر المملوكي،دمشق، مجلة التراث العربي، عدد٣٠، ١٩٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع الاجنبية:

- *Hilmer G.Gruger: The Waues of Exchang in the Genoese African Traffic of the Twelvth century.Speculum vol x ii, 1973.*
- *Mustafa M .ziada, The Mamluk Sultan . Vol. ii.*
- *R. A. Nicholson: ALiterary History of TheArabs. London: Cambridge University Press.1976.*
- *Runciman: AHistory of the crusades ,. Cambridge, 1957. Vol. 2.*
- *Setton: AHistory of the crusades, Pensylvania 1985, Vol .2*
- *Wiet G: L.Egypte Arabe . Paris, 1937.*

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"Historic Writing in Bilad Ash-Sham (Greater Syria) from 7th Century A.H. - 13th Century A.D. "

By

Anwar Oudeh Awwad Al-Khalidi

Supervised by

Professor Mohammad Daifallah Al-Bataineh

Submitted in partial fulfillment for the requirement of the Doctoral Degree in Philosophy, (History Specialization) at the Yarmouk University Irbid - Jordan

Examinational Panel

Date: / / 2006

© Arabic Digital Library-Yarmouk University